بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

التّماسك النصّيّ في جزء تبارك

Cohesion in the Juzzu' Tabaraka

إعداد الطالب:

إبراهيم أحمد محمد شويحط

إشراف الدكتور:

عبد القادر مرعي بني بكر

الفصل الأول ٢٠١٥ / ٢٠١٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التّماسك النصّيّ في جزء تبارك

Cohesion in the Juzzu' tabaraka

إعداد الطالب

إبراهيم أحمد محمد شويحط

إشراف

الأستاذ الدكتور: عبدالقادر مرعي بني بكر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، في تخصص اللغة والنحو، في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. عبد القادر مرعي بني بكر ..... رئيساً

أ. د. سمير شريف استيتية ..... عضواً

أ. د. يحيى عطية عبابنة ..... عضواً

أ. د. رسلان بني ياسين ..... عضواً

أ. د. يوسف أبو العدوس ..... عضواً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى مَن وُريَ الثرى، إلى روحه الطاهرة، صدقة جارية...

≥ والدي الفاضل ≤

إلى من أرضعتني الحب والحنان... إلى الشمس التي تلقي بدفئها... ولم تغب عني بنورها... إلى القلب الناصع بالبياض... إلى ≥ والدتي الحبيبة ≤

إلى قمري... ومذاق قهوتي... وعطري العتيق... إلى معزوفة الأمل على قيثارة الفجر الباسم.... ≥ إلى زوجتي الغالية (أم عمر) ≤

إلى من أطربت ضحكاتهم الشقية سمعي، وأنارت قلبي، إلى من تفتحت من بين حروفهم الرياحين... وانتشرت من عبق أسمائهم رائحة الياسمين...

إلى ≥ ولَدَيَّ عمر البراء ≤

إلى من وضعوا على مرفقيّ جناحين من الصمود...

≥ إلى إخوتي وأخواتي، وأصدقائي ≤

إلى من أفتقده وأتوق إلى رؤيته وأحنّ إلى سماع صوته، إلى روحه الطاهرة، صدقة جارية... ≥ أخي أحمد القواسمة ≤

إلى إخوتي وأخواتي، وأصدقائي

© Arabic Digital Library Yarmouk University

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] فالحمد لله أولا وأخيرا أن أعانني بفضله وكرمه على إنهاء هذه الأطروحة، وامتثالا لأوامر الرسول الكريم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" فإنني أتقدم بجزيل الشكر، والتقدير والعرفان إلى أستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي خليل، الذي تفضل علي بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، فلم يبخل علي بالنصح والإرشاد والتوجيه والملاحظات الدقيقة، لإتمام هذه الأطروحة، الله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك في عمره ويرفع مقامه في الدنيا والآخرة، إنه سميعٌ مجيب.

ولا يفوتني أن أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية، والأستاذ الدكتور رسلان أحمد بني ياسين، والأستاذ الدكتور يحيى عبابنة، والأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس.

فلهم مني كل احترام وتقدير؛ لتكرمهم بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وتجشّمهم عناء قراءتها، وحضورهم الحريص على الإفادة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
فهرس المحتويات	ه
الملخص بالعربية	ز
المقدمة	١
الفصل الأول: الجانب النظري	**٧ـ٥٦**
أولا: النص والخطاب في بعديهما النظري والتطبيقي	٨
ثانيا: بين نحو النص ونحو الجملة.....	٣٠
ثالثا: الاتساق والانسجام	٣٧
الفصل الثاني: الجانب التطبيقي	**٥٧ـ١٤٩**
مدخل	٥٨
المبحث الأول: عناصر الاتساق النحوي	٦٣
أولا: الإحالة	٦٣
المدى في الإحالة	٧٣
عناصر الإحالة	٧٥
ثانيا: الوصل	٨٩
ثالثا: الحذف	١٠١
رابعاً: الاستبدال	١١٢
المطلب الثاني: الاتساق المعجمي	١١٩
أولا: التكرار	١١٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: التضام ١٢٥
المبحث الثاني: وظائف عناصر الاتساق ١٣٣
أولا: الاقتصاد اللغوي ١٣٣
ثانيا: الربط ١٣٧
ثالثا: تكوين النص وتشكله ١٤٠
رابعا: التوكيد ١٤٢
خامسا: الإجمال والتفصيل ١٤٦
الفصل الثالث: الانسجام الدلالي **١٥٠-٢١٥**
أولا: السياق وعلاقته بالتماسك النصي ١٥١
ثانيا: المناسبة ١٦٨
ثالثا: التغريض ٢٠١
المبحث الثاني: أولا :البنى الجزئية الصغرى والكبرى ٢٠٧
ثانيا: البنية الكلية للخطاب ٢٠٨
الخاتمة ٢١٥
المصادر والمراجع ٢١٧
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٣٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص

التّماسك النصّيّ في جزء تبارك

شويحط، إبراهيم أحمد

المشرف

أ. د: مرعي عبد القادر بني بكر

تتناول الدراسة التماسك النصي في جزء تبارك وفق مفهوم التماسك النصي في علم لغة النص، فقد وقفت الدراسة على نماذج متنوعة دالة من الجزء وحللتها تحليلا متكئا على الجانب النحوي والمعجمي والدلالي، وعلى المقام وما يقتضيه من التعامل معه، وذلك من خلال الوقوف على أدوات التماسك النصية بمستوياتها المختلفة (الداخلية والخارجية)، وبين ما هو شكلي ودلالي والمتداخلة بينهما، إذ تتضافر هذه المستويات معا، غاية الوقوف على مظاهر التماسك النصي في جزء تبارك.

وخلصت الدراسة إلى أن المستوى التحليلي للجزء أظهر وفرة في أدوات التماسك النصي, إذ ينماز نصه اللغوي بتماسك قوي بين أجزائه، نتيجة توافر جملة من أدوات التماسك الشكلية والدلالية.

الكلمات المفتاحية: النصّ، الخطاب، التّماسك النصيّ، الاتساق، الانسجام، السياق، المناسبة، التغريض.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد،

شهدت الدراسات اللغوية تطوراً كبيراً في العصر الحديث، وذلك لكثرة الاتجاهات اللغوية التي عملت على دراسة اللغة وخصائصها، والهدف الذي ترنو إليه هذه الاتجاهات هو تقديم تفسير جلي للظواهر اللغوية المختلفة.

إن من المقطوع به أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية، وهي الأداة الرئيسة للبعد التواصلي بين البشر؛ من أجل ذلك اهتم بها الباحثون والعلماء والمفكرون عبر العصور؛ إذ نشأ عن ذلك مدارس ومناهج ونظريات عني جميعها بتلك الظاهرة تفسيرا ووصفا وتحليلا وتأويلا, وفي هذا السياق ظهر علم لغة النص بوصفه أحد المناهج اللغوية الحديثة التي وقفت على مفهوم التماسك؛ إذ اهتم بدراسة النص دراسة شمولية باعتباره البنية اللغوية الكبرى، وذلك بتحليل النصوص تحليلا لغويا بوصفها وحدة لغوية قابلة للتحليل، متخطية بذلك حدود نحو الجملة إلى النص كبنية متكاملة؛ لأن اجتزاء الجملة وعزلها عن سياقها في النص يعد قصوراً في فهم المقصود من النص في الدراسات اللغوية؛ فالدارسون متفقون على ضرورة مجاوزة البحث على صعيد المفردات والجملة، إلى بحث تحليلي ذي فضاء أرحب ومنهج أوسع، فعنايتها منصبة على دراسة النص دراسة متكاملة، فاللسانيات النصية تخرج عن إطار نحو الجملة وحدودها، ولا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملا إلا من خلال الوحدة الكلية للنص[1].

---

[1] العبد، محمد، **اللغة والابداع الأدبي**، القاهرة – مصر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يُعدُّ التماسك اللغوي –في لسانيات النص– من الاتجاهات اللسانية الحديثة في دراسة النصوص اللغوية، إذ تبلورت ماهيته وأسسه في الربع الأخير من القرن المنصرم على يد هاليداي ورقية حسن، ومن سار على نهجهما في هذا العلم، وقد شغلت الدراسات النصية حيزا مهما بين الدراسات والأبحاث اللغوية الحديثة؛ لما قدمته من تفسيرات دقيقة وتحليلات شاملة تتوافق ومتطلبات الدرس اللغوي. فعلم لغة النص وصل إلى ما عجز عن الوصول إليه نحو الجملة، فقد عمل علم لغة النص على الوصول إلى العلاقات التي تربط بين الجمل والفقرات على مستويات عدة منها: النحوي والمعجمي والدلالي, وذلك في إطار البنية الكلية للنص.

أهمية الدراسة

هدفت الدراسة إلى الوقوف على مظاهر التماسك النصي في جزء تبارك, وتحليل سور الجزء من جوانب عدة: الجانب النحوي والجانب المعجمي و الجانب الدلالي, ضمن إطار الدراسة النصية, والتحليل اللغوي للنص, والاستفادة من لسانيات النص وتفاسير القرآن الكريم.

وستعمد الدراسة إلى توضيح النقاط الرئيسة من خلال وصفها وتحليلها، كما يلي:

- بيان الفرق المائز بين النص والخطاب، وأن نحو الجملة ركيزة أساسية من ركائز نحو النص، كما عملت على توضيح االصلة بين الاتساق والانسجام, تحديدا, في تحليل النصوص.
- تجلية الروابط الشكلية في السُّوَر، وأنواع هذه الروابط، والوقوف على البعد الجمالي من خلال تنوع أساليب الاتساق.
- تحليل السور تحليلا اتساقيا، وبيان أن الاتساق يرتبط ارتباطا وثيقا مع الانسجام، فهما مكملان لبعضهما.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- إظهار وظائف أدوات الاتساق (الاقتصاد اللغوي، الـربط، تـشكيل الـنص، والإجمـال والتفصيل) في الجزء.
- أهمية السياق ودوره الفعال في قيادة المتلقي لفهم العلاقات الخفية في النص.
- بيان دور المناسبة وصلتها في الربط القائم بين الآيات والسور.
- الكشف عن دور البنى الجزئية الصغرى والكبرى غاية الوصول إلى موضوع الخطـاب بنيته الكلية.

منهجية الدراسة

ارتأت الدراسة أن تتبع المنهج الوصفي التحليلي وتطبيقه على جزء تبارك؛ للكشف عن مظاهر التماسك النصي، وتوضح وظيفة التماسك النصي الذي يعمل الانسجام والاتساق فيه على بناء قوي الدلالة في النص، ولفت نظر الباحثين إلى كيفية استثمار هذا الاتجاه في البحث اللغوي القرآني.

وستقوم الدراسة بتحليل النص القرآني تحليلا نصيا بوصفه خطابا متفردا له خصوصيته، وكذلك بوصفه خطابا متعدد المقاصد والدلالات، فهو يرتبط بحاجات الناس فكرا ووجودا فـي كل زمان ومكان، وعليه، فقد اتبعت الدراسة ما يقتضيه الخطاب، في التعامل معه، من الأخـذ بمعطياته الثلاثة، وهي المرسل والنص والمتلقي.

الدراسات السابقة:

لم تتوصل الدراسة –بعد البحث والتقصي على حد علم الدراسة– إلى أي دراسة سـابقة متخصصة في ظاهرة التماسك النصي لجزء تبارك، لكن تُعد هذه الدراسة امتدادا لدراسات عدة سابقة، غير أنها تنماز عنها، بأنها اعتمدت المنهج التطبيقي التحليلي لمفاهيم وأسـس التّماسـك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النصّيّ على جزء تبارك، وتقدمه كأنموذج خاضع للتحليل النصي بوسائله المتعددة. ورصدت الدراسة دراسات كثيرة سابقة أفاد منها الباحث في محاورة الأسئلة البحثية المركزية التي قام بها البحث، منها:

١- الرشدان، عمران. ٢٠٠٧م، التماسك النصي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.

٢- الهوواوشة، محمود سليمان، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص: سورة يوسف مثالا، عمان- الأردن، دار عماد الدين، ٢٠٠٩م.

٣- جبر: أسامة، ٢٠٠٤م، سورة الإسراء دراسة تحليلية نصية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.

٤- الزبيدي: نضال حمد، ٢٠٠٩م، سورة الكهف: دراسة تحليلة نصية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.

٥- فراج: خالد، ٢٠٠٩م، التّماسك النصّيّ في سورة التوبة (دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.

تتفق هذه الدراسة (**التّماسك النصّيّ في جزء تبارك**)، مع الدراسات السابقة في صلب الموضوع, وتختلف عنها في مادة التطبيق، فمادة التطبيق هي ما تتميز به عن سابقاتها، فقد حاولت الإفادة منها على المستويين النظري والتطبيقي، وتطبيقها على جزء تبارك. وعليه، فإن هذه الدراسة تكملة لها، وليست تكرارا لها؛ فقد قامت بتحليل جزء تبارك تحليلا وافيا على المستويين الشكلي والدلالي.

وليس المقصود من عنوان الدراسة القول إن النص القرآني متماسك أو غير متماسك، فالقرآن منسجم ومتماسك قطعاً، فالهدف من الدراسة الكشف عن مظاهر هذا التماسك النصي في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآن، كما تهدف إلى اجتهاد تحليلي تطبيقي يؤسس إلى إيجاد طريقة حداثية في تحليل النص بالاستعانة بقواعد التماسك النصي، فالنص المتماسك –مثل النص القرآني– يساعد كثيرا على استجلاء تلك القواعد أو الطرائق والوسائل اللغوية التي يبنى عليها، فيكون بذلك معيارا فاحصا لجدوى تلك الوسائل أو عدم جدواها، ومصدرا رئيسا لاستخلاصها.

محتوى الدراسة

لقد احتوت الدراسة على مقدمة، اشتملت على أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه ومنهج البحث والدراسات السابقة، وثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول

تناولت فيه الدراسة مصطلحي النص والخطاب؛ فقد عمدت إلى بيان الفروق الدلالية والمفاهيمية والإجرائية بين النص والخطاب، إذ بينت الفرق المائز بين المفهومين من الناحية التطبيقية، كما تناولت العلاقة بين نحو النص ونحو الجملة، وأن نحو النص تجاوز نحو الجملة، لكن مع الاعتماد عليه في عملية الفهم الشامل للنص, وقد فصّلت الدراسة في مصطلحي الاتساق والانسجام، وأنه بمكنة المحلل النصاني أن يفرق بين المصطلحين من الناحية النظرية، ولكن لا يمكن الفصل بينهما في التطبيق الإجرائي، فهما وجهان لعملة واحدة.

الفصل الثاني

جاء الحديث عن الاتساق النحوي وعناصره من الناحية المفاهيمية، وبيان أثر عناصر الاتساق النحوي والمعجمي في إحداث التماسك النصي للنص القرآني، فتطرقت الدراسة للحديث عن، الإحالة بأنواعها، وذلك لمعرفة مرجعيات هذه المبهمات، كما جاء الحديث عن الاستبدال، والمقارنة وأثرهما في إحداث التماسك النصي، وتناولت الدراسة الاتساق المعجمي من خلال عنصريه التكرار والتضام وجرى تطبيق ذلك على جزء تبارك, وبيان أثرهما في إحداث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التماسك النصي للنص القرآني، وذكرت الدراسة فوائد عناصر الاتساق التي يجنيها المتلقي داخل النصوص مثل الاقتصاد اللغوي، والحذف، والربط، والإجمال، والتفصيل.

الفصل الثالث

كان الحديث فيه عن السياق بشقيه اللغوي وسياق الحال ودورهما المهم في الكشف عما يكتنف بعض الآيات من غموض من خلال الحاجة للعودة إلى عناصر خارج السياق، كما جاء الحديث عن المناسبة وأثرها في الربط بين الآيات في السورة الواحدة وبين السور في الجزء والقرآن، ثم كان الحديث عن التغريض وربطه بموضوع الخطاب من خلال تكرار اسم السورة في السورة نفسها وكثرة الإحالة بأنواعها على ما يسمى البؤرة المركزية في الخطاب، وأخيرا اناولت الدراسة البنى الجزئية الصغرى والبنى الجزئية الكبرى وما تقومان به من تعالق من أجل إيصال المتلقي للبنية الكلية للخطاب أو ما يسمى موضوع الخطاب.

ثم كانت الخاتمة وتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الجانب النظري

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: النص والخطاب في بعديهما النظري والتطبيقي
- المبحث الثاني: الكشف عن العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص
- المبحث الثالث: الاتساق والانسجام في بعديهما النظري والتطبيقي

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول: النَّصُّ والخطابُ في بُعدَيهما النَّظري و التَّطبيقي:

تمتلئ السَّاحةُ اللُّغويَّة بالمصطلحات والمفاهيم التي تواجه الباحثين، وتربكهم في بحـــثهم، حتى أصبح من اللزوم بمكان أن تفتتح الدراساتُ النَّصيَّةُ بها؛ حتى تكون أرضًا صـــلبةً، تقـــوم عليها الدِّراسةُ، ومن هذه المصطلحات (النَّص/ الخطاب)، إذ إنَّ المتأملَ في الدراسات النَّـــصية يجد كثيرًا منها قد استعملت مصطلح النَّص **Text** وهي تعني به الخطاب **Discours**، ويجـــد كثيرًا منها قد استعملت الخطاب في حين تقصد النَّص[١]. لعل بؤرة تساؤل الدِّراسة هذه عن الحدِّ المفاهيميِّ الفاصل بين المصطلحَين، فيما إذا كانا مـــصطلحين لمفهـــوم واحـــدٍ أم مـــصطلحين لمفهومين قد يتفقان في بعض الملامح والسمات؟

ولعل هذا ما ستسجليه الدِّراسة في أثناء محاورتها وتساؤلها المركزي، وسبرها غورَه من خلال الوقوف على تعريفاتِ العلماءِ النَّصيينَ لِمفهومَي الخِطاب والنَّص، وما بينهما من روابـــطَ –إن وجدت–. في الجَّانب النَّظري، وبيان الفروق المائزة بينهما في الجَّانب التَّطبيقي من خلال ذكر الأمثلة التَّطبيقة.

أثار مصطلحاً النَّص والخِطابِ إشكاليَّةً مفاهيميَّةً في الدِّراسات النَّصية الحديثـــة؛ ولعـــل السَّبب يعودُ في ذلك إلى تعدد المنابع, واختلاف المرجعيّات المعرفيَّة التي تُعد منطلقا للعلماء في تحديدهم لذينك المصطلحين، كما أن اختلاف المدارس اللغويَّة التي ينتمي إلى أَرومَتِها العلمـــاء اللُّغويون، واختلاف الحدود المفاهيمية للمُصطلحاتِ الَّتي تكون محط اهتمام بحوثُهم النَّـــصيَّةُ[٢]،

---

(١) انظر: بوقرة، نعمان، (٢٠٠٧). **نحو النَّص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة**، مجلة علامات، م١٦، ج٦١، ص١٧.

(٢) بحيري، سعيد، (١٩٩٧). **علم لغة النَّص: المفاهيم والاتجاهات**. (ط١)، مصر: العالمية المصرية للنشر– لونجمان، ص١٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففريق يصنف المصطلحات تبعا لاتجاهاتهم النقدية[١]، وذهب فريق آخر يبحث عنها من خلال صلتها بالبنى النَّصية والسياقات النَّصية[٢]، وارجأها فريق آخر إلى صلتها بالجملة[٣] وقد تمخض عن تلكم التباينات والاختلافات كمٌّ هائلٌ من التعريفات المُبتَسرة للمصطلحين أدخلتا القارئ المُهتم بعلم لُغة النَّص في دائرة إقرار المتأرجح لكثرة ما شاب تلكم التعريفات من اختلاط وتداخل، ومن هنا، كان لا بُدَّ من الوقوف على الحدّ المفاهيمي للمصطلحين وآليات تطبيقهما.

أ- النَّص:

النَّص لغة:

إنَّ المُتمعنَّ في المعاجمِ العربيَّةِ يقفُ على معانٍ متعددة للنَّص وهي: الرَّفع، والإظهارُ، وجعلُ بعضِ الشَّيءِ فوق بعضه، وبلوغُ الشَّيءِ أقصاهُ ومنتهاه، والتحريكُ، والتعيينُ على شيء ما[٤]. وذكر هذه المعاني الأزدي في جمهرة اللغة بقوله: الرفع والاظهار[٥]. وذكر الزبيدي معاني أخرى للنص في قوله إنه: " الإِسْنَادُ إِلى الرَّئِيسِ الأَكبَر. والنَّص: التَّوقِيفُ. والنَّص:

---

(١) انظر: عزام، محمد، (٢٠٠١).**النَّص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي**.(ط١)، دمشق:منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص١١-٢٥.

(٢) الجراح، عبدالمهدي، (٢٠٠٢). **الخطاب وأثره في بناء نحو النَّص**: تطبيق على المعلقات السبع. رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص ١٩-٢٧.

(٣) الشاوش، محمد، (٢٠٠٠). **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية**: تأسيس نحو النَّص. (ط١)، تونس: كلية الآداب بمنوبا، وبيروت، المؤسسة العربية للتوزيع، ص ٨٢-٩٣.

(٤) انظر: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(١٩٩٤): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، المجلد السابع، ص٩٧-٩٩.

(٥) انظر: الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(١٩٨٧): **جمهرة اللُّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٤٥/١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

التَّعْيِينُ على شَيْءٍ مَا، وكُلُّ ذلِكَ مَجَازٌ من النَّص بمَعْنَى الرَّفْعِ والظُّهُورِ[١]. أمَّا المعنى الـشَّائع بين متحدثي العربيَّة المعاصِرة فهو: " صيغةُ الكلامِ الأصليَّةِ الَّتي وردت منَ المؤلِّفِ"[٢].

إنَّ هذه الحدود اللغوية لمصطلح النص تتفق – رُغمَ تعدد المعاني– على جامع مـشترك يجمعها، ألا وهو معنى الدَّفع الَّذي يؤدِّي إلى الارتفاع والاظهار، فإذا ارتفع الشيء ظهر جليـا بيِّنًا.

النَّص اصطلاحاً:

يُعدُّ مصطلحُ النَّص نقطةَ خلافٍ رئيسة في الدَّرس اللِّسانيِّ الحديثِ بين المنشغلين في علم النص، فهو –كما ذكرنا آنفاً– يتداخل مع مصطلح الخِطاب تداخلًا شائكًا فهناك مِن اللِّسانين مَـن يجعله مصطلحًا مرادفًا للخِطابِ ومن هؤلاء محمد خطابي الذي لم يفرق بينهما وعاملهما معاملة المفهوم الواحد، فكلما ذكر مصطلح النَّص وضع بينهما علامة التماثل بين القوسـين؛ بوصـفه مصطلحا مرادفًا له هكذا (النَّص/ الخطاب) [٣]، وقد سار الفقي على منوال الخطابي فـي عـدم التفريق بين المصطلحين، وعدهما –صراحة لا تلميحاً– مصطلحين لمفهوم واحد، حيث قال " لا مبرر لتقسيم اللُّغة إلى الخطاب والنَّص، فكلاهما فيما نرى لا فرق بينهما"[٤]، وقد ذهب فريـق من الباحثين إلى التفريق المفاهيمي بينهما؛ إذ ربطوا مصطلح النَّص بالمُنتجِ الكتابيِّ أكثرَ منـه بالكلامِ الشَّفَهيِّ، ومن هؤلاء ريكور حيث عرفه (Ricoeur) بأنَّه: " كلُّ خطابٍ مثبتٍ بواسـطةِ

---

(١) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجموعة محققين، دار الهداية، ص ١٨/، مادة (نصص)١٨٠.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون(١٩٨٠). **المعجم الوسيط**، دار الدعوة إسطنبول، (نص) ص ٩٢٦.

(٣) خطابي، محمد، **لسانيات النَّص**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٥.

(٤) انظر: الفقي، صبحي، **علم اللُّغة النَّصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء**، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٥-٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكتابةِ"[1]، ويلحظ – من خلال تعريف ريكور – أنه عدَّ كتابة النَّص مكونًا رئيسا من مكونات النَّص، فالنَّص –على حد تعبير ريكور– خطابٌ إلا أنَّه دُوِّنَ وكُتِبَ.

ونستنتج أيضا أنَّ النَّص يهدف لإنشاء علاقة بين القارئ والكاتب، فالقارئ غائب أثناء كتابة النَّص، وكاتب النَّص غائبٌ بعد ولادة نصِّه ووقوعِه بين يديِّ القارئ، فلا توجد علاقة حوارية وتخاطبية بين كاتب النَّص وقارئه كما هو الحال في الخطاب، وهذا ما ذهب أليه ر. بارث (Rolan.Barth) فالمؤلف عنده يعلن عن وفاته الأدبية بميلاد النَّص ووقوعه بين يدي القارئ إذ يقول " ينبغي أن تكون ولادة القارئ على حساب موت الكاتب"[2]، فالقراءة المتكررة كالأنثى الولادة لا تكف عن انتاج المعاني، وهذا ما نستنتجه من كلام بارث الذي يعطي دورًا مهما للقارئ في تأويل المعاني وهدبنة النَّص وتوليد قراءات جديدة، وهذا ما يكسب النَّص تعدده.

وبما أنَّ الشيء يعرف بضده فالخطاب ينشئ أيضًا علاقة بين قائل ومستمع، لكن العلاقة بين القائل والمستمع لا تولد القراءات النَّصية للنَّص كما هي في النَّص؛ لأنَّ صاحب الخطاب موجود وثمة علاقة تحاورية بينه وبين المستمع؛ لذا تتجدد وجهة النظر والفكرة، فلا يستطيع السامع أن ينتج فكرة لم يردها صاحب النَّص، فإذا استُشكل شيء ما على السامع سأل صاحب الفكرة، واستنار عن الغموض الذي لفَّه حول تلك الفكرة، وعليه فإنَّ عنصرَ الكتابة رائزٌ رئيسٌ للنَّص عند ريكور، والكلام عنده سابق زمنيا للكتابة، مما يقرر– ذلك – أن الخطاب أسبق من النَّص، فالمسألة – النص والخطاب – عند ريكور شكليَّة لا غير. لكن السؤال الذي تطرحه الدراسة بقوة: هل الكتابة هي المميز الفاصل بين الخطاب والنَّص؟

---

(1) انظر: فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النَّص**، القاهرة، سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان، ١٩٩٦، ص٢٩٧.

(2) فانسون جوف، **رولان بارث والأدب**، ترجمة: محمد سويتري، ط١، أفريقيا الشرق، ١٩٩٤، ص٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجدير ذكره أنَّ جون ديبوا (Jean Dobois) قد خالف ريكور في اقتصاره علـــى حـــده لمفهوم النَّص على الكتابة، فجعل مرتكز تكوينه على الكلام الملفوظ عندما قال " النَّص مجموعٌ من الملفوظات اللُّغوية الخاضعة للتحليل، فهو إذن عينة من الـــسلوك الإنـــساني المنطـــوق أو المكتوب"[١]، كما عرف بوجراند النَّص معتمدا – في ذلك – على نصيته المتحققة بسبعة معايير في قوله: "النص حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معـــايير، وهـــي: الـــربط، التماسك، القصدية، المقبولية، الاخبارية، الموقفية، التناص"[٢]، لكن المتمعن في تعريف بوجراند يجد أنَّه يتفيَّأ ظلال البراغماتية في حده لمفهوم النص؛ إذ إنه يشترط في تحديد النَّص أن يشتمل على مرسل ومستقبل في العملية التواصلية.

وهذا على وفق ما تراه الدراسة يدخل في باب الخطاب – الذي ستوضحه الدراسة لاحقـــا في مبحث الخطاب – يُلحظ أنَّ بعضهم عرَّفَ النَّص مستندا بذلك على مزيَّة البناء أو الإنشاء، أو أنه نسيج لغوي ذو بنية متماسكة كما فعل رولان بارت (R. Barthes) بقولـــه: " إنَّ الدراســـة المعجمية للكلمة تكشف أنها تدل على النسيج، ومن هنا، يمكن القول إنَّ نـــسج الكلمـــات يعنـــي تركيب النَّص... أنه نسيج من الكلمات ومجموعة لغوية وجسم لغوي"[٣]، وانتهج مرتاض نهـــج بارت في حده المفاهيمي للنَّص عندما وضَّح مفهوم النسيج اللغوي قـــائلاً: "مـــثلا فـــي أصـــل

---

(١) بوقرة، نعمان، **المصطلح اللساني، قراءة سياقية تأصيلية**، منشورات مخبر اللسانيات واللُّغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: بوجراند، روبرت، **النَّص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص ١٣٠-١٠٥.

(٣) انظر: خمري، حسين، **نظرية النَّص: من بنية المعنى إلى سيمائية الدال**، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٧م، ص ٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاشتقاق في اللُّغة الفرنسية يعني النسج؛ فكأنَّه نسج للكلام الناشئ عن فعل الكتابة التي تشبه في بعض وجوهها عملية الناسج حين ينسج"[١].

وأصحاب المنهج البنيوي يرون لزوم قطع النَّص عن مبدعه وسياقاته بأنواعها الاجتماعيَّة والنفسيَّة والتاريخيَّة، فالنَّص بنية مغلقة في مستوييه النَّحويِّ والدَّلاليِّ، وهؤلاء يمثلون المنهج البنيوي الذي يعد النَّص بنية مغلقة تحتوي على علاقات منظمة، فإذا حدث اختلال في طرف من أطراف العملية التواصلية، فإن هذا الخلل يؤثر في بقية الأطراف، ويتعامل مع كل نص باستقلالية وخصوصية، ولا يتجاوز النَّص في رصد المعطيات التي يصوغها وينتجها[٢]، فهو يستبعد علاقات النَّص بواقعه وبمبدعه، وينتصر للتحليل البنيوي الشكلي الذي يرى أنه وحده الكفيل بإبراز السمات النَّصية[٣] ومن هؤلاء تودوروف (Todorov) الذي يرى أنَّ النَّص قد يكون جملة صغيرة أو كبيرة، أو كتابا بأكمله في قوله " النَّص قد يتطابق مع الجُملة، كما أنَّهُ قد يتطابق مع كتاب بأكمله، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه"[٤]، ويتابعه فاينرش (H. Weinrich) حيث يجعل النَّص " تكويناً حتمياً أجزاؤه ثابتة؛ لعله يريد أن يقول: إنه كلية مترابطة الأجزاء، تتابع الجمل فيها وفق نظام، وتسهم كل جملة في فهم ما تليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة، بحيث يتحقق المعنى من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى"[٥].

---

(١) مرتاض، عبد الملك، **في نظرية النَّص الأدبي**، الموقف الأدبي، دمشق، ع٢٠١، ١٩٨٨، ص٤٨.

(٢) نور الدين، صدوق، **حدود النَّص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع**، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤، ص٧.

(٣) انظر: عزام، **النَّص الغائب**، ص١٩.

(٤) عياشي، منذر، **مقالات في الأسلوبية**، دمشق . ط١: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص١٢٨، التراكم العلاماتي بين النَّص المكتوب والنَّص المنطوق، ١٩٩٠، ص٦٧.

(٥) كليطو، عبد الفتاح، **الأدب والعزلة: دراسات بنيوية في الأدب العربي**، ط٣، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٧، ص١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وثمة فريق آخر ينظر إلى النص من منظور يتصل بمعناه المعجمي، وهو الظهور الدلالي، فيرى الأزهر الزناد أنه " ما به يظهر المعنى"[١]، وحتى يتضح المعنى المراد من النَّص بالنسبة للقارئ, ثمة عدة سبل تختلف باختلاف الدارسين، ولا يُنظر عادة إلى حجم الملفوظ حتى يُحكم عليه بأنَّه نصٌ، فكل ملفوظ قد يطلق عليه نصا مهما اختلفت المعيارية في حجمه إذا تَكوَّن من مجموعة من الوحدات اللغوية التي تحقق الهدف التواصلي المطلوب.

وعليه، فإن النَّص قد يكون جملة استعمالية، أو يكون عدة جمل تواصلية، وقد يكون سلسلة من الجمل المتتابعة تعتمد في طولها وقصرها على حاجة السياق للوضوح وكمال الفهم، وهذا ما ذهب إليه هاليداي (Halliday) ورقية حسن في تعريفهما للنَّص –استعمالياً– بأنَّه "وحدة لغوية في طور الاستعمال، فهو وحدة كلية دلالية لها وظيفة تواصلية، وليس وحدة نحوية كالجملة مثلاً"[٢]، لعله وَضُحَ مما ذكر آنفا أنَّ هاليداي ورقيَّة حسن لم يُركِّزا على الشَّكل اللُّغويِّ للنَّص، بل وضعا سمةً ووظيفةً جديدةً للسِّياقِ ألا وهي التواصليَّة، فإحداث وظيفة التواصلية – عندهما– شرطٌ رئيسٌ للحكم على نصيَّة النَّص.

وثمَّة من تعمَّق في تعريف النص؛ إذ قرنه بالتَّناصِّ، وعدَّه مجموعة من النَّصوص المتداخلة، ولم يشترط أن يكون النَّص مكتوبًا، لذلك فقد عد الرسومات والإشارات نصوصًا (إشارة المرور، إشارات التحذير، إشارات الإرشاد) [٣]، وهذا يلتقي مع المنهج السيميائي في

---

(١) الزناد، الأزهر، **نسيج النَّص**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص١٢.

(٢) انظر: العموش، خلود، **الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النَّص والسياق**، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥، ص١٩.

(٣) انظر: مرتاض، عبد الملك، **نظرية، نص، أدب، ثلاثة مفاهيم نقدية بين التراث والحداثة قراءة جديدة لتراثنا النقدي**، المجلد الأول، نادي الأدب الثقافي بجدة، جدة، ١٩٨٨، ص٢٢٦–٢٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعريفها للنَّص، فقد جاءت تعريفات السيميائيَّة للـنَّص علـى يـد فيليـب سـولرز (Sollers Phillippe) وجوليا كرستيفا؛ حيث ميَّز سولرز بين ثلاثة مستويات للنَّص[1]:

١- الطبقة السَّطحيَّة للنَّص؛ الألفاظ والجُمل والمقاطع...

٢- الطبقة الوسطى؛ وهي التناص أو الجسد المادي للنَّص، وهو لا يكتب من جمل أو كلمات وإنما من نصوص، حيث تتقاطع الكتب فيما بينها... وهو ما أُطلـق عليـه سـولزر " اختراقية الكتابة"

٣- الطَّبقة العميقة فهي " الكتابة" أو انفتاح اللُّغة.

أمَّا جوليا كريستيفا فالنَّص في رأيها مكننة ذات نظام أو " جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللُّغة، ويكشف العلاقة بين الكلمات والتواصلية، مشيرًا إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها. والنَّص نتيجة لذلك إنما هو عمليـة تواصـلية"[2]، فالنَّص عند كريستيفا نُصٌّ ظاهر جلي ونص آخر يتم استنتاجه من النَّص الظَّاهرِ، فهي تعطـي القارئ المجال لفهم النص من خلال قدرته على التأويل، فالنَّص عندها يبحث عن كينونته خارج الإطار الشكلي للألفاظ المُشكِّلة للنَّص، فهي تسعى لإنشاء علاقة بين النص وعالمه الخـارجي، والتناص عند كرستيفا مركوز بشكل أساسي على علاقتة بالنَّص، فالتناص نوع من تأويل النَّص أو هو الفضاء الذي يتحرك فيه القارئ بحرية تامة.

إنَّ النَّص في كنهه، شكل لغوي ذو وظيفة تواصليَّة وتخاطبيَّة، مكون من نـسيج لغـوي مترابطا نطقا وكتابة، ويظهر هذا جليا في تعريف فان دايك (V. Dijk) للنَّص حيـث يقـول"

---

(١) أبو زنيد، عثمان، **نحو النَّص: إطار نظري ودراسات تطبيقية**، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩، ص١٥.

(٢) فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب علم النَّص**، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦، ص٢٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النَّص علامات لغوية ذات أشكال خاصة منتظمة منطوقة أو مكتوبة، على أن تكون العلامات دالة وظيفية في التواصل الإنساني"[١]، ولعله أراد أن النَّص عبارة عن وحدة دلالية لا تتحقق إلا من خلال ربطها بسياقها، وهذا الربط لا يتحقق إلا بفعل تواصلي، فالعلامة اللغوية كائن لساني، لا يتم التعرف عليه بذاته، ولكن من خلال صيرورته وتحولاته. ولمَّا كان هذا حالها، فقد ارتبطت في كل آنٍ من آنات تغيراتها إلى سياق به تُحدد تلك التغيرات.

ويوضح (شميث) مفهوم التواصلية النصية في قوله: " إنَّ النص كلٌّ تكوينٍ لغوي منطوق من حدث اتصالي في إطار عملية اتصاليَّة محددة من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي يحقق إمكانية قدرة إنجاز جليَّة"[٢]، ويبدو أنَّ تعريف هارتمان(Hartman) للنَّص قريبٌ من تعريف شميث، الذي يرى أنَّ النَّص " علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"[٣]، يتضح –مما ذكر آنفا– أنَّ تعريف النَّص أنَّه مرتبط بدائرة مفهومية ذات عناصر ثلاثة هي: شَّكله اللَّغوي ووظيفته التواصلية والإشارات الدَّلاليَّة.

وبناء على ما تقدم من تلكم التعريفات فإنَّ جلها يرى النَّص شكلًا لغويًا سواء أكان منطوقًا أم مكتوبًا، ذا صلة وثيقة بالوظيفة التواصلية والتخاطبية، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مفهوم النَّص بهذه الكيفيَّة التي جاءت عند عدد من اللسانين مرادف لمفهوم الخطاب، كما سيتبين ذلك معنا لاحقاً.

---

(١) الجاسم، محمود، **مفهوم النَّص في العربية بين القديم والحديث**، مجلة جذور، جدة، النادي الثقافي الأدبي، ج٣١، ٢٠١١، ص٥٠.

(٢) **نفسه**، ص ٥٠.

(٣) بحيري، سعيد، **علم لغة النص**، ص ١٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب- الخطاب لغة:

الخطاب لغةً مراجعة الكلام، هذا ما جاء به ابن منظور في لسان العرب بقوله: " الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام"[1]، ويتضح من خلال ما جمعه ابن منظر في تعريف الخطاب أنه ليس كلاما فحسب، بل مراجعة الكلام، ولعله يريد أن يقول: أنَّ الخطاب لا يكون خطابا ولا يتخذ صفة المخاطبة أو التخاطب ما لم تتوفر له عدة عناصر: أولها **الكلام**، وهو الرسالة التي يجردها صاحبها من سياقها المقامي، فهي مجرد نص خالٍ من مقاميته، وثانيا **الموقف** أو المقام الذي تتم فيه عملية مراجعة الكلام، وثالثا وهو أكثر العناصر أهمية وهو **المرسل والمخاطب** (التخاطب)، فإذا توافرت هذه العناصر مجتمعة فإنه يمكن أن يُطلقَ عليها خطابا.

وتميل الدراسة إلى كلام ابن منظور في الخطاب وعناصره، ففيه من الواقعية ما فيه لا سيما إذا علمنا أن اللغويات البراغماتية توافق رؤية ابن منظور في تعريف الخطاب بأنه" ليس هو الكلام، إنه واقع وسيط بين اللُّغة والكلام"[2]، فالحوارية التخاطبية بين المرسل والمتلقي أثناء عملية الكلام تفترض -بما لا شك فيه- وجود مقام ما، وهذا المقام محاط بظروف اجتماعية، فكما قال البلاغيون: لكل مقام مقال، ومراجعة الكلام والحوارية بين المتخاطبين تبرز بوضوح الذاتية المتمثلة بالأنا"المرسل" وأنت " المستقبل"، وتوجيه الكلام من المرسل إلى المستقبل يكون توجيها مقصودا؛ أي يتخذ سمة القصدية في الخطاب، وهذه القصدية كفيلة بإحداث عملية تواصل بين طرفي الخطاب، ومن ثَمَّ تتحصل الفائدة المتفق عليها ضمنا بين عنصري الخطاب، فلو لم

---

(١) **لسان العرب**، مادة (خطب).

(٢) حجازي، عبد الرحمن: **مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة**، مجلة علامات، م١٥، ج٥٧، ٢٠٠٥م، ص١٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تتحصل الفائدة بينهما سيؤدي ذلك إلى نتيجة حتمية ألا وهي قطع عملية التواصل وعدم الاستمرار.

وجملة القول فيما سبق ذكره، أن الخطاب يتصف بصفات عدة (الصفة الاجتماعية، الصفة الذاتية المتمثلة " بأنا وأنت"، الصفة القصدية التي تتمخض من خلالها الفائدة المقصودة، والصفة التواصلية). وتوافق الدراسة على ما استنتج الزبيدي في قوله " الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[1]، فلعل المعنى اللُّغوي – عند اللُّغويين – يتصف بصفة المشافهة أي الحواريَّة الثنائية القائمة التي يتم من خلالها إحداث ظاهرة التأثر والتأثير حول قضيَّةٍ معينة، ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ هذا التَّعريف اللُّغوي ينماز عما سبق ذكره بأنَّه بدا تركيزه واضحا على الجَّانبِ الماديِّ، وظهر إهماله الجانب الذَّهني للخِطاب، ولعل هذا التعريف يريد أن يضع حدا مائزا بين النص والخطاب بجعل المشافهة سمة الخطاب، الكتابة سمة نص – كما هو عند عدد غير قليل من اللغوين–.

الخطاب اصطلاحاً:

اختلف العلماء اللُّغويون في مفهومِ الخِطاب وماهيَّته، كما اختلفوا في ماهية النص، فالحدُّ المفاهيميُّ للخطاب عند الأصوليين ما "يدلُّ على ما خوطب به وهو الكلام"[2]، ولعل عودة بحثية واسعة لأهم الدراسات النصية – نلحظ أنَّ ثمة إجماعا منعقدا فيها على الريادة في هذا المجال تعود إلى هاريس (Harris) كما رشح ذلك في مقال له موسوم بـ"تحليل الخطاب" (Discourse Analysis) عام ١٩٥٢م، حيث فجَّر في هذه المقالة تمرده على الجملة البلومفيدية، ونقل فيه اهتمام علم اللُّغة من الجملة التوليدية التحويلية إلى بنية أكبر سماها "الخطاب"، الذي بناه على

---

(١) **تاج العروس**، مادة (خطب).

(٢) حمادي، إدريس، **الخطاب الشرعي وطرق استثماره**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤، ص٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منهجية السلسلة التوزيعية، حيث عرف الخطاب بأنَّه" ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمـــل، تكوّن جملة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعيـــة، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[١].

وثمة من جعله عملية عقلية يتم تحقيقها عبر تراكيب لغوية متتابعة، وهذه التراكيب تعبر عن الفكر المتخزن في الدماغ، كما وضُح من قول لا لاند في تعريف الخطاب بأنـــه: " عمليـــة فكرية تجري ضمن سلسلة أولية جزئية ومتتابعة، وعلى نحو خاص هو تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة"[٢]، ويفسر الحلو هذا التعريف في جعله الخطاب" كلامـــا علنيا موجها إلى الآخرين، وهو عملية عقلية متكاملة تترابط أجزاؤها ترابطا منطقيا"[٣]، يُلحـــظ من كلاميهما (لا لاند والحلو) أن العقل صاحب السلطة في الترابط المنطقـــي وتوليـــد الجمـــل المتتابعة، فهي بداية تتشكل ذهنيا، وتنتهي جملا منطوقة بشكل متماسك.

ويضيف فان دايك وبراون يول في دراستهما للخطاب الوظيفة التواصلية في قولهما:" أنَّ الخطاب بوصفه عملية تواصلية لا مجرد منتج لغوي معزول عن السياق وأطراف التواصل"[٤]، ولعل من أهم ما يمكن أن يميز تعريفات الخطاب السابقة ربطها للخطاب من الناحية الإنتاجيـــة بعمليتين لغويتين هما: عملية عقلية تعمل على ترتيب عناصر الخطاب في الذهن، وامتلاكه هدفا

---

(١) نقلاً عن: يقطين، سعيد، **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٧.

(٢) لا لاند، أندريه، **موسوعة لا لا ند الفلسفية**. ترجمة: خليل أحمد خليلو أحمد عويدات، بيروت، لبنان، منشورات عويدات، ١٩٩٦م، ٢٨٧/١.

(٣) الحلو، عبده، **معجم المصطلحات الفلسفية**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٤، ص٤٥.

(٤) نقلا عن:أبو دلو، أحمد، **تحليل الخطاب الجدلي في القرآن، دراسة في لسانيات النص**، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م، ص١٩-٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رئيسا هو التواصلية الاستعمالية مع الآخر، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ الخطـــاب حدث فعلي مباشر بين مرسل ومستقبل، وأنَّ النَّصَّ يستظل بمظلة الخطاب اللغوي التواصلي.

ويقارن فوكو بين الخطاب والنص، فيرى أنَّ الخطاب يتسم بسمة الشمولية أكثـــر مـــن النص، في أثناء عرضه لما يميز الخطاب عن غيره، وربط عملية إنتاجه بالعمليات الذهنية، في قوله: "مصطلح لساني متميز عن النَّص والكلام والكتابة وغيرها، وبشموله لكل إنتـــاج ذهنـــي سواء أكان نثرا أم شعرا منطوقا أم مكتوبا، ذاتياً أم محسوساً في حين أن المصطلحات الأخـــرى تقتصر على جانب واحد"[١]، ويستحدث النكري وظيفة أخرى مشتقة من الوظيفة التواصلية، التي بها حاجة إلى مزيد من استعمال العمليات الذهنية؛ غاية تحقيق وظيفـــة الافهـــام، فـــي قولـــه: "الخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل منه إلى ما يقع به التخاطب من الكلام لفظيا أو نفسيا"[٢] وعلى هذا فهو ليس مجرد غاية بحد ذاته وإنما وسيلة تشكِّل بترابطها المنطقي الهـــدف المروم منها ألا وهو الإفهام.

ولعل ربط الخطاب بالكلام وحده فحسب، فيه من التأطير المفـــاهيمي للمـــصطلح؛ لأنَّ المكتوب والملفوظ والمرسوم خطابات موجهة لها هدف تسعى لتحقيقه، وهذا ما أشار إليه استيتة في حده لمفهوم الخطاب قائلا " الخطاب يتجاوز حدود اللُّغة المنطوقة وغير المنطوقة؛ ليـــضع تحت جوانحه كل ما نعبر به عن أنفسنا للآخرين، وما يعبرون لنا به عن أنفسهم، فالخطاب على

---

(١) نقلا عن العرود، أحمد ياسين، **دراسة في تحول الخطاب العربي في عصر النهضة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب– قسم اللُّغة العربية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦، ص ١٤.

(٢) النكري، عبدالغني الأحمد، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٩٧٥م، ٨٢/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا التصور ذو لغتين إحداهما منطوقة، والأخرى غير منطوقة"[١]، وثمَّة من يشترط في كمال الخطاب وتمام وظيفته أن يكون فيه متكلم (مرسل) وسامع (مستقبل) كما قال بنفست في أثناء وصفه للخطاب بأنَّه: "كل ملفوظ مشترط بمتكلم ومستمع، وعنده الأول فيه التأثير على الثاني بكيفية ما"[٢]، لعل بؤرة الاهتمام في تأطير بنفست للخطاب مرتكز على تحديده لعنصري الخطاب وهما: الارسال والاستقبال على وفق بنى لغوية متسلسة حسب نظام معين، ومدى قدرة هذه البنى في التأثير في العملية التواصلية بين المرسل والمستقبل.

بناء على ما تقدم من تلكم التعريفات المفاهيمية – الآنفة الذكر– لمصطلح الخطاب، يتضح أنَّها تربط –معجماً واصطلاحاً– باللغة التواصل، وهذا يلتقي مع المقولة التي تقول: إن اللُّغة حدث تواصلي يتم عن طريق العملية التواصلية بين المرسل والمستقبل. وإذا كان الحد المفاهيمي للخطاب يتحدد على ذلك، فلا تجد الدراسة فرقا– إذًا – بينه وبين النَّص، وهذا يعزز وجود الإشكالية المفاهيمية التي طرحتها الدراسة آنفا، والتي تعود في جذورها إلى عدم وجود حدود مائزة فاصلة ودقيقة بين المصطلحين، فتارة يُستخدم الخطاب مرادفا للنص، وطورا العكس صحيح، الأمر الذي يزيد من التعقيد الاصطلاحي، ويبعد من الحدود الفاصلة بين المفهومين، على الرغم من استعمال المصطلحين استعمالا مترادفا في كثير من المواطن، إلا أنه في بعض المواطن لا يصلح أن يُستخدم أحدهما مكان الآخر، وهذا يقودنا إلى جرأة الاستنتاج والقول: بأنَّه ثمة فرقا بائنا بين المصطلحين وستعمل الدراسة على إيضاحه تمام الوضوح في

---

(١) إستيتية، سمير، **اللُّغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، ط١، ٢٠٠٠٢، ص١٦.

(٢) نقلا عن: المديني، أحمد، **في أصول الخطاب النقدي الجديد**، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٨٧، ص٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أثناء محاورتها البعد التطبيقي منها؛ لتضع حدا مائزا بين المصطلحين في ضوء فهم الدراسة لهما.

ج- البعد التطبيقي لمصطلحي النَّص والخطاب:

تختبر الدراسة في هذه الجزئية مصطلحي النَّص والخطاب اتكاء على المنهجية التطبيقية (العملية)؛ لأنهما يستعملان بحياتنا بشقيها العلمي والعملي، ومن خلال الاستقراء لبعض الاستعمالات العملية يتبين أن ثمة فرقا مائزا في الاستعمال العملي لهما، بعيدا عن التأطير المفاهيمي.

إذا حللنا -على سبيل المثال- عبارة (عمرو مجتهدٌ) التي يستعملها النحويون في مصنفاتهم- على سبيل التوضيح والشرح - نجد أنَّها تمثيلة توضيحية بعيدة كلَّ البعد عن المقام والزمكانية والشخوص، فليس ثمة بعد مقامي لها، وإنما هي عبارة مصوغة صياغة تعليمية؛ من أجل ترسيخ وتوضيح قاعدة نحوية ما، وتوضيح ما قعده النحويون من قواعد، وعليه، فإن التقعيد يقوم - في الأساس- على البعد الذهني للغة المتمثل بشكلها الظاهر، وليس على البعد المقامي والتداولي[1].

ولعل العبارة – الآنفة التحليل - (عمرو مجتهد) مالكة بعدًا مقاميا متمثلا بالشخوص والزمكانية المحيطة بها، إلا أنه ينماز بأنه بعد وضعي اكتسبته الجملة من خلال الاستعمال الفعلي، وليس إبان استعمالها للقواعدي، إذ لو درست هذه العبارة ضمن دائرة الواقع الاستعمالي لكانت خطابا وليس نصًّا؛ لأنَّ الألفاظ اللُّغويَّة لا تكتسب المعاني المعجمية أو دلالاتها التداوليَّة

---

[1] ثمة عدد من المسائل النحوية أُسست بناء على البعد التداولي؛ لأنها مسائل لا يمكن فهمها بعيدا عن إطار المقام والشخوص والزمكانية والتخاطب مثل: مسائل الحذف وغيرها، انظر: صفا، فيصل، **(نحو النَّص) في النحو العربي:** دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ج٢٣، ع٩٢، ٢٠٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلا عبر عملية تخاطبية حدثت في زمن معين. وأَلِفَها النَّاس من خلال تداولها، وهكـذا تحـدث عملية تطوير اللغات وانتاج اللهجات الدارجة، ويأتي دور المعاجم في تدوين وحفظ المعاني التي تم تداولها في الواقع الاستعمالي. فالخطاب – بناء على هذه النظرة المفاهيمية الواقعية – ما هو إلا ارتباط النَّص بسياقه[١]، بمعنى أو بآخر، فالكلام تعابير يتم مزجها بالسياق المقامي.

وجملة القول فيما سبق، أنَّ ثمَّة فرقًا بيَّنا بين النَّص والخطاب من حيثُ الاستعمال الفعلي والتطبيق، فالنَّص متمثل في العملية التَّنظيرية والتَّعليمية المرتبطة بالذِّهن البعيدة عن الاستعمال الفعلي للُّغة. كما أن النَّص يدلُّ على المعنى من ظاهر اللفظ وشكله، وبناء عليه، نستطيع أن نفهم ما قعَّدَهُ الأصوليون في عبارتهم: لا اجتهاد مع نصٍ، بمعنى لا اجتهاد مع ما هو جلي وواضـحٌ من خلال الدلالة المنطوقة، فلا حاجة للنظر إلى الزمكانية والمقام والموقـف. لـذا، تُـستعمل عبارات يكون فيها الحكم أو الدلالة ظاهرة من المنطوق، ولا نحتاج إلى معرفة الموقف أو المقام حتى نستكنه المراد والمطلوب منه، ونمذجة هذه العبارات على شاكلة: " "وارد بنص الآية"، "هذا فيه نص قطعي" "، "بنص الحديث" إلى غير ذلك من العبارات التي تُفهم ماهيتها من خلاله شكلها الظاهري الذي ليس به حاجة إلى تأويل ولا إلى العودة إلى زمكانية المقام والموقف، ولعل مـا يدل على أن المقصود من النَّص هو المعنى الظاهر للشكل، وجود عدد من الآيات اختلف العلماء حول فهمها وما المقصود بها[٢].

---

(١) انظر: مانغونو، دومنيك: **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحاتين، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٢٨.

(٢) ثمة عدد من الآيات شابها خلاف فقهي بين الفقهاء وذلك في فهم مقصدها، وهي موجودة في كتب الفقه وأصوله، وكتب الفتاوى، انظر على سبيل التمثيل لا الحصر: الخضري، محمد، **تاريخ التشريع الإسلامي**، بيروت، دار الكتاب، ١٩٩٤، ص ٨١-٨٢. وابن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، مؤسسة ناصر للثقافة.(د.ت)، ص ٥٧و ص ٨٥-٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لكن تجدر الإشارة –هاهنا– إلى أنَّ النَّصَّ على وفق هذا المفهوم لا يتعارض مع الخطاب الذي يدل على الاستعمال الفعلي للغة، لكنه يدخل ضمن مستويات الخطاب، ومن هنا يمكن لنا الاستنتاج على قاعدة خطابية مفادها: أنَّ كلَّ خطاب هو نصٌ بالضرورة، وليس كلُّ نصٍ خطابًا[1]، وهذا يقودنا إلى تحديد مفهوم الخطاب بعبارة رياضية مؤداها: **الخطاب = النَّص+ السياق المقامي** فلو نُظر إلى بعض الاستعمالات النَّحوية لوُجد أنَّ ثمة مصطلحاتٍ ارتبطت بالخطاب ولا يجوز أن تأتي مع النَّص، ومن هذه المصطلحات " كاف المخاطبة" فقد ربطها النحويون بدلالة الخطاب، ولم تندرج في كتب النحاة على أنها كاف النَّص؛ لأنَّه شكل لا يمثل أي قيمة دون واقعه الاستعمالي (عملية التخاطب) المرتبطة بالمقام والشخوص والزمان والمكان، فيعود ارتباط الكاف شكلا بدلالة الخطاب إلى تعذر تمثيله واستعماله في غير الخطاب، فالنَّص يمثل الجانب النظري غير الاستعمالي، وثمة أيضا بعض المصطلحات ارتبطت بالخطاب دون النَّص: فيقال في الإعلام –على سبيل التمثيل– خطاب العرش السامي لمن أراد من الملوك والرؤساء إلقاء كلمة على مسامع مواطنيه، فيكون –هناك– معايشة واقعية لعملية الخطاب، فالملك يخطب والرعية تستمع ويحدث –بسبب ذلك– التأثر والتأثير، فلا يتصور أن يكون –هناك– خطاب سياسي إلا إذا كان هناك حدث ذا بُعدَي التأثر والتأثير، ولنأخذ –نموذج– على الخِطاب السياسي المتمثل بتكليف جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين لدولة رئيس الوزراء عبدالله النسور بتشكيل حكومة وزارية، حيث جاء الخطاب الملكي على النحو التالي:

---

[1] انظر: الكوفحي، يوسف، **الأبعاد التداولية للخطاب القراني في سورة المائدة**، جامعة اليرموك، ٢٠١٣، ص٢١، الرسالة غير منشورة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عزيزنا دولة الأخ الدكتور عبدالله النسور، حفظك الله ورعاك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فيطيب لي أن أبعث إليك بتحية ملؤها التقدير لجهودك الوطنية الموصولة والاعتزاز بسيرتك المهنية الرائدة، والتي كانت على الدوام موضع تقدير واحترام أما وقد تلقيت تقرير نتائج المشاورات، التي أوكلناها إلى رئيس ديواننا الملكي الهاشمي مع كافة الكتل النيابية وأعضاء مجلس النواب، وفي ضوء نتائج هذه المشاورات، فإنني أعهد إليك بتأليف حكومة جديدة، وأن تباشر فورا عملية التشاور لتأليف الوزارة... عبدالله الثاني ابن الحسين

عمّان في ٢٧ ربيع الثاني ١٤٣٤ هجرية

الموافق ٩ آذار ٢٠١٣ ميلادية

ويبدو أنَّ الخطاب يدل على أنَّ ثمَّة متكلما ومستمعا وتأثيرا وتأثرا وعملية منجزة متمثلة واقعًا، وعليه، فإنَّ أي خطاب لا يمكن إدراكه بوصفه حدثا تواصليا دون إدراك الظروف الزمكانية وأحوال المخاطبين والعملية الثنائية القائمة على التأثر والتأثير، وهذا النوع من المخاطبات لايمكن عدها نصوصا مجردة عن السياق المقامي؛ لأنَّ وظيفتها التأثير في الآخر المستمع، والتغير على أرض الواقع، وفي هذا الصدد يقول بنفست (Benveniste)" كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[١]، وكذلك الخطاب الديني (على سبيل المثال خطبة الجمعة المأخوذة من الخطاب أي أنها موجه لجمهور ما)، فيلحظ أن الخطاب ارتبط بهذه المصطلحات، ولم ترد مع النَّص؛ ولعل السبب في ذلك عائد إلى أنها تلامس الواقع، وتعيشه بخلاف النَّص الذي يبين الإطار الذهني فحسب.

---

[١] يقطين، سعيد، **انفتاح النص الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص١٥-١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي الجانب الإداري، وذلك من خلال تعامل الرئيس مع مرؤوسيه، قد يصدر المدير في العمل قرار موافقا لنص القانون، لكن عندها كثيرا ما نسمع عبارة " روح القانون وروح النَّص"، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على حتمية فهم القانون أو نص القانون بوصفه خطابا يخضع لسطوة المقام والحدث والأشخاص وما يلازم هذا المقام من ظروف وأحوال محيطة بالقانون، فمن يفهم نص القانون الإداري يتحتم عليه أن يفهم أنه نص خاضع لموقف وليس المقصود به نص حرفي يتم تطبيقه بحرفيته النصية.

في الجانب الرياضي من خلال ما قد يحدث في مباريات كرة القدم، قد يشهر الحكم البطاقة الحمراء في وجه لاعب كرة القدم، فنسمع معلق المبارة يقول: كان ينبغي على الحكم التعامل بروح القانون أو نص القانون؛ أي التعامل مع الموقف والظروف المحيطة بالموقف، ولا يتخذ من نص القانون ذريعة لتنفيذ القانون؛ فروح النَّص (القانون) بوصفه خطابا خاضعا للموقف والحالة المحيطة بنص القانون، تُحتِّم على الحكم التعامل مع ظروف المباراة بوصفها واقعاً استعمالياً له ظروفه المحيطة التي تقدر بقدرها.

وعليه، فإنَّ الفهم والإدراك لما سبق من توضيح وبيان حول اختلاف العلماء لمفهومي النص والخطاب يجعلنا نعرف أين نطأ بأقدامنا على أرض تزخر بالإئتلاف والاختلاف من المفاهيم والمصطلحات، بعد سبر غور مفاهيمهم، وفرزها وتصنيفها التصنيف التحليلي التطبيقي؛ لنضع حدود مائزة بينهما.

فلعل الوظيفة الاستعمالية المرتبطة بمفهوم الخطاب، جعلته وثيق الصلة والترابط بمناهج الحياة كلها (السياسية والدينية والإدارية والرياضية... إلخ) هو ممارسة لغوية فعلية ملموسة للغة التي لا يمكن فهمها بمنأى عن الزمكانية والظروف المحيطة بها، و هذا الشهري نراه يؤكد ما ذهبت إليه الدراسة بقوله: "إنَّ اللُّغة موجودة بالقوة، في حين أنَّ الخطاب هو ما يوجدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالفعل"[١]، لكن لا يوجد لغة مصوغة وحدها بل مضيفة إلى النواحي الاجتماعية، والتواصلية، والقصدية، فضلا عن الظروف المقامية والسياقية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الخطاب أشمل من النَّص وأوسع؛ فهو يمثل الواقع الملموس غير المقتصر على التنظير.

وجملة البيان فيما مضى من التحليل التطبيقي للخطاب والنَّص؛ يمكن للدراسة أن تقول: إنَّ الخطاب يمثل الاستعمال الفعلي للغة؛ بمعنى أن للخطاب أهدافا ومقاصد لا يمكن فهمها أو الوصول إليها بمنأى الظروف المحيطة (زمان، مكان، مقام)، بل تظهر واضحة جلية في المقام الذي تشكلت فيه اللُّغة، فهو يدخل ضمن إطار العملية التواصلية للغة، ويؤكد هذا ما جاء به ج.م.آدام (J.M. Adam) حينما قال عن الخطاب" كلام يُنجز في ظرفية ما من ظروف التواصل، وهي ظرفية تعامل اجتماعية خطابية"[٢]، فالخطاب حصيلة السمات الاجتماعية، والذاتية، والقصدية والتواصلية والنَّص يمثل اللُّغة بمنأى عن استعمالها أو مجردة من استعمالها الفعلي بوصفها صورة ذهنية وشكلية تدخل ضمن الدائرة الشكلانية التي تُفهم من ظاهر النص ولا تحتاج إلى تأويل كونها انعكاسا للأفكار الذهنية المُتشكِّلةِ في الذِّهن، ويلخص الحربي الفرق بين النَّص والخطاب بقوله "إن مفهوم الخطاب يظهر بوضوح من خلال الفصل بين اللُّغة بوصفها مفهوما مجردا، وهي نظام متجانس في الوقت نفسه وبين اللُّغة في حالة الاستخدام؛ إذ تكون ممارسة اجتماعية، وهي تكون عندئذ ظاهرة اجتماعية محكومة بجملة شروط وظروف تكون بها جزءا من سيرورة المجتمع"[٣].

---

(١) الشهري، عبد الهادي، **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤، ص ٣٧.

(٢) قريرة، توفيق، **التعامل بين بنية الخطاب وبنية النَّص الأدبي**، عالم الفكر، م٣٢، ع٢، ٢٠٠٣م، ص١٨٣.

(٣) الحربي، فرحان بدري، **الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب**، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعله من المفيد الإشارة إليه – في هذا المقام – إلى أنَّ القرآن الكريم هو خطاب بكليتــه؛ فهو مهنج فعلي لحياة البشر الواقعية، فالقرآن خطاب تتم فيه عملية التأثر والتأثير بــين متلقيــه وبيان مدى تأثرهم به؛ لأن المتلقي (موضوع الخطاب) يعد جزءاً من العملية التخاطبية المرتبطة بزمان ومكان ومقام.

كما أن القرآن الكريم هو نص أيضا بحيث إنَّ الأوامر الإلهية التي نص عليها في كتابه الكريم هي بمثابة نصوص إلا إذا دخلت حيز التنفيذ فتتحول من النص إلى الخطاب ونــضرب مثالا على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٨ ، فهذه الآية هي نص بذهنيتها بالنسبة للقارئ؛ أي أن الله تبارك وتعالى نص على هذا في كتابه، فهي قواعد تعليمية وتحذيرية للناس، أما كونها خطاباً فيتأتى ذلك مــن ناحيتين: الأولى هي أن القرآن يمثل عملية مخاطبة من الله للناس كافة وهذا يدخل ضمن عملية التواصلية والتأثر والتأثير؛ فالناس يتأثرون بما ينهى الله عنه فينتهون، أما الناحية الأخــرى ألا وهي إذا سرق سارق وطُبِّقَ عليه حد السرقة فتكون الآية الكريمة دخلت في حيــز الاســتعمال الفعلي الواقعي للغة، فتنقل القرآن من كونه نصا (تعليمات ذهنية) إلى كونه خطابا واقعــا فــي الاستعمال ودخل حيز التنفيذ.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة: ١٩٧). ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

إنَّ المتمعن في هاتين الآيتين الكريمتين يجد أنهما نصان ذهنيان يتأصل فيهما تعليمات ذهنية للمسلمين يفيدون منها في شؤونهم الدينية؛ فيعلمهم الله تبارك وتعالى كيفية أداء فريضة الحج من خلال نهيهم عن الفسوق والرفث والجدال، كما ويرغبهم سبحانه تعالى في الخير الذي يتزودن منه، وهذا الخير يقربهم من الله تبارك وتعالى، فالحكم على هذه الآية بهذا الفهم يكون نصا مجردا من الواقع الاستعمالي؛ أي اللغة في غير الاستعمال، أما إن باشر المسلمون فريضة الحج والصوم وأدوهما فعليهم أن ينتهوا عما نهاهم الله عنه، ويتقربوا إليه بالخير ويتقوه، وهذا يدخل ضمن الحيز التنفيذي والواقع الاستعمالي للغة، أي اللغة في الاستعمال، ومن الناحية الأخرى إن هاتين الآيتين يدخلان ضمن الإطار المفاهيمي للخطاب من خلال العملية التواصلية والتأثر والتأثير؛ فالقرآن يخطاب الناس ويؤثر فيهم ويتأثرون به.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: بين نحو الجملة ونحو النّص:

نالت اللغة نصيبها الوافر من الدراسات؛ فهي حلقة وصل واتصال تتم بين الشعوب من أجل الوصول إلى غايتهم المنشودة، ويقول ابن جني في هذا" إنَّ الأقوام يعبرون بها عن أغراضهم"[١]، وكانت الجملة في بداية الدرس اللغوي هي الوحدة اللغوية الكبرى، فقد قامت الدراسات ناظرة إلى الجملة على اعتبارها الوحدة اللغوية الكبرى[٢]، ولم يكن الاهتمام منصبا على الجملة من قبل اللغويين العرب فحسب، بل كان الاهتمام بالجملة منصبا أيضا من قبل المدارس الوصفية والتحويلية والتوليدية[٣]، وذلك قبل السبعينيات من القرن المنصرم، ونتج عن هذا الاهتمام جملة كبيرة من التعريفات للجملة، نذكر منها: "هي ما تعبر عن فكرة تامة"[٤]، ومنهم من عرَّفها بأنها "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة[٥]، ومنهم من عرفها بأنها" الوحدة الكبرى للوصف اللغوي"[٦]، ومنهم من عرفها "نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة"[٧]، وهذه التعريفات للجملة تؤكد استقلاليتها، حيث يقتصر دراستها من سياقها[٨]، وميز جون ليونز بين ما أُطلقَ بجملة النظام وجملة النص، فجملة النظام (System- Sentence) فهي "شكل الجملة

---

(١) انظر: ابن جني، أبو الفتح، **الخصائص**، تح: عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ٨٧/١.

(٢) بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٨٨.

(٣) الفقي، **علم اللغة النصي**، ص٥٠.

(٤) بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص٨٨.

(٥) **نفسه**، ص٨٨.

(٦) **نفسه**, ص٨٨.

(٧) **نفسه**، ص ٨٨.

(٨) عفيفي، أحمد، **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء شرف، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة المقبولة في نحو لغة ما"[١]، وهذا يجعل من الجملة أكثر استقلالية، أمَّا الجملة النَّصية (Texete- Sentence) "هي الجملة المنجزة فعلا في المقام"[٢].

تُعدُّ الجملة من الناحية النَّحوية الوحدة المحورية لبناء النَّص، فهي قُطيعة من نصٍ، ولولاها لما تشكل النص، فنحو النَّص مرتبط بنحو الجملة حتى وإن تجاوز نحو الجملة لكنه بالضرورة يمر به أو يتأسس عليه، لكن غياب الجوانب التواصلية والدلالية دفع علماء النص إلى البحث عن صيغة يمكنها جمع تلكم الجوانب، ذلك نتيجة لبعض العيوب التي وقع فيها نحو الجملة" كالإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، واخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة"[٣]، وهذا البحث شكل لهم أفقا واسعا في دراستهم للنصوص وتحقق لهم التواصلية المرتبطة بالمقام، فالنص يُطلق على" الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة التي تحكمها جملة من المبادئ، منها الانسجام والتماسك والاخبارية..." [٤]، وهذا التماسك لا ينبثق من جملٍ ولا من كلمات بل من نص متماسك حقق شروط التماسك والنصية، حيث يقول هاريس" إنَّ اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك"[٥].

ليس من ريب أنَّ "نحو الجملة" كما وضعه النُّحاة قديما يجعلنا قاصرين عن فهم اللُّغة بوصفها أداة اجتماعية وتواصلية، وذلك لأن النُّحاة عندما أسسوا القواعد والقوانين التي تحكم

---

(١) الزناد، **نسيج النص**، ص١٤.

(٢) **نفسه**، ص١٩.

(٣) هانيه، فولفاج، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، تح: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط) ١٩٩٧، ص١٨.

(٤) الزناد، **نسيج النص**، ص١٥.

(٥) فولفاج، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص ٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجملة وتضبطها، ولم يلتفتوا إلى الجانب التواصلي أو المقامي للغة، بل قاموا بعزل الجملة عزلا تاما عن سياقاتها التفاعلية والتواصلية، أي نظروا إليها باعتبارها شكلا فحسب- إلى حد ما-[١] فانطلقت نظرتهم للجملة من الشكل الظاهر لها، فقعدوا النَّحو العربي من خلال تحليل الجملة تحليلا شكليا إسناديا وصفيا، وهذا، بالطبع، جعل من هذه القواعد والأنظمة(نحو الجملة) نحوا جامدا يقتصر على الجمل التمثيلية أو الجمل المجتزأة عن سياقاتها التي قيلت فيها، وعزلها عن المقام عزلا تاما.

وهكذا فقد قسم النُّحاة الجملة إلى أنواع باعتماد معايير تقتصر على الجملة فحسب، وهذه الأنواع هي "اسمية" و"فعلية" و"بسيطة" و"مركبة"، ومهما تعددت أنواعها فإن تلك المعايير تبقى لغوية صرفة يستنبطها النحو الواصف لها من شكلها بصرف النظر عن مدلولها[٢]، فكانت أحكامهم معيارية بحتة تستنبط من شكل الجملة ودلالتها الظاهرة (دلالة المنطوق) بمنأى عن المقام الخارجي للجملة" ويتضح ذلك، في ما أشار إليه سيبويه في باب "الاستقامة من الكلام و"الإحالة"، إذ فرق بين صحة التركيب النحوي في الجملة وقبول دلالتها اللغوية، فقسمها إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هومحال كذب"[٣].

كما أن نحو الجملة "تتجسد فيه سمة الصرامة المنطقية، وذلك اعتماده على التقدير، وتصنيف الكلام إلى واجب وغير جائز، وما إلى ذلك"[٤]، ويبدو أن هذا الوصف للجملة قد

---

(١) في الحقيقة لم يتوقف الدرس اللغوي عند نحاة العرب قديما على الاتجاه الشكلي فحسب، بل قاموا بتفسير وشرح عدد غير قليل من الجمل معتمدين بذلك على الاتجاه التواصلي.انظر في ذلك: فيصل صفا، **(نحو النَّص) في النحو العربي**، الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ص٦.

(٢) الزناد، **نسيج النَّص**، ص١٧.

(٣) انظر: الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ص٥.

(٤) **نفسه**، ص٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرجها من قبضة عدد غير قليل من خصائص اللُّغة كالاتساق والانسجام والإخبارية، وهذه الخصائص هي من أهم الخصائص التي يمتاز بها النَّص[١]، وخروج البحث الجملي من دائرة تلك الخصائص، جعل للجملة حدودا ضابطة ودقيقة لا يمكن الخروج عليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهو يتعامل مع منجز فيزيائي بحت أي أشكال وتراكيب مادية منطوقة كانت أو مكتوبة.

ومن هنا، فإن الوقوف على نحو الجملة بوصفه" منظومة الأفكار والأحكام التي تبين كيفية ترابط عناصر الكلام (الجملة)، وتوضيح وظائف هذه العناصر"[٢]، يقودنا إلى السؤال عن الكيفية التي نستطيع من خلالها أن نفهم الكلام باعتباره كلاما تواصليا ومقاميا، أي بوصفه نصا، فالنَّص/الخطاب هو الكلام الذي يرتبط بمقام تداولي وتواصلي" والنَّص شيء مختلف عن الجملة فهو مرتبط بمقام خارجي يميزه (أي: يميز النَّص) عنها؛ فإنَّ نحو النص حُددت له وظائف لا يتأتى له إنجازها لو بقي النحو مقيدا بحدود الجملة، فالجملة التي يعتني بها (نحو الجملة) ليست جملة نص؛ فحين يكون التركيب مؤديا لمعنى مستقل مستفاد فقط من العناصر اللغوية الملفوظ أو المكتوب، يكون جملة لكن حين يصل المتلقي إلى معنى مفيد مستقل لا تؤديه العناصر اللغوية الملفوظة أو المكتوبة وحدها، يكون لدينا– في هذه الحال– نص لا جملة أو جملة نص"[٣]، نستنتج من هذا الكلام، إذا، أن هناك نصا وجملة، وأن كلاهما مختلف عن الآخر، فالجملة شكل تؤدي معناها من منطوقها، والنَّص شكل مركب من جملة أو جمل مرتبطة بعضها ببعض يؤدي معناه من خلال ما يحيط به من أشياء خارجة عن منطوقه وشكله كحال المتكلم، والظروف

---

(١) صفا، **نحو النص (في النحو العربي)**، ص٨٨.

(٢) صفا، **نحو النص (في النحو العربي)**، ص ٨٥.

(٣) **نفسه**، ص ٨٥–٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحيطة به وبالملفوظ، وكحال الشخوص والمتلقي، وغير ذلك مما هو مرتبط بالمقام الخـــارجي للنَّص.

وعلى ذلك، فإن نحو النَّص يخرج من إطار نحو الجملة بوصفه علما له موضعه ومنهجه وحدوده، فنحو الجملة قاصر عن بيان حدود النَّص، ومعرفة متى يكون الملفوظ نصا أو غيـــر نص، وذلك – كما سلف – ناتج عن أن نحو الجملة في أغلبه عـــزل اســـتراتيجيات الخطـــاب/ النَّص عن مكونات الجملة، وهذا العزل هو الذي أنتج ما يسمى نحو النَّص، وهو العلـــم الـــذي ينظر إلى النَّص أكان هذا النَّص جملة أم ما يفوقها أم ما هو دونها[١]، ليحلِّلَهُ تحليلا يكشف عن اتساقه وانسجامه وإخباريته وتواصليته، "فنحو النَّص يصف المنظومة الجملية المُـشكِّلة للـــنَّص ويحللها، إنه يصف الجمل وعلاقاتها الترابطية في داخل النَّص، وهو بذلك يهتم بأدوات الـــربط النَّصية المستندة إلى (محور التتابع أو الخطية)، وهو" العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض وهي تستجيب في ذلك لحتمية (الخطية) في إنجاز الكلام، وإلى (محور الاندراج) أي التركيـــب الداخلي في الجمل"[٢]. وقد قام نحو النَّص بدراسة عدد غير قليل من الظواهر التركيبية للنَّص " التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خـــلال وحدة النَّص الكلية"[٣].

وانطلاقا من الحديث السابق استطعنا أن نتوصل إلى أن للجملة قواعد وخصائص تختلف عن قواعد النَّص وخصائصه، وأن هذا الاختلاف هو الذي دفع علماء اللُّغة في بداية الـــستينيات من القرن العشرين إلى أن يجدوا علما لا يقف على حدود الجملة ومقولاتها فحسب، بل يتعـــداه

---

(١) انظر: الزناد، **نسيج النص**، ص١٦.

(٢) صفا، **نحو النص (في النحو العربي)**، ص٨٧.

(٣) البحيري، **علم لغة النص**، ص ١٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلى مقولات تحدد ما هو جملة أو ما يفوقها أو ما هو دونها، بالنظر إلـــى الاســـتخدام الـــواقعي للملفوظ لا إلى شكله أو تمثيلية، فخرجوا لنا بعلم لغة النَّص أو نحو النَّص" فكانت الحاجة ماسة إلى وضع مفاهيم ومقولات جديدة تضم عناصر لغوية وغير لغوية لم تجد مكانا متسعا في نحو الجملة"[1].

إن ما قام به نحو النَّص من وضع مقولات ومفاهيم جديدة لم تعالج في إطار الجملة هـــو الذي جعل لهذا النحو ميزة خاصة به تفصله عن نحو الجملة. ومن أهم هذه المقولات والقواعـــد التي أضافها نحو النَّص وجعلها حكما على النَّصوص، هي المقامية والتواصلية والتداولية، وعلى الرغم من أن نحو النَّص قد خرج عن نحو الجملة في كثير من مقولاته اللغوية أو غير اللغوية، إلا أن المقامية والتواصلية والتداولية لم تدع مجالا للشك في أن نحو النَّص أتى بشيء لم يأت به نحو الجملة. ومن هنا، كانت أهمية نحو النَّص في تحليل النَّصوص وتفسيرها وتأويلهـــا؛ لأنـــه بغير المقام لا يمكن أن يكون للكلام (الملفوظ) أي قيمة من حيث وجوده التواصلي والاجتماعي، ومن الجلي أن النظر في تواصلية الكلام (الملفوظ) هو الذي يبين لنا أن الملفوظ نص أو غيـــر نص، وتعد التداولية في النَّص أداة من أدوات الوصول إلى تماسك النَّص وترابطه، إن المقولات الثلاث السابقة، المقامية والتواصلية والتداولية لا تعد من بنية الشكل الظاهر للملفوظ، بل تعد مما هو خارج الملفوظ أو المنطوق، وهي من الأشياء التي غفل عنها نحو الجملة في ضبطه وتقعيده وتحليله للملفوظ (الجملة).

وعلى ذلك "فإن اللُّغة لا تظهر خصائصها إلا من خلال المنجز التلفظي في سياق معين، فقد اتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية سواء أكان ذلك من حيث التركيب، أم من حيـــث الدلالـــة

---

[1] البحيري، **علم لغة النص**، ص ١٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنطقية"[1]، وانطلاقا من هذا الكلام كان لا بد من علم يعنى بخصائص اللُّغة، وينظر إلى اللُّغة من خلال استعمالاتها ووظائفها الاجتماعيـــة والثقافيـــة والنفـــسية...الـــخ، وهـــذه الوظـــائف والاستعمالات للغة تمثل الاتجاه التواصلي في الدرس اللغوي الحديث، و هو الاتجاه الذي يتكئ عليه نحو النَّص في تحليل النَّصوص وتفسيرها. وهكذا فإنّ الوقوف على حدِّ نحو الجملة قصر عن دراسة كثير من الظواهر اللغوية وخصائصها التي يجب أن تدرس ضمن مستوى أكبر من الجملة. وهو ما استدعى الباحثين إلى أن يخرجوا من إطار نحو الجملة إلى إطار نحو النَّص.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ص٩.

المبحث الثالث: الاتّساق والانسجام:

تتناول الدراسةُ قضية لغويَّة نصيَّة تتمحور في الاتِّساق والانسجام في لغة النَّص، يمكن وصفها بأنَّها غاية في الدِّقة والفائدة النَّصيَّة، يمكن لنا القول إن موضوع الفصل بين الاتساق والانسجام في علم لغة النص ليس سهلا؛ والسبب في ذلك أن هذا الموضوع يدخل ضمن العلاقة بين الشكل والمضمون، وهي علاقةٌ جدلية لم يصل الباحثون والدارسون قديماً وحديثاً إلى تحديد دقيق يمكن الاعتماد عليه في الفصل بينهما، أو في وضع معيار واضح نستطيع من خلاله التوصل إلى ضبط هذين المفهومين وتحديد معالم كل واحد منهما، وعلى ذلك، فإننا سنجد أن النصيين لم يتوصلوا إلى تحديد واضح المعالم لهذين المفهومين ومدى تداخلهما، وتحديد المعايير الدقيقة لمعرفة ما إذا كان هذا النص متسقا أو لا، ولم يتوصلوا إلى وضع معايير بينة للانسجام من أجل معرفة ما إذا كان هذا النص منسجما أو لا، وذلك انطلاقا من الفصل بين المفهومين نظرياً وتطبيقيا، ومن ثم، فإن هذا البحث قام بتحديد المفهومين من خلال تعريفات النصيين لهما؛ وذلك في الجانب المنهجي أو النظري، وقام كذلك ببيان مدى الفصل- إن وجد الفصل- بينهما في الجانب التطبيقي في تحليل النصوص، وقامت الدراسة بدراسة ثلاثة نماذج من النصوص وهي نص من القرآن ونص من الشعر ونص من النثر، وتحليلها تحليلا يوافق ما جاء به علم لغة النص في تحليل النص/ الخطاب..

أ- مفهوم الاتِّساق (Cohesion):

لعلَّه من الحقيقة بمكان أنّ "حداثة علم لغة النَّص" عموما، ومن ضبابية مفاهيمه خصوصا، ولَّد غموضا غلَّف بعض مصطلحاته؛ فالدَّارس المتَخصص لعلم لغة النص لم يألُ جهدا في سبر أغوار هذا العلم من أجل الكشف عن الضبابية المُغَلِّفة لبعض مصطلحاته، كالانسجام والاتِّساق؛ والسَّبب في ذلك أنَّ كل دارس متخصص ينظر إلى مفهوم المصطلح من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزَّاوية التي يُعنى بها، ويطلب الغوص فيها للوصولِ إلى هدفه المنشود، إضافة عن عدم اتباع المنهجية العلمية في ترجمة المصطلحات، فقد يترجم المصطلح مترجم غير متخصص في ذلك العلم، كذلك اختلاف المدارس اللسانية التي ينتمي إلى أرومتها المنظِّرون أو علماء نحو النَّص، وغيرها من الأسباب التي أدَّت إلى الغموض والضبابية في المصطلح، لذا كان لا بد من تحديد المفهوم الدَّقيق لمصطلح الاتِّساق وغيره من المصطلحات ذات الصِّلة؛ لأنَّ المصطلحات مفاتيح العلوم والمعاني.

تتأتَّى ضرورة تحديد المصطلحات بمعنى دقيق من أجل ألا يدخل غيرها فيها، ولا يستثنى منها ما هو من صلبها. وعليه، كان لزاما على الباحث استعراض المصطلحات وثيقة الصلة بالاتِّساق حتى لا يتوهم القارىء أنَّ هذه المصطلحات تدخل تحت مظلة تعدد المصطلحات لمفهوم واحد، ولنخلص بعد ذلك إلى مفهوم دقيق يحدد معنى مصطلح الاتِّساق وغيره من المصطلحات كالانسجام، التي ستقوم عليها الدراسة بوصفها ركائز رئيسة لها.

الاتساق:

مصطلح الاتِّساق فيه من عدم الدِّقَة والاختلاط ما فيه؛ فقد تناوله بعض الدارسين باعتباره مرادفا للانسجام وهذا ما ذهب إليه إبراهيم خليل فقد أدخله في دائرة تعدُّد المصطلحات لمفهوم واحد، في قوله: " ويقتضي هذا التَّرابط أن يبنى المتأخر فيه من حيث المعنى، ومن حيث القاعدة النَّحوية على المتقدِّم أو العكس...، وذلك لا يتحقق إلا بالتماسك أو السّبك (Cohesion)، والانسجام أو الاتساق (Coherence)"[1] وهذا يدل على أنَّ إبراهيم خليل يوردهما (الاتساق والانسجام) كمصطلحين لمفهوم واحد عندما ترجمهما إلى (Coherence) بيد أنَّ

---

[1] خليل، إبراهيم، **في اللسانيات ونحو النَّص**، دار المسيرة، عمان، ط١٠، ٢٠٠٧. ص ٢١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(Coherence) تعني الانسجام فقط، أمَّا الاتِّساق فقد تم ترجمته إلى الإنجليزيـــة (Cohesion) وهذا ما ستؤَسِّس له الدراسة لاحقا نظريا وتطبيقِيا.

تعود الإرهاصات الأولى في وضع حد للمصطلحات النَّصية إلى رقَية حسن وهاليداي؛ إذ وضعا اللبنة الأولى في حد المصطلح بدقة متناهية، فقد كشفا عن إشكالية العلاقَـة بـين الـدال مدلوله، وربط العلاقة بين الأسماء وما تدل عليه من مسمَّيات، فالاتِّساقُ علـى وفـق مفهـوم هاليداي هو: "مجموعة من الأدوات اللغويَّة التي تملكها كل لغة للربط بين جزء من النص مـع الآخر، ومن هذه الأدوات "الإحالة، والوصل، والاستبدال، والحـذف"[١] وقـد تبنـى الخطـابي مصطلح الاتساق ومفهومه عند هاليداي ورقية حسن فقال: "إنّه التماسك الشديد بـين الأجـزاء المُشكِّلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمَّته"[٢]، ووصف الشاوش هذه الوسائل اللغويَّة بأنَّها "مجموعـة الإمكانـات المتاحة في اللغة لجعل أَجزاء النَّص متماسكة بعضها ببعض"[٣] مما يدلُّ أن هذه الرَّوابط شكلية، تعمل على ربط النصوص بعضها ببعض.

لعله بدا واضحا أن الاتساق بات معياراً أساسيا وميزة خاصة في بناء النص,لأن غيابه لا يجعل الكلام الملفوظ نصاً، وهو المعيار الأول و الأكثر أهمية من بين المعايير الـسبعة التـي وضعها كل من درسلر Dressler ودجراند Deaugrande لتحقيق ما يطلق عليه النصية، وقد

---

(١) **Context and text, Language, Haliday and Hassan**، P48. نقلا عن الزعبي، معاذ، **وظائف الاتساق النحوي والمعجمي في العربية تطبيق على سورة هود**، جامعة اليرموك، ٢٠١٣، ص ٢١.

(٢) خطابي، محمد، **لسانيات النَّص**، ص٥-٦.

(٣) الشاوش، محمد، **أصول تحليل الخطاب**، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١، ط١، ١/١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جعل الربط النحوي المعيار الأول[١]، وقد قصدا بالربط النحوي هو التماسك النصي، وهو يحفل بكيفية ربط مكونات النص السطحي[٢].

فالتماسك النصي وفقا لما جاءا به هو ما يظهر على البنية الظاهرة للنص، أي الروابط الشكلية للملفوظ وما تحتويه هذه الروابط من علائق نحوية تؤدي إلى تماسك الشكل ظاهرياً، وقد أوضح مداس ذلك قائلا" فهو ترابط وصفي قائم على النحو في بنيته السطحية، حيث المساحة للجمل والتراكيب والتكرار والإحالات والحذف والروابط، وهو بذلك يشتمل على التكرار عند شارول ومبدأ الهيئة عند كرايس، إنه المنظور اللساني الوصفي كما يراه محمد خطابي القائم على الاتساق وأدواته هي نفسها المعتمدة في هذا النص"[٣]، وبذلك، يتوضَّح –ممَّا ذكر آنفا، أنَّ" الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطيَّة النص"[٤].

إن الحديث عن الاتساق بوصفه سلسلة من الملفوظات المترابطة التي تشكل نصا بتعالقها وارتباط بعضها ببعض، كما وصفه سعد مصلوح بأنه يمتاز بخاصية الديمومة والاستمرارية في قوله: "بأنه الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص... أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كمًّا متصل على صفحة الورق"[٥].

---

(١) انظر: سعيد البحيري، **علم النص للمفاهيم والاتجاهات**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٧، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) البحيري، **علم النَّص**، ص١٤٥.

(٣) أحمد مداس، **لسانيات النَّص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري**، اربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧، ص٨٣.

(٤) دومنيك مانغونو، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ت: محمد يحيات، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشروم، ٢٠٠٨، ص١٨.

(٥) صبحي الفقي، **علم اللُّغة النَّصي بين النظرية والتطبيق**، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا مناص من الحديث عن الوسائل والخصائص التي وضعها علماء لغة النص للاتساق، فقد وضعوا وسائل عدة، وأدوات كثيرة يمكنهم من خلالها تحديد آليات تماسك النص، ومن أهم هذه الوسائل: أدوات الربط بأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والعطف، والإحالة، والتكرار، وغيرها...، وهي في مجملها تشكل مضامين مباحث علم الدلالة، وهي جزءٌ لا يتجزأ من دلالة الملفوظ، بل هي الدلالة نفسها، لأننا لا نستطيع حقيقة أن ننظر إلى هذه الوسائل بمنأى عن دلالاتها، لأنها لا تشكل أي قيمة في ذاتها، ولا تحمل كذلك أي معنى لوجودها اللغوي دون سياقاتها اللغوية، وانطلاقا من أهمية الدلالة جعلها المحلل النصاني منطلقا في الدخول إلى أنساق النص؛ لاستكناه وجوه تماسكه وسمات علائقه الترابطية من خلال الوسائل الشكلية للملفوظ، وهكذا نظر علماء لغة النص إلى دلالة المنطوق بوصفها مبحثا من مباحث التماسك.

وبذلك، فإن الدلالة الظاهرة للنص ينظر إليها بوصفها تماسكا شكليا، إذ بدونها لا يمكن تحديد الاتساق، ولا معرفة إن كان هذا الملفوظ نصاً متماسكا أو غير ذلك، ويلتقي ذلك مع ما أطره فاينرش في تحديده لمصطلح التماسك بالسياقات الدلالية، فقد رأى أنه مأخوذ من علم الكيمياء في قوله: "سياقات دلالية هذه السياقات يعبر عنها بمصطلح التماسك المأخوذ من علم الكيمياء فالجمل وأشكال القول الأخرى (المنطوقات اللغوية) يتماسك بعضها مع البعض الآخر دلاليا من خلال المعلومات التي يقدمها النص، بحيث لا يجد المستمع أو القارئ فراغاً أو ثغرة عند توصيل المعلومات"[1]، لعلَّ فاينرش يريد أن يتحدث عن الروابط الشَّكليّة (وسائل الاتِّساق)، التي تترابط مع بعضها ببعض لتشكل في نهاية التعالق نصاً، وتقدِّم تلك الوسائل اللغوية التعالقية دلالات معينة ومحددة في سياقاتها اللغوية (الملفوظية)، وتمثل هذه الدلالات المعيار الحقيقي لتلك الوسائل، لأن أي خلل في الدلالة سيؤدي الى وجود ثغرة عند المتلقي في أثناء محاولة المرسل

---

[1] البحيري، علم لغة النَّص، ص١٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توصيل المعلومة أو المعنى المتحقق من التركيب اللغوي (الملفوظ)، فهذه سمة جلاء ووضـــوح بأن التماسك النصي هو ما يبرز دلالات النص الذي يتكئ على أشكال الترابط النصي "فالتماسك إذن لا يركز على ماذا يعني النص بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتبـــاره صـــرحا دلاليا"[١]، فالحَديث عن الدَّلالة اللغوية أي الدلالة الظاهرة للنَّص (دلالة المنطوق)، هو الحـــديث عينه عن الاتَّساق النصي، عن مفهومه، وجدير ذكره، أنه يمكن أن يحدد الاتَّساق وآلياته ضمن دائرة واحدة من دوائر التَّشكيل النَّصي، وبمعنى آخر يمكن تحليل الملفوظ اتِّساقيا بوصفه ملفوظا لا نصا.

الانسجام (Coherence):

لا يخفى على أي دارس لعلم لغة النص أن مفهوم الانسجام من المفاهيم التـــي يـــصعب تحديدها بدقة؛ لأنه لا يمكن فهمه بمنأى عن المعايير الأخرى التي تسهم فـــي تـــشكيل الـــنص كالقصدية والإخبارية والاتساق والمقبولية، تتمثل الصعوبة الأخرى في إمكانية تحديـــد مفهـــوم الانسجام أنه متداخل في هذه المعايير تداخلا كليا، لا يقتصر تداخله علـــى الجانـــب التطبيقـــي فحسب، بل يتعدَّى ذلك إلى الجانب النظري أيضا، ولذلك، فإن التمايز بين ما هو انسجام للنص في جانبه التطبيقي، أو اتساق له في غاية الصعوبة وعدم الاقتدار؛ لأنَّ" التميز بين الظواهر التي هي من قبيل الانسجام وتلك التي هي من قبيل الاتساق مثلا ليست بالأمر السهل إن نحن أردنـــا تفصيل هذا التمييز"[٢]، ولكنه يمكن الفصل بينهما في الجانب النظري، أي، حينما يُـــراد تبيـــان مفهوم كل مصطلح منهما بمعزل عن الواقع التطبيقي لعالم تحليل النص/ الخطاب، لأنَّه إذا مـــا نُظِرَ إليهما في الواقع التطبيقي لتحليل الخطاب سيغرق النَّاظر في بحرين لا برزخ بينهما.

---

(١) صبحي الفقي، علم اللُّغة النَّصي، ص٩٥.

(٢) دومنيك مانغوفو، المصطلحات المفاتيح، ص١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالانسجام كما يراه الخطابي يتعدى الناحية الشكلانية في بناء النَّص، فهو " أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن الانسجام"[١]، لعله يمس الجانب التداولي في حديثه عن المائز الكبير بين الانسجام والاتساق؛ لأنَّه بحث عمَّا يحيط بالملفوظ من مقامات وأحوال وظروف لمَّا تحدَّث عن الانسجام، كالمتلقي والمرسل وظروف الكلام، والنَّظر في هذه الأشياء يعدُّ أساسا من أسس أنسجام النَّص؛ لأنَّ الملفوظ لا يعد نصا ما لم يحقق المعايير التي اتفق عليها النصيون في تحديد النَّص، وهي القصدية والتواصلية...إلخ، وهي في حقيقتها تمثِّل كل أَحوال الملفوظ خارجيا وداخليا، ويقصد بالخارجي، دلالة الملفوظ التي ترتبط بالتداولية ارتباطا وثيقا، ولا يفهم المعنى التداولي دون وعي دلالة الألفاظ المتحقِّقة في ذاتها وفي تراكيبها، وفهم الانسجام النَّصي يلزمه تحديد الدلالة المتحصِّلة منه كما يرى فان ديك (V. Dijk) في قوله: "إن تحليل الانسجام يحتاج الى تحديد نوع الدلالة التي ستمكننا من ذلك، وهي دلالة نسبية، أي أننا لا نؤول الجمل أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها، والعلاقة بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبية"[٢]، ومن الخليق ذكره، أنَّ دايك (V. Dijk) يريد توظيف نظرية المعنى ومعنى المعنى في حديثه عن آليَّة تحليل الانسجام النَّصي، وذلك في حديثه عن الدَّلالات النِّسبية أو التَّأويلات النسبية، التي يمكن أن نستنبطها من الشَّكل السَّطحيِّ للملفوظ، أَي ما يُسمَّى دلالة ظاهر النَّص (دلالة المنطوق، فالجمل تترابط في ما بينها وتتعالق بدلالات خاصة بها وبتراكيبها، وهذه الدلالات هي من تقود الى معرفة مدى إنسجام النص؛ لتحقيق نصيته اتكاء على بعض من

---

(١) محمد خطابي، لسانيات النَّص مدخل الى انسجام الخطاب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١، ص٦.

(٢) نفسه، ص٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التداولية والقصدية والتواصلية.. الخ، فالإنسجام "الاستمرارية الدلالية، التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات والربط بين هذه المفاهيم"[١]، ويمكن ربط الانسجام بالتداولية الخطابية حينما يعرف بأنه "العلاقات التي تربط معاني الأحوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص، هذه الروابط تعتمد على معرفة- كما أسلفنا- جميع السياقات والمقامات وظروف النص/ الخطاب"[٢]. وحدده سوفنسكي بأنَّه حبك الجمل النَّصية بعضها بعضا دون وجود ثغرات تقطع استمراريَّة الدلالة في قوله:" يقضي للجمل والمنطوقات بأنَّها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصِّيٍّ أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القرَّاء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات"[٣]، فديمومة الدفق الدلالي في النَّص شرط رئيس من شروط تحقيق انسجام النَّص.

لعله لا مندوحة من القول: إنَّ الانسجام هو محور العلاقات التماسكية في النَّص، في حين أن أنساق النَّص تشكِّل عالمه المنطوق، وهي أيضا صورة من صور الانسجام الذهني للشكل لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال؛ وذلك لأنَّ النَّسق النَّصيَّ الظَّاهريَّ أو الشَّكليَّ هو في الحقيقة الواقع المحسوس لتلك الصورة فهما وجهان لعملة واحدة.

كما أن المعايير الأخرى للنص كالقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص[٤]التي هي معايير تحدِّد نصيَّة النَّص، لا يمكنها الخروج من قبضة الانسجام، الذي هو- عادة- ما يكون المرسل والمتلقيّ والسِّياق العاطفي والنَّفسي والثَّقافي، وأسباب النُّزول والمناسبة، وإلى

---

(١) صبحي الفقي، علم اللُّغة النَّصي، ص٩٤.

(٢) نفسه، ص٩٤.

(٣) Sowinski، bernhardi: text linguistic، verlage W. kohl hammer Stuttgart- berline- mainz (1983) s 83. نقلا عن: محمد العبد. حبك النَّص، منظورات من التراث العربي، ص٥٥.

(٤) انظر: البحيري، علم لغة النَّص، ص١٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير ذلك ممَّا هو خارج الشكل المنطوق للنَّص، وهذه الأحوال السياقية الانسجامية للنَّص ضرورة حتميَّة لفهم دلالات النَّص، وهي منقسمة على المعايير الآنف ذكرها، كالقصديَّة والمقبوليَّة والإخبارية، وجملة القول، إنَّ النَّص حتى يكون نصًّا منسجمًا دلاليًّا لا مناص له من أن يتوافر فيه معياران مهمان، هما الاتِّساق والانسجام، وهذا يدخل في إطار التَّنظير العلمي لخصائص النَّص ومعاييره.

الجَّانبُ التَّطبِيقِيُّ:

بعد تجوالة وصفية لمفهومي الاتساق والانسجام عند علماء لغة النص، تأتي تجوالة تطبيقية أخرى للتفريق بينهما في عمليَّة تحليل النَّص/ الخطاب-إن وجد-، لعلَّه من المفيد جدا، أن نذكر معظم الدراسات التي طبقت عمليَّة تحليل الخطاب على نصوص مختلفة، كالقصَّة والرواية والشَّعر أو على نص نثري خطابي معاصر سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي، لم تفصل بين الاتِّساق والانسجام في أثناء عملية التحليل، فتجدها تتحدث عن اتِّساق النَّص ضمن التَّصور الذهني لانسجامه أي أنها تبرز معناه التداولي أو التواصلي، وذلك من خلال ما تحيل إليه الضمائر مثلا، أو من خلال ما يحتمله التكرار من دلالات تكون في ذهن المحلل بالنظر إلى المرسل، وعلاقة هذه الألفاظ المكررة بالمرسل أو المحلل كمتلقٍ، ويعلم المحلل أن هناك رابطا بين الألفاظ المكررة ومرسلها، وبذلك، فإن عملية الاتساق لا تخرج في حقيقتها عن كونها صورة من صور الانسجام النَّصيِّ الخفي المختزن في الذهن، وعلاوة على ذلك، فإن الملفوظ لا يعد نصا إذا خلا من الانسجام؛ أي لا يمكن أن نقول أن هذا النص متسق في غياب تصور ذهني عن انسجامه؛ لأنه في هذه الحالة لن يكون النص متسقا إطلاقا، بل لن يكون نصا أصلا ينظر إليه بوصفه حاملا للدلالات اللغوية؛ لأنه لن يكون إلا رسما جامدا لأشكال من الأصوات لا قيمة لها، أي لا غاية لها من وجودها، ويبدو أن الاتساق والانسجام يؤديان صورة من صور الدال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمدلول؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما في أثناء تحديد أو معرفة إن كان هذا الملفوظ نـــصا أو لا، كما سيظهر ذلك بجلاء في أثناء تحليل نصوص قرآنيَّة وأخرى شعريَّة ونثريَّة؛ لتبيان وســـائل خطابها؛ لنبرهن على أنَّه لا يمكن الفصل بين الاتِّساق والانسجام لمعرفة إن كان الملفوظ نـــصا أو لا.

النَّص الأوَّلُ: سُورَةُ الكَوثَرِ

قـــال تعـــالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ (الكوثر: ١-٣).

هذه السورة القرآنية المباركة دلالة وخطابا لتعد أصغر سورة في القرآن العظيم في عدد آياتها، ولكنها تتماز بامتلاكها جملة كبيرة من عناصر الاتِّساق التي تشكل رابطا أساســيا فـــي نصها، ولكن هذه الروابط لا تحمل في شكلها أي قيمة دون النظر إلى دلالاتها وأسباب نزولها، فلو نظر مثلا إلى الضمير المتصل "الكاف" في قوله تعالى: (أعطيناك) و قوله: (لربك) وقولـــه: (شانئك)، وكذلك إلى الضمير المنفصل (هو) في الآية الثالثة، سيلحظ أنها تحيل إلى عودة خارج الشكل الظاهري للنص، وحتى تعرف درجة اتساق النص بعضه ببعض بهذه الروابط الـــشكلية اللغوية لا بد من الرجوع إلى معرفة أسباب نزول السورة، وهذا يدخل في باب تحليل عناصـــر انسجام النص، فقد قال ابن عباس في نزولها: نزلت في (العاص بن وائل)، وذلـــك:"أنـــه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثنا وأناســـا مـــن صناديد قريش في المسجد جلوس. فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تحـــدث؟ قـــال: ذاك الأبتر، يعني رسول الله ﷺ وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رســـول الله ﷺ، وكـــان مـــن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة"[١] حيث أنزلها الله تعالى ردا على من رمى النبي عليه السلام بالبتر، والسورة مسوقة لتنفي عن النبي ﷺ هذه الصفة، فبعد أن بين له أنه أعطاه الخير الكثير، وأمره بفعل الطاعات شكرا له، وأعلمه أن الأبتر هو مبغضك ورامياك بالبتر؛ لأن من شأنه مثل شأنك ليس بأبتر.

كما لا تتسق كلمة (كوثر) في هذا السياق إلا بالرجوع إلى سيرة المخاطب في الآية، وهو محمد ﷺ وكيف أن الله أعطاه الكوثر والمقصود به الكثير الكثير[٢]، وقيل: هو نهر في الجنة تتشعب عنه الأنهار، وقيل: بل هو الخير العظيم الذي أعطاه النبي ﷺ وقد يقال للرجل السخي: كوثر، ويقال: تكوثر الشيء: كثر كثرة متناهية[٣]، وكلمة الكوثر في هذه الآية تشكل رابطا إحاليا خارجيا، فسورة الكوثر جاءت إنجازا لما وعد الله تعالى نبيه في سورة الضحى، عندما قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (الضحى: ٥)، ففي سورة الضحى وعد من الله لنبيه بالإعطاء وفي سورة الكوثر تحقق هذا العطاء الكثير. فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر: ١) وأكد على ذلك بأن التوكيدية، وفي سورة الضحى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾، واللام في (ولسوف) تفيد التوكيد أيضا. وفي سورة الكوثر ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾

---

(١) النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ص٤٩٤، ١٩٩٠.

(٢) أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللُّغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٠٢/١٠، ٢٠٠١.

(٣) الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ٧٠٣/١، ١٩٩١م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الكوثر: ٢)، وفي الضحى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، أي: فصل لربك الذي وعدك بالخير الكثير وأنجز وعده لك.

وبالعودة إلى مناسبة السورة مع ما قبلها من السور يدفعنا إلى استكناه التماسك النَّصيِّ في هذه السورة، فثمَّة علاقة وثيقة بين المناسبة والتماسك الذي في نصها؛ لأنَّها وسيلة من وسائله، ويقصد بها تحقُّق الانسجام والتَّوافق الشَّكلي والدلالي بين الجمل وأجزاء النَّص، وفائدة الإحالة إلى المناسبة لفهم العلائق النَّصيَّة فهي جزء من فهم التَّماسك النَّصيِّ، وفي ذلك يرى الزركشي بأنَّ المناسبة تعين على بناء النَّص المحكم في قوله: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التَّأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[١]، وقال الإمام الرازي في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في التَّرتيبات والروابط"[٢]. كما أن هناك مناسبة تقابلية أخرى في السورة، حيث تجعل القارئَ يلحظ التَّماسك من خلال الربط بين سورتي الكوثر والماعون؛ إذ إنَّ سورة الكوثر تتناسق وتنسجم مع سورة الماعون، وتقابلها، إذ جاءت سورة الكوثر بعد سورة الماعون، وهذا يعدُّ من باب المناسبة والانسجام بين سور القرآن الكريم، فسورة الكوثر تعدُّ مقابلا موضوعيا لما سبقها من السُّور؛ لأن السورة السابقة قَد وصف اللَّه فيها أحوال المنافق بأمور أربعة، هي: البخل وترك الصَّلاة والرِّياء فيها ومنع الزَّكاة، فتظهر صور المقابلة بين السُّورتين فيما يأتي: فقد جاء البخل مقابلا بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) أي: الكثير، كما أن ترك الصَّلاة في الماعون يقابله قوله تعالى في الكوثر: {فصلِّ} أي: حافظ عليها، والرياء في الماعون يقابله قوله

---

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٧، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ٣٦.

(٢) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دارإحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠، ١٠/١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعالى في الكوثر: {لِرَبِّكَ} أي: من أجل رضى الله لا من أجل رضى الناس، ومنع الماعون في سورة الماعون يقابله قوله تعالى في سورة الكوثر: {وَانْحَرْ} والنحر بذل بأقصى أنواع البذل، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي فاعتبر هذه المناسبة العجيبة[1] وهذا يدخل تحت باب التماسك النصي بشكل عام، أو تحت ما يسمى بالانسجام بشكل خاص، حيث إن السورة أحال فهمها إلى عناصر خارج السياق والنص، وهذا ما يسمى بالاتساق الدلالي، إذ يَتحقق بالإِحالة المرجعية، وهي علاقة دلالية بين عنصر محيل وعنصر محال إليه[2]، وبهذا، تكون إحالة قبلية عندما تحيل إلى ما سبق، وإحالة بعدية عندما تحيل إلى العنصر اللاحق، كما تكون الإحالة مقامية عندما تحيل إلى عنصر خارج النص، أما الإحالة المقالية أو النصية فهي تحيل إلى عنصر داخل النص، وهذا ما يسمى بالاتساق التركيبي[3]الذي يتحقق بوسائل لغوية كالوصل الذي يكون بأدوات الربط (و – أو – ف – ثم...) والأسماء الموصولة (الَّذي – الَّتي – الَّذين ...) وحروف التفسير وأَفعاله (أي – أنْ أعني – أَقصد...)، وتحقق الربط عبر عملية الوصل بين متواليات النص، وهذا ليس موجودا في سورة الكوثر؛ حيث إن الناظر بداءة إلى المناسبة بين آياتها الثلاث، يلحظ أَنها غير متناسبة، فما هي المناسبة بين العطاء الكثير، والنحر، وإن شانئك هو الأبتر، قطعا، ثمة مناسبة ولكنها لا تتأتى إلا من خلال استكناه عالم النص الخارجي، كأسباب النزول مثلا وعلاقة السابق باللاحق كالاتساق الدلالي والإحالة الخارجية المقامية. ومن الخليق ذكره، أَنَّ أَدوات اللغة وآلياتها تتكون بالنص، وتترابط انطلاقا من أهداف النص وغاياته التي تشكل لتحقيقها " فالهدف من عناصر السياق التي تسبق إنتاج الخطاب، وله بذلك دور في التأثير

---

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٩/١.

(2) انظر: بحيري، سعيد حسن دراسات لغوية تطبيقية، في العلاقة بين البنية والدلالة،، مكتبة زهراء الشرق(د.ت)، القاهرة، ص٩١.

(3) انظر: نسيج النَّص، ص١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على المرسل وتوجيهه في اختيار الاستراتيجياتِ الخطابية، من حيث أدواتها وآلياتها اللغوية المناسبة التي تكفل تحقيقه"[١].

هكذا، نفهم الاتساق النصي، أو أن النص متسق أو لا، لأنه دون الرجوع إلى هذه المقامات الدلالية والروابط الشكلية لا يمكن أن يكون الاتساق اتساقا أو النص نصا، فاجتماع الروابط الشكلية مع المقامات الدلالية تشكل نصا متماسكا في الشكل والمضمون (الاتِّساق والانسجام)، ويجعله استيتية التحاما بين أجزاء النص في قوله: " التَّماسك مجموعة من العلاقات اللفظية والدلالية بين أَجزاء النص، إذ تلتحم هذه الأجزاء ويتماسك بعضها مع بعض بحيث إذا غاب هذا الالتحام ظهر النَّص وكأنه أشلاء ومزق لا ربط بينها "[٢]، ويظهر هذا الالتحام بين العلاقات الشكلية (المعجمية والتركيبية) والمقامات الدلالية الذي يمثل منهج تحديد نصية النص، وإلا فإنه لا يعد نصا أو أنه فقد واحدا من شروط النصانية. ويضرب العبابنة تشبيها ماديا لظاهرة الالتحام النصي في قوله: "إن الأمر يشبه الآليات المستعملة في نظرية الأفضلية (Optimality Theory) التي تعد من آخر المسائل التي نادى بها علم اللغة الوصفي"[٣].

النص الثاني: مطلع القصيدة (العينية) لأبي ذؤيب الهذلي

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ *** وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِبًا *** مُنذُ ابتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعًا *** إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ

---

[١] الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص١٤٩.

[٢] إستيتية، سمير، منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النَّص، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٧.

[٣] عبابنة، يحيى- الزعبي آمنة، **عناصر الاتساق والانسجام**، قراءة نصية تحليلية في قصيدة، "أغنية لشهرأيار" لأحمد عبد المعطي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد (١+٢) ٢٠١٣، ص٥١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ *** أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ ووَدَّعوا

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني حَسْرَةً *** بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ [1]

لعل الناظر في هذه المقطوعة الشعرية من حيث كونه شكلا لغويا (ملفوظ) لا يقود إلى معرفة إن كان هذا نصا أو لا؛ لأن الاتكاء على شكله الظاهر أي اتساق روابطه الشكلية ليس بكاف لإطلاق الحكم على أنه نص أو لا؛ لأن النص يعد عنصرا مهما وحيويا في النظرية النصية سواء على مستوى تكوين النص أو تحليله؛ لذلك، فإن النظر إلى شكله الظاهري دون قصديته أو إخباريته سيؤدي- دون شك- إلى خلل في اتساقه، لعله وضح الأمر وانجلى مما مضى بيانه أن ثمة غيابا كاملا من حيث الظاهر لكثير من عودة الضمير المتصل في هذه المقطوعة الشعرية، إذ إن الكاف في (لجسمك) والتاء فِي (ابتذلت) والكاف في (مالك) وإلى غير ذلك من الضمائر المتصلة لا بد من الإحالة المقامية؛ غاية فهم عودتها المرجعية، وتعمل هذه الضمائر المتصلة وغيرها على ربط النص بسياقه الداخلي والخارجي ربطا دلاليا بائنا، وعلى ربطه – أيضا – بالمتلقي الذي يعلم مسبقا أو يحاول أن يعلم عودة الضمير، كما أن للضمير دورا كبيرا في بناء التماسك النصي حين يتكرر على جهة واحدة، والمقصود بجهة الضمير جنسه، أي، كونه للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، فيسهم بذلك في تحقيق وحدة شكلية للنص، التي تتساوق مع وحدته الدلالية، ويذكر علماء لغة النص المعاصرون أن للضمير مرجعيتين داخلية وخارجية، أما الداخلية فهي التي يرجع فيها الضمير إلى شيء مذكور في النص، وأما الخارجية فهي التي يرجع فيها الضمير إلى شيء غير مذكور فيه، ولكنه يفهم من السياق[2]، كما لا يوجد لها مرجع في الملفوظ لتحديد اتساقها وتماسكها وترابطها في ذاك الملفوظ، " فالنظر في عالم

---

[1] **ديوان الهذليين**، تحقيق: أحمد الزين – محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، ١٩٦٥م، ص ٣٠.

[2] انظر الأزهر الزناد، **نسيج النَّص**، ص ١١٨-١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النص يسير سيرة ذات اتجاه معكوس، يبدأ من الداخل؛ لفهم أثر الضمير المتكلم، ومعرفة ما يحيل عليه من الخارج، أي: هو اتجاه في النظر من داخل النص إلى خارجه"[1]، وكذلك فإن حقيقة الاستفهام وما يؤدي من معان كالاستفهام الموجود في البيت الأول لا يظهر تماسكه واتساقه في هذا الملفوظ دون معرفة السائل وظروف أحواله؛ لأن عدم النظر في خارج الملفوظ يفكك روابط النص، ويجعله ملفوظا لا نصا، وعلى هذا فإن تحليل النص أو معرفة درجة انسجامه، والحكم عليه بالنصانية أو عدمها، يعتمد على ما تراكم لدى مؤوله أو متلقيه من معارف سابقة تجمعت لديه[2]، فالمعرفة الخلفية للمتلقي تعد أداة مهمة من أدوات انسجام النص.

وعليه فإن النسق الشعري يفرض على متلقيه الغوص في مكنوناته الوجودية الناتجة عن اللاشعور اللغوي التي تعتمد أكثر ما تعتمد على المشاعر الإنسانية والأحاسيس والعواطف الجياشة، وهذا بلا شك هو ما يجعل النص الشعري أشد تعقيدا من غيره في بنائه ونظمه، فحتى تتجلى هذه البنية التركيبية المعقدة نظما وشكلا لا بد من استكناه أبعادها النفسية أو الإنسانية الدالة عليها وعلى مدى خصوصية تماسكها وترابطها الدلالي المعبر عنه بهذا النظم أو التركيب.

وهكذا فإن تماسك البنية التركيبية للنص الشعري لإعادة بنائه وفق الأسس التماسكية، والوقوف على اتساقه البنيوي، ومدى دقته وترابطه يستلزم من المتلقي أن يقرأ هذا التماسك أو الاتساق في بنيته الدلالية المقامية، وهي الظروف المحيطة بالشاعر وشعره، وعلاقة ذلك كله بالنص بوصفه لغة نسجت للتعبير عن هذه الظروف أو الحالة.

وتعد دراسة العلاقات بين الشكل والمضمون هي جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة، التي ترتبط بمرسل للفعل اللغوي ومتلق له،

---

(1) انظر الأزهر الزناد، **نسيج النَّص**، ص١٤٨.

(2) خطابي، محمد، **لسانيات النَّص**، ص٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقناة اتصال بينهما، وهدف يعنى بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل[١]. ومناسبة مطلع القصيدة العينية –لأبي ذؤيب الهذلي– التي رثى فيها أبناءه، الذين ماتوا بالطاعون في عام واحد في أثناء توجههم إلى مصر، وأميمة المذكورة فيه هي زوجة الشاعر، وهذه الجوانب الخارجية التي لا تظهر في المنطوق اللغوي للمطلع هي ما يتكئ عليها المحلل النصي؛ لسبر أغوار الملفوظ، والكشف عن روابطه ودرجة تماسكه، ولا يتحقق الربط ولا التماسك إلا بالنظر إلى هذه الجوانب المقامية التي تدخل في باب الانسجام.

النَّص الثالث: مقطع من قصة قصيرة:

وقفت بين القبور الثلاثة، وقفة مؤبَن ارتج عليه وانعقد لسانه لوعة، فانسكب دمعة متكلما، عن عواطفه، وحاولت التفكر والتأمل فعصتني نفسي؛ لأن النفس كالزهرة تضم أوراقها أمام الظلمة، ولا تعطي أنفاسها لأخيلة الليل. وقفت ومن دقائق تراب تلك القبور ينبثق صراخ انبثاق الضباب من خلايا الأودية، ويتموج حول مسامعي ليوحي إلى الكلام[٢].

هذا المقطع النثري القصصي الذي يشكل في تراكيبه كتلة من الإيحاء والبلاغة ودقة التصوير، لا يعد نصا بمعزل عن ظروفه وأحواله وأهدافه، لأن النص لا يحقق وجوده إلا في ظل وجود مبدأ التواصل والقصدية والمقامية ... الخ، فالمتلقي قد ينبهر عند سماع هذا الكلام أول وهلة، ولكن انبهاره ينبع من الشكل الظاهر للملفوظ، وربما يجانبه الصواب؛ لإن جمل هذا النص المنظم بناء تخضع لعملية بناء منظمة ومترابطة تركيبيا ودلاليا، وذات أبعاد انسجامية مقامية تداولية، فكل جملة تؤدي إلى الجملة اللاحقة بها، وتحقق هذا التعالق بوساطة أدوات لغوية ظاهرية، ويعرف هذا الترابط المنظم بين الجمل بالاتساق، وقد ذكره البحيري حينما وضح خاصية الترابط النصي التي تعتمد على عناصر نحوية شكلية سطحية، وأخرى عميقة غير لفظية

---

(١) انظر: البحيري، سعيد، **علم لغة النَّص المفاهيم والاتجاهات**، ص١١٠.

(٢) جبران خليل جبران، **الأعمال الكاملة**، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢، ص٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لها ارتباط بالدلالة المقامية غير النحوية في قوله: "وينبغِي أن نفرق هنا بين الربط الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية (الروابط) والتماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويمكن تتبع الأول على المستوى السطحي للنص، إلا أن الثاني يتمثل في بنية عميقة، أي: على المستوى العميق للنص، تقدم إيضاحا مائزا لطرق الترابط بين تراكيب النص، وربما تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح"[١].

كما أن التماسك بفرعيه هو الذي يضمن نصية النص، وتمييزه عن اللانص، عبر مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية والدلالية المقامية؛ مما جعله اتساقا تركيبيا وآخر دلاليا، إلا أن الإحالات التي تحيل المتلقي إلى استكناه الأحوال الخارجية للنص وافرة بكثرة في هذه المقطوعة القصصية، حتى يكون النص مترابطا دلاليا كما هو مترابط نصيا وشكليا، كما أن الحديث عن النص لا يتوقف عند الانبهار فحسب، بل –هناك– ما يسمى بالتأويل المقامي، الذي يتجلى من خلال قدرتنا على تأويل ما جاء في النص من مفردات تجمع بينها علاقات جعلتها منسجمة مع بعضها بعضا، ومع المتلقي بل يتعداه إلى الهدف أو الغاية من هذا الكلام، وهل حقق هذا الكلام تواصلا بين المرسل والمتلقي أم لا، لأن الغاية الدلالية لكل مرسل تكمن في إحداث دلالة الإقناع، وخلق حالة من التأثر العاطفي لما يقرأه، وبذلك، تكون غاية المرسل التي يرمي إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي[٢]، ويبدو أنه لن يتحقق التغيير أو التواصل ما لم ننظر إليه بوصفه جزءا من كل، وهذا الكل هو ما نعول عليه في تحديد هذه المقطوعة القصصية أهي نص أم لا، لأنه –ساعتئذ– سينظر إلى القصة كاملة؛ لنعرف أن هذا التركيب مفهوم على وفق ما يريد الكاتب أو لا، نعم، النص كثيف بالصور البلاغية والإبلاغية، ولكن في علم لغة النص، البلاغة لا قيمة لها

---

(١) بحيري، **علم لغة النَّص**، ص١٢٢.

(٢) انظر: عبد الهادي الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ص٤٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في هذا المقام وحدها، ما لم تؤد الغرض الذي قيلت لأجله، والهدف الذي جيئت من أجل تحقيقه، "لأن إستراتيجيَّة الخطاب مرتبطة في أحد أبعاده بهدف الخطاب، ولولا أهميته لما كان عاملا من عوامل اختيارها"[1]، فلا يمكن أن نتصور القبور الثلاثة وحقيقة ألم المرسل وحزنه الذي دعاه إلى أن يعبر عنه بهذه الصور الأخاذة، إلا من خلال الوقوف على أحداث القصة كاملة، وذلك للوصول إلى كنه القبور الثلاثة، وإلى العبرة من تلك القصة، وهل الكاتب –حقاً– كان صادقا أم لا؟ وأقصد بالصدق الفني وهو الإصابة بالوصف أو التشبيه، وفي الحق –كما أرى– أن بلاغة النص هي جزء من مباحث تراكيب النص، أي الجانب الشكلي النحوي للنص؛ لأن البلاغة نحو والنحو بلاغة، فلا يمكن الفصل بَينَهُما، إنَّ البَلاغَةَ قائِمَةٌ عَلى المعاني النحوية وعلى النظم النحوي، كما أنها تجعل الألفاظ على قدر المعاني.

كما لا يخفى على أي متتبع للغة الجبرانية، أن اللغة الجبرانية تفيض بالإيحاءات والدلالات التي ترتبط أشد ارتباط بشخص جبران، وما مر به جبران من ظروف اجتماعية وعاطفية وسياسية، وكل هذا انعكاس –بلا ريب– على حياته الفكرية والأدبية واللغوية,، فالنص الجبراني كائن حي أكثر منه شكلا جامدا أو لغة مجردة؛ فجل كتابات جبران هي تجسيد له فكرا وأدبا وفلسفة، فلا نصف هذا عند جبران فحسب، بل يتعداه إلى كل أديب وكاتب وشاعر وإلى اللغة بوصفها لغة، وذلك لأنها لتجسيد الوجود أصلا، سواء أكان تجسيدا ماديا محسوسا أم معنويا مجردا، ومن هنا فلا جرم أن تحليل النص اللغوي لا يتجلى ويشدح إلا بقراءة الظروف والأحوال التي ولد النص من رحمها، وذلك لأنها هي المسؤولة عن قيمة هذا النص وتماسكه شكلا ومضمونا وتواصلا واخبارا وتداولا.

وجملة البيان، لعل كل ما سبق بحثه حول هدف النص، ودرجة تواصليته، ومدى غايته، وكمال البناء الدلالي المقامي، كل ذلك، يدخل في باب الانسجام النصي، وبعد تتبع لمبادئ

---

[1] انظر: عبد الهادي الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ص١٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الانسجام وأدواته وجد أنها تتحقق عبر مجموعة من العمليات التي تقرب بين النص والمتلقي، ومنها: المعرفة الخلفية الزمكانية أو غيرهما، كما أن المخزون الفكري والثقافي يقودنا إلى تفكيك دلالة المفردات، وتأويل المفردات المختزلة في النص، فبذلك، تعرف دلالاتها وأبعادها المرومة، كما أن تحديد تماسك الشكل اللغوي لا يحدث إلا بالرجوع إلى ما هو خارج الملفوظ من مقامات وأحوال وظروف تحيط بعالم النص/ الخطاب المراد تحليله أو تقييمه؛ وهذا يساعد على تقريب الفهم بين القارئ والكاتب، وذاك ما حاول الشبيب ذكره في دراسته للعلاقة بين فهم الكاتب وفهم القارئ حينما قال: "تغيب بعض هذه الأحوال والمعطيات في النصوص بسبب غياب الخلفية الزمكانية، ومعرفة أحوال المؤلف، ففهم بعض النصوص يحتاج إلى معرفة معلومات غير موجودة فِي النص"[١].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[١] العجمي، خالد الشبيب، **العلاقة بين فهم القارئ وفهم الكاتب**، عالم الفكر، ص٣٦٣.

الفصل الثاني

الجانب التطبيقي

يتضمن مدخلا ومبحثين:

- المـــــدخـــــل
- المبحث الأول: عناصر الاتساق
- المبحث الثاني: فوائد عناصر الاتساق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المدخـــل

روابط النَّصِّ المساهمة في تشكيل وحدة النص وتماسكه:

النص كلام ذو المعنى وحركة دؤوبة في عرض الأفكار متسقة في أجزائه، يقول الشاوش عن النص: "النَّصُّ صورة منتظمة ملائمة للتواصل، وقد قدم نحو النص في سبيل ذلك منهجا رصين الخطوات والإجراءات لتحليل الخطاب المترابط، واحتفل بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه"[١]، ونحو النص ينظر إلى النص على أنه وحدة مترابطة متكاملة الأجزاء، يحلل من خلال هذه الوحدة الروابط التي تسهم في تنظيم النص وتحقيق نصِّيته، عبر إدراك عملية الترابط داخل النص، لأنها " تتطلب قدرة على النظر الشامل، وتستلزم دقة في تلمُّس العلاقات المتشابكة، وتحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة"[٢]، وتعد هذه نظرة لسانية نصية حديثة للنص، حيث تجعل من النص وحدة لغوية نصية مترابطة الأجزاء محبوكة العناصر اللغوية والمضامين المعرفية، فلا قطع ولا افتقار في جمل النص، فالروابط تقوم بربط السابق باللاحق.

والترابط النصي يكون واضحا جليا بين الألفاظ داخل التراكيب النحوية, وعلاقات الجمل النحوية ببعضها داخل التركيب النصي، وبين أجزاء النص نفسه، بل لا يمكن فهم دلالات الألفاظ وكشف معانيها المتمثلة في الكلام المنطوق، دون الرجوع إلى الترابط الموجود بين أجزائه، سواء أكان هذا الترابط على صعيد الجملة أم التراكيب أم النص كاملا، فلا مناص من حدوث الترابط بين أجزاء النص ومفردات التراكيب؛ لأنَّ بترابطها وتعالقها مجتمعة تعمل على أداء

---

(١) الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ٣٩/١.

(٢) انظر: أبو المكارم، علي، **الظواهر اللغوية في التراث النحوي**، المدينة للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م، ٣٢٥/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معنى كلي موحد مراد[١]، وتُمكن المحلل النصي من إدراك عملية الربط النصي في النص من خلال التحليل للتراكيب والجمل المكونة للنص تحليلا نصيا، إذ إن الجملة جزء لا يتجزأ من نسيج الجمل المكونة للنص، فهي ذات علقة شديدة بما قبلها وبما بعدها من الجمل، ويساعد تعالق الجمل وربطها بعضها بعضا المحلل النصي من ربط الأبنية الجزئية الصغرى والأبنية الجزئية الكبرى المُشكِّلة للنَّصِّ، إذ إنَّ النَّصَّ يُقرأ على اعتباره وحدة متكاملة متعالقة الأجزاء بين البنى الصغرى والبنى الكبرى، وهذا من شأنه أن يسهم في الفهم الكلي للنص لا الفهم الجزئي.

تُعد الروابط النصية من العناصر الضرورية والهامة التي تسهم في بناء نص متلاحم الأجزاء مفهوم المعنى؛ إذ إن هذه العناصر تعمل على إخراج النصوص متسقة محكمة البناء، وتحدث (يقطين) عن ماهية النص المترابط بقوله: " فالنص المترابط هو النص الذي يتشكل من مجموعة من البنيات غير المتراتبة، والتي يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط يقوم القارئ بتنشيطها، والتي تسمح له بالانتقال السريع بين كل منها"[٢].

بما أنَّ النص المتماسك يتكئ على الروابط كان لا بد من الإشارة إلى تنوع هذه الروابط وتعددها بين روابط سطحية أو شكلية كالعطف والتكرار مثلا، وروابط معنوية كالإسناد، وجميع هذه الروبط تشكل بتعالقها نصا متماسكًا[٣].

تقوم أدوات الربط بقسميها السطحية والدلالية بوصل أجزاء النص؛ وذلك باعتماد هذه الروابط على الربط بين الأجزاء الكلية التي تسهم في تشكيل وحدة النص. وعليه, " فأشكال

---

(١) انظر: حميدة، مصطفى، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٩٥.

(٢) يقطين، سعيد: **من النص إلى النص المترابط**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

(٣) انظر: الهواوشة، محمود، **أثر عناصر الاتساق في تماسك النص**، دار عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٩، ص ٦٩-٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الترابط سواء أكان بأدوات معينة أم دون أدوات تستلزم النظر إلى النص بوصفه وحدة كاملة؛ لأنها استعمالات لغوية غير عادية، ترتكز على عناصر تماسك لا يصرح بها النص، وإنما تُستنتج منه عن طريق أدلة وقرائن معنوية وسياقية ومعرفية"[١].

فالتماسك النصي لا يتأتى للنص من تلقاء نفسه، بل هو حصيلة ربط النص بما يتصل به من سياقاته المختلفة، وربط النص بالعوالم المُشكِّلة له؛" لأنه لم يعد يُكتَفى بعلم يدرس العناصر اللغوية فحسب، بل لوحظ أن العناصر غير اللغوية لا تقل أهمية عن العناصر اللغوية، ومن ثَـمَّ يمكن إدراجها في الوصف، ولا يتوقف علم لغة النص على ما يقدمه النحو من وصف دقيق للنظام اللغوي المجرد، بل يبحث عن كيفية اكتساب هذا النظام وتحديد القواعد والعلميات المعرفية التي يتم من خلالها"[٢].

ونحو النص لا يقتصر على مستوى لغوي بعينه وإنما يعمل على المزاوجة بين المستويات اللغوية (المستوى النحوي، والمستوى المعجمي، والمستوى الدلالي). ولعل تفكيك بنية النصوص واستكناه دواخلها من شأوها أن تجعل النصوص أكثر تماسكا ورصانة شمولية، وذلك إطار الجملة المفردة.

وعليه، وقبل الحكم على تماسك أي نص فإنه يفترض وجود ترابط بين أجزاء النص من بدايته إلى نهايته، ولا يتأتى هذا الترابط بسهولة؛ فالحكم على الترابط النصي يتطلب من مؤلف النص أن يتصف بنظرة ثاقبة وشاملة وواسعة كي يدرك العلاقات التي تحكم أجزاء النص، ومن ثم تأتي مهمة المحلل في الكشف عن مدى هذه الترابط الموجود بين أجزاء النص.

---

(١) بحيري، **علم لغة النص**، ص ١١٧.

(٢) **نفسه**، ١٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على الرغم من تركيز علماء النص على الروابط الشكلية التي تسهم في تحقيق التماسك النصي، فإنهم لم يغفلوا الروابط المعنوية التي لا تقل أهمية عن الروابط الشكلية، فكما ذكرت الدراسة آنفا أنه لا يمكن الفصل بين الجانب الشكلي والجانب المعنوي فهما بمنزلة الشكل والمضمون حيث يشكلان بتعالقهما نصا متماسكا، ولولا وجود هاتين العلاقتين لخرج النص مبعثرا، لا يحكمه قيود ولا نظام.

فلو أخذنا على سبيل المثال نصا وافترضنا أن هذا النص تربطه علاقات شكلية فحسب، فإنه سيتضح للقارئ عدم وجود ترابط على الرغم من وجود ترابط شكلي بينهما,فنقول على سبيل المثال: أُعلن عن انتهاء الحرب بين إسرائيل وحماس في غزة، وأمرت وزارة التربية والتعليم الأردنية ببناء مدرسة في مدينة الزرقاء[١] لعله بدا واضحا وجود ترابط شكلي في هذا النص ألا وهو العطف، لكن هذا الترابط الشكلي لم يحقق الترابط الدلالي، فلا رابط دلالي معنوي بين الحديث عن حرب طاحنة في غزة، والحديث عن بناء مدرسة، فالسياقان منفصلان تماما، بل متناقضان إذ إن السياق الأول سياق هدم، والسياق الثاني سياق بناء، فهما في حالة تناقض دلالي وانفصام سياقي.

وقد أشار الجرجاني إشارة واضحة إلى الجمل غير المنسجمة بقوله" فلو قلت: خرجت من داري، ثم قلت: وأحسن الذي يقول بيت كذا، قلت ما يضحك منه"[٢]. ويلحظ مما ذكره

---

(١) يقول القيرواني في ذلك" إذا كان الكلام متنافرا متباينا عسُر حفظه وثقل على اللسان النطق به، ومجّته المسامعفلم يستقر فيها منه على شيء". ابن رشيق، أبو علي حسن بن رشيق القيرواني الأزدي: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ص ٢٥٧.

(٢) الجرجاني، عبدالقاهر، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٢٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجرجاني أنه يشير إلى دور الترابط المعنوي في تحقيق اتساق وانسجام الكلام، وبيـــان أهميـــة الروابط المعنوية في إحداث الفائدة المعرفية من البناء النصي السليم مضموناً.

ثمة أمر تجب الإشارة إليه في التماسك النصي، وهو غياب الروابط الشكلية، فقد يعمـــد واضع النص إلى الاستغناء عنها، ومع ذلك ينتج نصا متماسكا، مثل: الرحلة ممتعة، الجو جميل، الطلاب فرحون، فهذه الجمل الثلاثة على الرغم من أنها خالية تماما من أدوات الاتساق الشكلية لكنها حققت تماسكا وانسجاما[١].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[١] فقد ذكر الهواوشة ان غياب ادوات الاتساق اللغوية اللفظية في النص لا يعني عدم انسجامه، بل إن غيابهايدل على قوة الارتباط بين الجملتين، وقد عد الروابط البيانية إحدى عوامل الانسجام القوي للخطاب، انظر: الهواوشة، محمود: **أثر عناصر الاتساق في تماسك النص**، ص ٦٩.

المبحث الأول: عناصر الاتساق:

تعد لسانيات النَّصِّ منهجًا علميًّا حديثا يقوم على تحليل النُّصوصِ، هذا يتطلب وجود عناصر الاتِّساق داخل النَّصِّ، وهذه العناصر تؤدي إلى نتيجة مؤادها تحليل أي نص يشترط أن يؤدي وظيفة تواصلية ما، وكان هاليدي ورقية حسن قد حددا هذه العناصر بما يأتي: الإحالة، الاستبدال، الحذف، والوصل، والاتساق المعجمي[1]، فهي تشتمل على عناصر نحوية وأخرى معجمية.

ولا تكمن أهمية عناصر الاتساق في أنها تكفل للنص ترابطه فحسب، بل تُيسِّر للمتلقي متابعة الخطاب أو النص وفهمه، فالمتلقي يعتمد في تفاعله مع الكلام على إدراك الروابط، وعلاقات التضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يساعد المتلقي على فهم ما استُشكل عليه من فجوات لفظية أو معنوية في النص.

المطلب الأول: الاتساق النحوي (Syntactic Cohesion):

تشتمل الدراسة في هذا المبحث على أربع ركائز من ركائز الاتساق النحوي ألا وهي: الإحالة، الحذف، الوصل، الاستبدال.

أولا: الإحالة (Reference):

الإحالة (Reference) تعد من أهم أدوات الاتساق النحوي وباكورة العناصر الاتساقية التي يفتتح الباحثون بها حديثهم عن عناصر الاتساق النحوي؛ لأهميتها المركوزة حول ربط أجزاء النص، فهي ظاهرة لغوية تسهم في الاتساق النصي، وهي من أكثر العناصر الاتساقية انتشارا في النصوص، فلا تخلو منها جملة أو نص، إذ إن أدواتها تعد جسور ربطٍ بين أجزاء النص، تجبر المتلقي على التنقل في فضاء النص من أجل فك شيفراته وربط جمله بعضها

---

[1] نقلاً عن: الخطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ببعض. وذلك لما تؤديه من وصل أواصر مقطع ما، أو وصل عدة مقاطع بعضها بعضا، إضافة إلى تعدد مفرداتها (كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة...). والمقصود بها: " وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من أجل التأويل وإنما تُحيل إلى عنصر آخر، لذا تُسمَّى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة..." [١].

وقد ذكر جون ليونز تعريفا مشابها للخطابي بأنها: العلاقة بين الأسماء ومسمياتها[٢]، والعناصر الإحالية هي بحد ذاتها ألفاظ مبهمة تستقي دلالتها من العناصر المحالة إليها، في ذلك يقول الزناد " قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب"[٣] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللفظ المحال إليه هو من يُكسب العناصر الإحالية الدلالة والمعنى في النص. ويقول البحيري عن العنصر الإحالي: " هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره، وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحالية"[٤]، ويقول يول وبروان في معرض حدثهما عن الإحالة: " الأدوات التي تحيل داخل النص هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها، لا معناها الخاص، بل على إسنادها لشيء آخر، هذه الأدوات تجبر المتلقي على البحث في مكان آخر عن معناها"[٥].

ويُفهم مما سبق أن وظيفة الإحالة تقوم على الربط بين السابق واللاحق في النص، وهذا يجعل من النص متسقا؛ من خلال ما تقوم به عناصر الإحالة من تقريب للمسافات داخل

---

(١) انظر: خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ١٦-١٩.

(٢) عفيفي، أحمد، **نحو النص**، ص١١٦.

(٣) الزناد، **نسيج النص**، ص١١٨.

(٤) البحيري، **دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة**، ص ٩٢.

(٥) يول وبروان: **تحليل الخطاب**، ترجمة: منير التريكي ومحمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٣، ص ٣٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النصوص، فهي تقوم بدور أساسي في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط عدة جمل بعضها مع البعض غاية تشكُّل خطاب شامل، وفي هذا يقول الزناد:" تقوم عملية الإحالة على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"[١].

لعل المترجمين اتفقوا على ترجمة مصطلح الإحالة (Reference) بالإشارة, وليس ثمة تعارض مفاهيمي في هذه الترجمة، لكن قد يُستشكل بها على القارئ من الناحية الذهنية معرفته المسبقة لمصطلح أسماء الإشارة، فيتمخض عن هذا الاشكال مشكلة اصطلاحية، فالعلاقة بين أسماء الإشارة والإحالة علاقة العام بالخاص؛ فكل اسم إشارة هو بالضرورة إحالة ولكن ليس كل إحالة اسم إشارة؛ والسبب في ذلك عائد أن الضمائر بأنواعها والأسماء الموصولة أيضا تدخل في باب الإحالة.

فالعنصر الإحالي –كما ذكرت الدراسة سابقاً– لفظ عام لا يدل على معين، فهو يستقي دلالته من العنصر المُحال إليه، وكثيرا ما نجد مصطلحا إشاريا يُطلق على العنصر المُحال إليه عند النصيين[٢]، أمَّا العنصر الإشاري" فيُذكر مرة أولى ثم يُحال إليه بمضمر أو بلفظه مرة أو أكثر في مضون النص، فهو عامل إذ يحكم عددا من المكونات لأنه يفسرها"[٣]، ولعله من المفيد الإشارة إلى أن العنصر الإشاري لا يكون لفظا مفردا فحسب، ولكن قد يكون جملة أو نصا، فيقسم العنصر الإشاري إلى قسمين[٤]:

أولا: عنصر إشاري معجمي؛ وهو لفظ مفرد دال على شيء معين وقد يكون هذا الشيء حدثا أو ذاتا أو موقعا ما في الزمان أو المكان، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾

---

[١] الزناد، **نسيج النص**، ص١١٨.

[٢] منهم سعيد البحيري والأزهر الزناد.

[٣] الزناد، الأزهر، **نسيج النص**، ص ١٢٧–١٢٨.

[٤] انظر، **نفسه**، ص ١١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الحاقة: ٥)، فالضمير في قوله أهلكوا (واو الجماعة) عنصر إحالي يشير إلى لفظ مفرد وهو " ثمود" والمعنى أنه يحق إهلاك من يكذب بيوم القيامة، كأنه قيل وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا أي أهلكهم الله تعالى[١].

ثانياً: عنصر إشاري نصي؛ وهو جزء من الكلام الملفوظ أو الكلام كاملا. كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ (الحاقة: ٩)، فالهاء في قبله عنصر إحالي يحيل إلى عنصر إشاري نصي، ألا وهي الأمم المكذّبة بآيات الله، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بالخطيئة .

ويفرق الباحثون بين نوعين من الإحالة:

١- **الإحالة النصية (Endopheric Raference)**: وهي الإحالة التي تتم داخل النص ولا تتعداه، وقد قسمها الزناد إلى قسمين[٢]:

أ- **الإحالة القبلية (Anaphora)**: وهي تعود على مفسِّر سبق التلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسِّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث المضمر، ومثالها في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٧)، يلحظ أن ضمير الهاء في (فيها) يحيل إلى كلمتين سابقتين للضمير هما: الليالي والأيام، وهذه الإحالة تتم داخل الجملة الواحدة، ولن تركز عليها الدراسة بل ستذكر منها نماذج من قبيل التمثيل لا الحصر، ومنها أيضا قوله تعالى في سورة نوح:

---

(١) الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٤٦/١٥.

(٢) الزناد، الأزهر، **نسيج النص**، ص ١١٨-١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (نوح: ٢ – ٤)، ضمير الهاء في (اتقوه) يعود إلى لفظ الجلالة الله، وهنا ربط بين الجملة الأولى التي مفادها العبادة المتمثلة في قوله: (اعبدوا الله). وبين الجملة الثانية المتمثلة في قوله (اتقوه)، فيلحظ أن الضمير المتصل قد ربط بين الجمليتين الفعليتين (اعبدوا واتقوا الله) ربط لفظي دلالي يُسهم في فهم الرسالة النصية، وهذه الإحالة تستعمل في الربط بين الجمل في النص؛ وبالتالي يسهم في الاتساق داخل النص.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (الملك: ٢٨)، يلحظ أن الفعل (رحمنا) يشتمل على الضمير (نا) وقع في محل إعرابي مقدم في محل نصب مفعول به، فاعله ضمير مستتير تقدير (هو) يعود على لفظ الجلالة (الله) في الآية نفسها، فالضمير المستتر في هذه الآية يشكل عنصرا إحاليا داخليا عائدا إلى الله، عاملا على تنظيم أجزاء الجملة الواحدة، وينظم تتابع الجمل بعضها ببعض؛ لأنّ الجملة في الأصل مستقلة بنفسها، فإذا كان الهدف من الجملة جعلها جزءا من الخطاب فلا بد من وسيلة لغوية تربطها بالجزء الآخر، فجاء الضمير وسيلة ناظمة تربط تلكم الأجزاء، ولعل حاجة الضمير لإزالة الإبهام ضرورية، وإلا بقي الغموض يلفه، لكن ّهذا الإبهام، سرعان ما، يتلاشى عند توظيفه في السياق أو التركيب، فيصبح أكثر الأسماء توضيحا وتعيينا وتفسيرا، فوق ذلك، يغدو أداة ربط تحدث تماسكا متساوقا شكلاً ومضمونا في النص.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب- **الإحالة البعدية (Cataphora)**: تعود على عنصر إشاري مذكور في النص، ولاحق بها؛ للدلالة على شيء ما، غالبا يكون ذا أهمية، والجمل التي تأتي بعد ضمير الإحالة تؤكد تلك الدلالة، وتبينها بوضوح،، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (الملك: ٢١)، فاسم الإشارة هذا يحيل إلى اسم الموصول (الذي) وهو عنصر لاحق به، والمقصود به (الله)، فقد أكدّ تساؤلا مفاده: من هذا الذي إذا قطع اللّه عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ وجاءت الجمل بعده مؤكده هذا التساؤل، وشارحة تفاصيليه، ومبينة دلالاته، فلا أحد يعطي ويمنع، ويخلق ويرزق إلا اللّه وحده لا شريك له، وثمة نموذج آخر مقارب لما ذُهب إليه، آنفا، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة: ٤٠ – ٤٢)، يلحظ أن عددًا كبيراً من الآيات اللاحقة بالضمير جاءت موضحة له ومبينة دلالاته ومراجعه، بل يظهر أن التفسير والتوكيد يتصاعدان بنسبة أعلى عندما تتكرر الإشارة إلى ذات الموضوع في آيات مشابهة ومماثلة، وهي قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الحاقة: ٤٨)، وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الحاقة: ٥٠) ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ (الحاقة: ٥١)، ومن الجلي أن هذه الآيات تكررت فيها الإشارة والإحالة البعدية دلالة وتأكيدا على عظمة رسالة النبي محمد .

ومن الأمثلة على الإحالة البعدية قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (الجن: ١)، فضمير الشأن في هذه الآية أحال إلى لاحق وهو استماع نفر من الجن للقرآن، فالجملة الفعلية التي وقعت خبر(إنَّ) هي التي فسَّرت المُحال إليه، لكن الأصل أنّ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مفسّر الضمير يسبقه، وما وقع في الآيات السابقة مخالف للأصل؛ لكن التماسك في هذه الآيات السابقة باعتبارها خطابا يحدث من إحالة الضمير على لاحق له. والمحال إليه – كما ترى الدراسة – هي المعرفة الذهنيّة المتشكلة مسبقا في ذهن المرسل لكن المتلقي تدور في ذهنه مجموعة من التصورات تخلق عنده عنصر التشويق من أجل معرفة إلامَ يُحيل الضمير، فتُنسج خيوط التماسك عندما ينطق المرسل بمراده بعد الضمير، فتنجلي ضبابية الإبهام وعدم تماسك الخطاب لدى المتلقي، فتماسك الخطاب لا يتحقق إلا إذا تحصل المتلقي على الفائدة؛ فعملية الإحالة الضميرية قد تكون عائدة على عنصر لا يمكن معرفته إلا من المقام الذي يجري فيه الحديث.

لعل ما سبق تبيانه يشير إلى أن الإحالة الداخلية تكون داخل النص، ولا تتعداها إلى المقام الخارجي، وأنها تقسم بناء على موقع العناصر الإحالية من العنصر الإشاريّ؛ فإذا كانت العناصر الإحالية متقدمة على العنصر الإشاري تسمى بعدية، وإذا كانت متأخرة عن العنصر الإشاري تُسمى إحالة قبلية.

٢- **الإحالة الخارجية أو المقامية (Exopheric Reference)**: وهي التي توجه المُتلقي إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي، حيث تُسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام[١]، وكأنها تحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم[٢].

تحتم الإحالة الخارجية على المتلقي الإحاطة بالنص والسياق الذي قيل فيه؛ فكثير من النصوص لا تفهم فهما تاما إلا إذا رُبطت بسياقها الذي قيلت فيه. يقول بوجراند" وتعتمد الإحالة

---

(١) خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص١٧.

(٢) الزناد، الأزهر، **نسيج النص**، ص١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف (Context) شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق (Anaphora) والإحالة لمتأخر"[1].

ومن الأمثلة على الإحالة الخارجية قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦)، إنّ وظيفة الرسول ﷺ دعوة الناس إلى الإيمان بالله – عز وجل– وهذه الدعوة يستلزمها وجود مدعوين إلى الإيمان، ومن هؤلاء الذين دُعوا إلى الإيمان بالله كفر به وأعرض عنه، ودليل ذلك، وجود ضمائر تعود على الكافرين، فقد ذكر السيوطي أن هذه الآية نزلت في كفار قريش عندما منعوا المطر سبع سنين[2]، على الرغم من أنه لم يتم ذكرهم في الأية، وتمثل الدراسة للإحالة على النحو التالي:

كفار قريس ← مرجعية خارجية إلى ← استقاموا – اسقيناهم (الواو+ هم)

التماسك النصي الشكلي يتحقق في عدم الاستغناء عن هذه الضمائر الموجودة في الآيات، بحيث لو حُذفت تصبح هذه الجمل والايات متلازمة متجاورة متراصة دون رابط يربطها، ويعيد الأسماء على بعضها بعضًا، لذلك، ظهر في هذه النموذج أن الضمير أحال إلى ما هو خارج النص ولم يذكر فيه، وعلى هذا، فالإحالة الخارجية بمثابة رابط بين النص ومقامه الخارجي.

بناء على ما تقدم نخلص إلى أنَّ الإحالة بقسميها (الخارجية والداخلية) تسهم في تحقيق الاتساق النصي؛ وذلك بتحقيقها للربط بين المكنونات الداخلية للنص من جهة، والعالم الخارجي من جهة أخرى؛ وبما تؤديه أدوات الإحالة من عملية ربط بين أجزاء النص، مع توافر ما تحيل إليه هذه الأدوات إلى الكلام الظاهر في النص، والخارجي المتضمن علاقة السياق الخارجي

---

[1] بوجراند، روبرت، **النص والإجراء والخطاب**، ص ٣٣٢.

[2] السيوطي، **أسباب النزول**، المكتب الثقافي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالنص، حيث إنَّ متلقي النص لن يتمكن معرفة الحلقة المفقودة – أي ما تحيل إليه الضمائر وأسماء الإشارة وغيرها من أدوات الإحالة – في النص إلا إذا كان على معرفة تامة بالسياق الخارجي المحيط بالنص كأسباب النزول وعلم المناسبات...إلخ.

إذا دلَّ لفظ الإحالة على متكلم فهذا يعين القارئ على معرفة اللفظ الإشاري، ومن الأمثلة على ذلك في القران الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (القلم: ١٧)، فلو أمعنا النظر في الآية المذكورة آنفا لوجدنا أن الضمير المتكلم (نا) تكرر ثلاث مرات، فهو يحيل إلى لفظ الجلالة الله؛ وتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أي بلونا مشركي قريش، يقول: امتحناهم فاختبرناهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يقول: كما امتحنا أصحاب البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ يقول: إذ حلفوا ليصرمُنّ ثمرها إذا أصبحوا. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ولا يقولون إن شاء الله"[1]. تأتت هذه المعرفة المضمونية لمنطوق الآية؛ لأنه يُعرف مرسل النص، ويتحقق الاتساق في هذه الآية من عنصريين اثنين هما: الإحالة و تكرير الضمير.

ثمة آيات في القرآن الكريم يُستشكل على القارئ فهم المراد منها إلا إذا اطلع على أسباب النزول للآيات، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (المعارج: ٣٦) ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (المعارج: ٣٧) فاسم الموصول (الذين) في الآية آنفة الذكر نزل في الكفار الذين كانوا في زمن الرسول، فقد تحدث ابن كثير في تفسيره عن سبب النزول قائلا: " يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ مُشَاهِدُونَ لَهُ

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ٢٠٠٠م، ٥٤٢/٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَلِمَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَمَا أَيَّدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَارُّونَ مِنْهُ مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ، شَارِدُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا فِرَقًا فِرَقًا، وَشِيَعًا شِيَعًا"[1]، دلت الآيتان أن الكافرين غافلون منغمسون بدنياهم لا يلقون بالا ولا يهمتون لقول النبي، على خلاف المؤمنين الذين يتمتعون بكامل الأدب والأخلاق والهدوء والسكون في حضرة الرسول ﷺ.

إنَّ قارئ الآية السابقة لو كان على دراية بسبب النزول لقام بعملية استحضار ذهنية للموقف الذي نزلت فيه عند قراءة هذه الآية وربطها بسبب نزولها، والآية هنا لا تقتصر على المعنى الخاص التابع للموقف والمرتبط بسبب النزول، ولكن قد تطلق الآية على عمومها من تعميم لصفات الكفار في زمن النبي ﷺ حيث إعراضهم عن النبي وعدم الالتفات لما يقوله، فالاسم الموصول يفسر صفات هؤلاء الكفار بشكل عام وليست صفات موقفية؛ أي تبعا للموقف الذي تعاملوا به مع الرسول ﷺ.

ولعل التشجير الآتي يوضح أقسام الإحالة[2]:

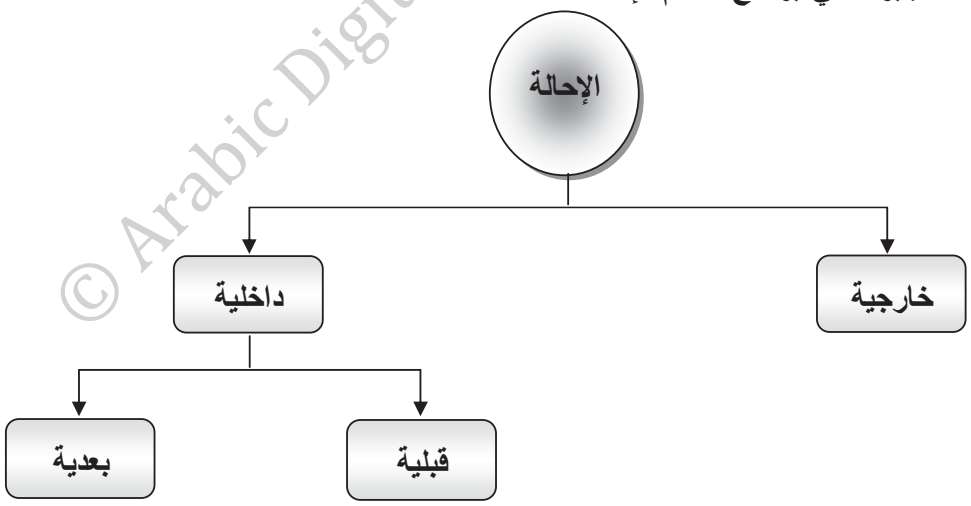

---

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمرو، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩، ٢٤٢/٨.

(2) انظر: خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المدى في الإحالة:

تتماز الروابط الإحالية باختلاف مداها، يقول البحيري في مدى الإحالة: " فبعضها ينحبس في حدود الجملة الواحدة فيربط عناصرها، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى جمل متعددة داخل النص، حيث يربط عناصر متباعدة لتؤدي إلى اتساق النص"[١].

إنَّ الإحالة ذات المدى القريب:" تجرى فى مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبية جملية"[٢] وتنقسم إلى قسمين قبلية وبعدية، وكلا القسمين يعمل على تماسك النص، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (نوح: ١) فالضمير الهاء في (قومه) والضمير الكاف في (قومك) يحيلان إلى نوح عليه السلام إحالة قبلية، فعنصرا الإحالة قريبان من العنصر الإشاري.

أمَّا الإحالة ذات المدى البعيد" تجرى بين الجمل المتصلة أو المتباعدة فى فضاء النص، وهى تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل"[٣]، فإن العنصر الإحالي يكون بعيدا عما يشير إليه، ومن ثمَّ فإن متلقي النص يعمل على تضييق المسافات بين فضاءات النص، وهذا بدوره يؤدي إلى اتساق النص وتماسكه بصورة أكبر من الإحالة قريبة المدى، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة القلم ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ

---

[١] بحيري، سعيد، **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

[٢] الزناد، الأزهر، **نسيج النص**، ص ١١٨

[٣] نفسه، ص ١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ (القلم: ١٧ – ٢٣)، إنَّ هذه الآيات تجمع بين الإحالتين بعيدة المدى وقريبة المدى, ويشكلان ترابطا وتماسكا نصيا قويا، لكن سنأخذ الواو في قوله (انطلقوا) للتمثيل على الإحالة بعيدة المدى, سنجد أنها تعود إلى أصحاب الجنة وهي بعيدة نسبيا عن العنصر الإشاري فقد ذكر الاسم الإشاري (أصحاب الجنة) في الآية السابعة عشرة والإحالة الضميرية كانت في الآيات متتابعة على أصحاب الجنة، فابتعد الاسم الإشاري قليلا عن ألفاظ الإحالة، وهذا داعٍ ترابطيّ لاتساق النص أكثر من الاحالة القريبة؛ لأنه يجعل النص كحلقة واحدة تجعل من المتلقي أكثر تركيزاً في معرفة ما تحيل الضمائر إليه، كما أن هذه العناصر الإحالية بنوعيها من شأنها أن ترصف الجمل رصفا وتشد انتباه القارئ وتجعله يتأمل النص ويمعن كم هو مترابط.

وعليه، فإن للإحالة دورا مهما في تشكيل النص وبناء وحدته على المستويين الداخلي والخارجي؛ إذ إن عملية التتابع للعناصر الإحالية داخل النص وإحالتها إلى عنصر إشاري معين ينبئ القارئ بموضوع النص، كما أن ربط العناصر الإحالية المنتشرة في فضاءات النص، وبين عنصر أو أكثر إشاري سابق، أو لاحق عليها يعمل على تحقيق الربط المتماسك بين أجزاء النص؛ إذ تعمل على حياكة خيوط شبكة أو شبكات من العلاقات التركيبية بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية؛ وهذا بدوره يعمل على تحقيق ما يسمى بالربط الرصفي، ويولد لدى القارئ فهما للعلاقات الدلالية والتركيبية الكائنة بين العناصر الإحالية ما تشير إليه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عناصر الإحالة: قسم الباحثون عناصر الاتساق الإحالية إلى ثلاثة عناصر[١]، وهي الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقاربة.

أولاً: الإحالة الضميرية:

تعد الضمائر من أكثر وسائل التماسك النصي أهمية فهي تسهم في ترابط النص دلاليا وسطحيا، وهي تحيل إلى داخل النص وخارجه. كما إنَّ معرفة الماهية التي يحيل إليها النص يجعلنا نستحضر " أنَّ كل علامة لسانية تمثل معنى وإحالة في نفس الوقت، وبالتالي فالدلالة ناتجة عن حدوث تلازم بين المعنى والإحالة"[٢] وهذا يدل على أن النص يحيل المتلقي إلى نوعين من المرجعيات: المرجعية الموجودة والملفوظة داخل النص، والمرجعيات المستترة التي تتضح للقارئ من خلال المقام والظروف الزمكانية والدلالات وثيقة الصلة بالمحال إليه.

لعل نماذجنا الآنفة الذكر أوضحت بجلاء دور الضمائر المهم في عملية الاتساق النصي، وهذه الوظائف يتمخض عنها فوائد مهمة في تشكيل الاتساق النصي مثل الاختصار، والربط الرصفي، وبناء وحدة النص، وغيرها من الوظائف الجزئية التي ستفرد لها الدراسة مبحثاً كاملاً.

والضمائر نوعان نوع يحيل إلى خارج النص وينطوي تحتها ضمائر المتكلم والمخاطب وضمائر أخرى لها أدوار هامة في اتساق النص سماها هاليدي وحسن (أدوارا أخرى ينطوي تحتها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا إذ تحيل –غالياً– إلى داخل النص[٣]، فضمير المتكلم

---

(١) انظر: خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ١٧. أيضا انظر أبو زنيد، عثمان، **نحو النص**، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) الباهي، حسان،، **اللغة والمنطق**: بحث في المفارقات، الدار البيضاء، الرباط، المركز الثقافي العربي ودار الأمان للنشر، ط١، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) انظر: خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما إبان الكلام، أما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه ليس موجودا فلا بد من مرجع يوضح المراد منه.

ويشار إلى أن بعض الدارسين في دراساتهم النصية التحليلية لعناصر الاتساق قد أشاروا إلى أن الضمير المستتر هو من باب الحذف[١]، لكن الأصوب حسب – ما تراه الدراسة – هو تصنيف ضمير المستتر ضمن حقل الإحالة؛ لأن الضمير المستتر من المبهمات التي تتضح ويبين كنهها بما تحيل إليه، وعليه، فهو مضمر يبقى أثره موجودا في اللفظ، ولا يكون ذلك للحذف؛ لأن الحذف يكون فيه إسقاط جزء من الكلام، وهذا ما ستوضحه الدراسة في مبحث الحذف.

– نماذج تطبيقية على الإحالة الضميرية:

لقد حققت الإحالة الضميرية اتساقا للنص القرآني في جزء تبارك من خلال توازي الإحالة الضميرية مع تعدد وانقسام الفكرة العامة في السور بشكل خاص والجزء بشكل عام، إذ يكثر الضمير المتصل في الجزء[٢]، ولكنه انتظم في خطين متوازين إلى حد ما بين ضمير المتكلم والمخاطب، وجاء أيضا ضمير الغائب في كثير من الآيات, كما أنها جاءت موزعة بين الأسماء والأفعال وشبه الجمل، وستذكر الدراسة نماذج للإحالة الضميرية بأنواعها المختلفة.

---

(١) منهم أبو خرمة، عمر، في كتابه: **نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى**، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٤، ص١٧٠.

(٢) يكون الإضمار بترك تكرار الاسم والاستعاضة عنه بعلامة الضمير، وقد ورد في كتاب سيبويه تعليق للسيرافي على الإضمار جاء فيه:" اعلم أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكريره في جملة واحدة كان الاختيار ذكر ضميره.. ويجوز إعادة لفظه بعينه في موضع كنايته" (سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، (ت: ١٦٠هـ)، **الكتاب**، ط١، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦، ج١، هامش١، ص٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولقد حققت الإحالات الضميرية تناسقا شكليا ليس على مستوى السورة فحسب بل على مستوى الآية الواحدة؛ بحيث لا يمكن الاستغناء عن الضمائر على صعيد الآية الواحدة فلو أخذنا على سبيل المثال سورة المُلك لوجدنا أن الضمائر تشكل نسبة كبيرة في الآيات ففي الأية الأولى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١)، مثلا فيها ثلاثة ضمائر على اعتبار من يرى أنَّ (اسم الموصول) من الضمائر، أو تقوم بعمل الضمائر[١]، فهي تحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة، وعلى مستوى النَّص؛ حيث تتجه وتتمحور نحو بؤرة النص (الله) تعالى، فقد نابت (الذي) مناب اسم الجلالة (الله) والضمير المتصل الدال على غائب عن ذكره في النص والضمير المنفصل هو عائد إلى الله، فلو حُللت صورة الإحالة الضميرية في هذه الآية تحليلا رياضيا لقيل: الذي+ حرف جر+ عنصر معجمي+ ضمير غائب + ضمير منفصل دال على غائب هو الله، ويمكن توضيح الإحالة تشجيراً على هذا النحو:

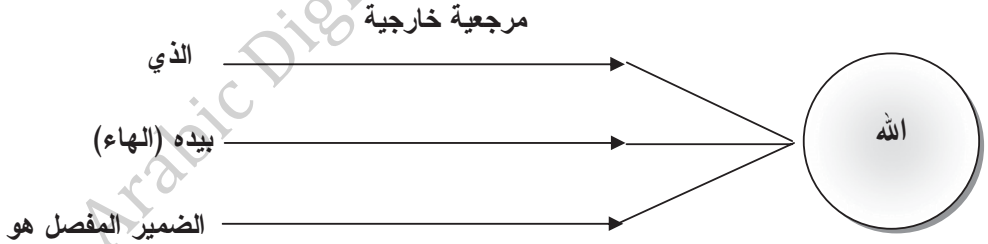

حيث إنَّ جُل الآيات تسير نحو اتجاه واحد هو توحيد الألوهية، وهذا يمثل وحدة موضوعية للنص.

---

[١] انظر: الفقي، صبحي، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، ص٢٠١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قوله تعالى في سورة تبارك ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ الملك: ١٣

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (الملك: ١٣)، فإذا أردنا أن نعرف مرجعية الضمائر في قوله (أسروا، قولكم، اجهروا) و الهاء في (إنه) فالهاء تعود إلى الله تبارك تعالى هذه الآية تبين أن الضمير عائد إلى الله تبارك وتعالى، لكن الضمائر في أسروا وقولكم واجهروا تتطلب العودة إلى أسباب النزول حتى يتسنى لنا معرفة المحال إليه في هذه الضمائر، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَنَالُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَبَّرَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا قَالُوا فِيهِ وَنَالُوا مِنْهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ لِئَلَّا يَسْمَعَ إِلَهُ مُحَمَّدٍ"[1]. وعلى هذا يتبين أن مرجعيتها خارجية تعود إلى المشركين .

لكن ما علاقة العنصر المحال إليه (المشركين) بالمحور الرئيسي للسورة ألا وهو هيمنة الله تعالى وامتلاكه لكل شيء, فجل الآيات في السورة تتحدث عن قدرة الله وامتلاكه لكل شيء، ومع ذلك لم يؤمن المشركون بالله, ولم يؤمنوا بقدرته وأنه الملك المالك والقادر على كل شيء، فكل الآيات التي سبقت هذه الأية تذكرهم بقدرة الله وامتلاكه لكل شيء، وتذكرهم بالوعيد الذي ينتظرهم، وكل هذه الآيات التي سبقت الأيات التي تتحدث عن المشركين هو حوار موجه لهم، وبذلك يستشعر المتلقي بأهمية الضمائر على اختلاف ما تُحيل إليه ودورها في الربط بين البؤرة المركزية والبُؤر الثانوية المشكلة لمضمون الآية المعرفي.

تتمثل الوظيفة المركزية للضّمير أيّ كان نوعه، في أنه يؤتى به للرّبط بين السّابق واللاحق ويشدّه إليه، ويتفادى تكرار ما سبق أن أشير إليه.

---

[1] الواحدي، علي بن أحمد، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار صلاح، الدمام، ط٢، ١٩٩٢م، ص ٤٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: أسماء الإشارة (Demonstratives):

تُعد أسماء الإشارة الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق النصي، منها ما يدل على الزمان (الآن وغداً)، ومنها للمكان (هنا وهناك)، ومنها للبعد (ذلك وتلك) ومنها للقريب (هذه وهذا)، فهي تسهم في الربط القبلي والبعدي ومن ثمة تسهم في اتساق النص[١]، ومن المزايا المائزة لألفاظ الإشارة أنها "تُعين المتكلم على التركيز والإيجاز وتفادي التكرير الذي تترهل به الأساليب"[٢]، كما أنها تُعد حلقة ربط بين أجزاء النص بحيث تجعل للنص وحدة نصية متلاحمة الأجزاء، وتبرز وظيفة أسماء الإشارة الإحالية من خلال تحديد العنصر الإشاري، شأنها شأن الضمائر من خلال ما تحيل إليه من عنصر مفرد أو عناصر متعددة، كما أنها تحيل إلى خطاب كامل، والعنصر الإشاري قد يكون داخلياً أو خارجياً.

ويُدخِل بعض الباحثين (ال) التعريف في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بذات الوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، ويفرقون بينها وبين أسماء الإشارة وذلك بأن اسم الإشارة يدل عليها بالدلالة على القرب والبعد، أما (ال) التعريف فهي غير متصفة بصفتي القرب ولا البعد[٣]. يعمل التعريف على ربط مكونات النص من خلال تكرار لفظ تمَّ ذكره في سياق سابق في صورة أكثر تعريفا وتحديدا من ورودها في الصورة الأولى، وخير مثال على ذلك قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ (المزمل: ١٥ – ١٦)، إذ تتم عملية الإحالة على النحو الآتي: أل التعريف الموجودة

---

(١) انظر: خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص١٩.

(٢) أبو موسى، محمد، **خصائص التركيب**، دار التضامن للطباعة، ط٢، ١٩٨٠م، ص٥٩.

(٣) نحلة، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٢م، ص٢٢ وما بعدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في لفظ الرسول الأخيرة = لفظ الرسول الذي ورد في بداية الآية جاء نكرة؛ فعندما ذكر الله – جلّ جلاله – الرسول الذي أرسله الله إلى فرعون أول مرة جاء ذكره نكرة، ثم جاء ذكره مرة أخرى تابعة للمرة الأولى وفي نفس السياق معرفا بأل العهدية، وهو العهد الذكرى، أي الرسول المذكور آنفا، فإن "النكرة إذا أعيدت معرفة باللام كان مدلولها عين الأولى"[1]، فالإحالة الإشارية هنا إحالة قبلية.

فالإحالة بأل التعريف تعد ركيزة من ركائز الاتساق النصي وذلك من خلال عملية التكرار للعنصر معرفا بعد ورود نكرة فيما سبق، وذها ينمي من قدرة المتلقي على ربط الجمل في النص فيتحقق الاتساق النصي.

وألفاظ الإشارة –عموماً– تتماز بأنها تلفت انتباه المتلقي إلى موضاعتها وذلك بالإشارة إليها، فهي ألفاظ لا قيمة لها منفردة بذاتها، وإنما تُعرف دلالتها بما تشير إليه؛ بمعنى أن قيمتها تحصيلية، حيث تستعمل أسماء الإشارة استعمال الروابط، ويكون بديلا عن مفرد أو جملة أو نص، وقد تكون الإحالة قريبة المدى وقد تكون بعيدة المدى حسب المسافة التي تفصله عن العنصر المشار إليه.

– نماذج تطبيقية على الإحالة الإشارية:

ومن أمثلة ألفاظ الإشارة في جزء تبارك قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ (المعارج: ٣١)، يلحظ أنّ هذه الآية تحتوى على اسمي إشارة؛ فالأول (ذلك) يعود على غير الزوجات والمملوكات، وهو يلفت انتباه إلى الآيتين السابقتين اللتين تتحدثان عن حفظ الرجل لفرجه إلا على أزواجه أو ما ملكت يمينه، ويقول الله عز وجل فيهما: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/١٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (المؤمنون: ٥-٦)

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ (المؤمنون: ٧)، يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحًا سوى زوجته، وملك يمينه، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حَرّم عليهم. والملحوظ أن اسم الإشارة (ذلك) أحال إلى نص سابق عليه، حيث جاء في سياق السورة اقتصادا لغويا للكلام، وتوفيرا للجهد، وتحاشيا للتكرار، لمّا أحيل على مجموعة أحداث تلتقي كلها في نتيجة انبنى عليها الحدث، أو تشكّل منها المعنى الذي يحيل إليه العنصر الإحالي الجامع لكل ما تقدم، فمنبع أهمية اسم الإشارة أنه يشير إلى كلام سابق يُستقى منه نتيجة، وكأنه جيء به هنا تهديدا ووعيدا لمن يخالف أوامر الله تبارك وتعالى، ويمكن تقسيم أركان الإشارة في الآية السابقة على النحو الآتي:

- **المُشار إليه:** حفظ الفرج إلا على الزوجات أو ملك اليمين
- **المُشار له:** المسلم
- **المشار به:** ذلك
- **عمل الإشارة:** الإحالة إلى المشار إليه وتأكيد الامتثال للأوامر واجتناب المخالفة وإلا صار في عداد العادين, حيث كل من استنكح فرجا لا يحل له صار من العادين (الذين يتعدون الحلال إلى الحرام).

يُلحظ مما سبق أن اسم الإشارة (ذلك) قام بتعليق ضمني للفعل؛ بمعنى أن الإنسان لا يقع ضمن دائرة العاديّن إلا إذا خالف ما حرم الله، ونهاه الله من الاقتراب منه، وتعدّى الحلال إلى الحرام، كما أنّ اسم الإشارة أغنى عن تكرار الاسم الإشاري الذي أحال إليها، وبذلك، يكون قد أدَّى دورا مهما في بناء النص والتحام أجزائه واتساقها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونذكر مثالا آخر على الإحالة الإشـــارية فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ (المعارج: ٣٥) فالإحالة الإشارية هنا باسم الإشارة (أولئك)؛ إذ يعـــد هـــذا العنـــصر الإحـــالي الإشاري بعيد المدى نسبيا؛ بمعنى أنها لم تكن في ذات الجملة، بل يحيل إلى النص الذي ســـبقه من الآيات؛ فهي إحالة قبلية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج: ٣٢ – ٣٤)، يُلحظ من هذه الآية الكريمة أهمّية ضمير الإشارة (أولئك)الوارد في الآية السابقة، وتمثلت وظيفته اللغوية الخطابية بما هو آتٍ:

١- اسم الإشارة (أولئك) قام مقام سلسة من الأحداث رويت في سياق سابق على الآية، وهـــذا يدفع القارئ لاستحضار المحتوى في ذهنه وربطه بما سبق وبما لحق بإيجاز شديد.

٢- نظرا لمرونته الإحاليّة أغنى المتكلّم عن رواية الأحداث السابقة مرة أخرى.

٣- اسم الإشارة (أولئك) استُخدم اختصارا للوقت واختزالا للجهد واجتنابا لتشتّت الذهني على صعيد الموضوعات لدى المتلقي؛ فالمتلقي يصيبه الملل في حالة التكـــرار غيـــر المفيـــد للملفوظات.

٤- إنَّ الله تعالى أتى باسم الإشارة (أولئك) في خطاب الآية؛ لأنّه يعلم أنَّ المتلقي على علم بما يحيل إليه اسم الإشارة بناء على الخلفيّة الذهنية المسبقة المشتركة بين المُرسِل والمُرسَـــل إليه.

٥- قام مقام النتيجة المباشرة لسبب سابق، فكل من امتثل للأوامر الإلهية المذكورة في الآيات التي سبقت اسم الإشارة دخل الجنة وحاز على رضى الله تبارك وتعالى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجملة القول: اسم الإشارة (أولئك) في هذه الآية قام بوظيفة تداولية واضحة من خلال اختزاله كلّ الأدوار، فصار يساويها من حيث الدّور والهدف المنشود. وإذا أريد أن تحلل العملية الإحالية التداولية التي جرت في هذه الآية فإنها جاءت على النحو الآتي:

أ- **المُشار إليه:** مجمل الآيات التي تحث على امتثال أوامر الله من قوله والذين هم لأماناتهم... إلى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون.

ب- **المُشار له:** الإنسان الممتثل لأوامر الله (المؤمن)

ج- **المُشار به:** أولئك

د- **عمل الإشارة:** ربط اسم الإشارة بين الآيات السابقة المشار إليها ومن يتبعها المشار له، وكان الغرض منها دخول الجنة، حيث أريد بهذه الحالة استحضار عظم الأجر لمن يمتثل لأوامر الله تعالى وتعظيم الأجر في عين المشار له.

وتجلت بوضوح الوظيفة التداولية الإحالية القبلية لضمير الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ (المزمل: ١٩) يُستبان من هذه الآية الشريفة أنَّ اسم الإشارة (هذه) يحيل إحالة قبلية نصية إلى الآيات السابقة لها من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ (المزمل: ١٥ – ١٨)، والذي يرشدنا إلى القول بهذا هو قوله تذكرة فالتذكرة هي اسْمٌ لِمَصْدَرِ الذُّكْرِ بِضَمِّ الذَّالِ، الَّذِي هُوَ خُطُورُ الشَّيْءِ فِي الْبَالِ، فَالتَّذْكِرَةُ: الْمَوْعِظَةُ لِأَنَّهُ تَذَكُّرُ الْغَافِلِ عَنْ سُوءِ الْعَوَاقِبِ، وَهَذَا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَنْوِيهٌ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَتَجْدِيدٌ لِلتَّحْرِيضِ عَلَى التَّدَبُّرِ فِيهِ وَالتَّفَكُّرِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّعْرِيضِ[1]. وهذا من شأنه أن يجعل المتلقي –كما قلنا سابقاً– أن يستحضر في ذهنه الآيات التي مرت به سابقا، فاسم الإشارة يختصر سلسلة أوامر إلهية تحذيرية.

فقد أحال اسم الإشارة (هذه) إلى وصية الله تعالى باتباع الرسول والتحذير من مخالفته وعدم واتباعه، وأنَّ اسم الإسارة وصل بين ذينك الأمرين السبب والنتيجة؛ ليُظهر نسيجا متماسكا.

والمتمعن في الدور الذي تقوم به أسماء الإشارة في النص القرآني يجد لها الأثر الواضح في اتساق النص، وهذا يرشد المتلقي ويعينه على السير في النص القرآني (آية آية)، فيستكنه دواخله حتى يعرف إلى ما تحيل هذه الأسماء الإشارية، والتعرف على العلاقات التي تربط وتنظم الآيات بعضها بعضا.

من أجل إيضاح العملية الإشارية وبيان عناصرها تقول الدراسة:

أ- **المُشار إليه:** التحذير من عواقب مخالفة الرسول صلى الله علي وسلم.

ب- **المُشار له:** الإنسان

ج- **المُشار به:** هذه

د- **عمل الإشارة:** أغنت عن إعادة العنصر الإشاري وقامت بوظيفته دون إعادة ذكره مرة أخرى، كما أفادت المتلقي واطلعته على نتيجة حتمية لمن يخالف رسول ﷺ وهي سوء العاقبة.

---

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، (د.ط). ٢٩/٢٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتظهر الإشارة الإحالية المكانية بوضوح في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (الإنسان: ٢٠):

اسم الإشارة (ثَمَّ) بمعنى هنالك ولا يأتي إلا ظرفا، فهو يشير إلى المكان الذي تحدث عنه الآيات السابقة، وهي الجنة, ابتداء من الآية الثانية عشرة من السورة حيث قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ (الإنسان: ١٢ – ١٨) ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ (الإنسان: ١٩)، فاستعمل الله تبارك وتعالى اسم الإشارة بمعنى هنالك إشارة للمكان، وهو مختص بالبعد، وعنى به الجنة، فالخطاب لغير معين، فهي جزاء كل من أطاع الله، ففي سورة الإنسان كان الحديث طويلا عن أهل الجنة، وعن النعيم الذى يمرحون فيه، وعن الخير الذى يُسر لهم، واختصر كل هذا باسم الإشارة ثَمَّ، ومن الملحوظ أن اسم الإشارة (ثَمَّ) قد تجاوز حدود الجملة الواحدة إلى جمل عدة (آيات) متعالقة مع بعضها، وقد عاد اسم الإشارة على هذه الجمل (الآيات) كلها فحقق بذلك اختصار وترابطا. ويمكن توضيح ذلك اختصاراً على النحو التالي:

أ- **المُشار إليه:** الجنة

ب- **المُشار له:** أي عبدٍ التزم بأوامر الله لم يُوجه هذا النداء لعبد بعينه

ج- **المُشار به:** ثَمَّ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

د- **عمل الإشارة:** جزاء الذين يوفون بالنذر ويتقون الله ويطعمون الطعام ويمتثل لأوامر الله هي الجنة حيث فيها لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإنَّ بصرك أينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا عظيم القدر لا تحيط به عبارة, وهو يشمل المحسوس والمعقول[١].

إنَّ وجود أسماء الإشارة التي تحيل إحالة نصية داخلية متأثرة بطبيعة النص، فهو مكتوب كتابة، والنص المكتوب ينماز عن المنطوق بتوفر الأدوات التي تعمل على تعليق أجزاء النص.

ثالثاً: أدوات المقارنة:

عملية المقارنة تتم بين شيئين -على الأقل- يشتركان في سمة مشتركة بينهما أو أكثر، والمقارنة كما أشار إليها الخطابي في تعريفه "وجود عنصرين يقارن النص بينهما، وتنقسم إلى عامة يتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية وكيفية، أمَّا من منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه، فهي تقوم بوظيفة اتساقية"[٢]. يتضح من خلال نظرة الخطابي المفاهيمية للمقارنة أنها تربط السابق باللاحق وذلك من خلال أنواع مختلفة[٣].

---

(١) انظر، الألوسي، **روح المعاني**، ١٥/١٧٨.

(٢) خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ١٩.

(٣) من أنماط المقاربة:

- مقارنة كمية: وتكون باستحدام ألفاظ مثل: أكثر، أقل.
- مقارنة كيفية: وتكون باستخدام ألفاظ مثل: أجمل وأفضل.
- مقارنة تطابق: وتكون باستحدام ألفاظ مثل: نفس.
- مقارنة تشابه: وتكون باستحدام ألفاظ مثل: يشبه، يوازي، يماثل.
- مقاربة اختلاف: وتكون باستحدام ألفاظ مثل: أخرى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتماز أدوات المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بذاتها، وهذا يجعلها قابلة لأن تكون وسيلة من وسائل تماسك النص؛ لأنه أينما وردت هذه الألفاظ صار لزاما على المتلقي أن ينظر إلى غيرها بحثا عما تحيل إليه، حالها حال الضمائر وأسماء الإشارة مع ما تحيل إليه، فقد تكون مرجعيتها خارجية، وقد تكون داخلية، فإذا كانت الإحالة داخلية إما أن يكون المرجع متقدما قبليا أو متأخراً بعدياً.

لكن ثمة تساولٌ مهم في مسألة المقارنة، وترى الدراسة أنه لا بد من طرحه وتوضـــيحه، مؤدى هذا التساؤل أن كثيرا من المتخصصين في مجال لسانيات النص قد أوردوا المقارنة تحت باب الإحالة، وقد أشارت الدراسة في بداية حديثها عن ألفاظ الإحالة أنها ألفاظ مبهمـــة بـــذاتها تُعرف ماهيتها ودلالتها بما تشير إليه، وهذا غير موجود في المقارنـــة؛ إذ إنَّ أدوات المقارنـــة تقارن بين تركيبين مقارنة دلالية، وقد تحدث الشاوش في هذه القضية قائلا " فمفردات من قبيل "مثل" و" شبه"، وما جاء من الكلمات على صيغة التفضيل، تقتضيي دلاليا، أو قل منطقيا بنيـــة ثنائية، وبالتالي، لا يجري استعمالها إلا في تركيبة تتوفر فيها تلك الاثنينية بوجه من الوجـــوه، فإذا اعتبرت هذه الظاهرة الدلالية التركيبية من قبيل الإحالة فتحت بابا يصعب عليك أن تقفله، إذ سيدخل فيه جميع البنى التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين، بما في ذلك الصيغ الدالة علـــى المشاركة، بل وحتى الأفعال التي لا تتحقق إلا بتوفر عدد معين من العناصر، وإذا بالإحالة تبتلع جميع مقتضيات الدلالة والإعراب"[1].

---

[1] الشاوش، محمد، **أصول تحليل الخطاب**، ١/١٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نماذج تطبيقية على المقارنة:

ومن الأمثلة الواردة في جزء تبارك على المقارنة قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٣٣) فقط ربطت كلمة أكبر التي هي من ألفاظ المقارنة بين عذابين (عذاب الدنيا وعذاب الآخرة) والمقارنة هنا مقارنة كيفية؛ ففي الآية الكريمة تتحدث عن العذاب الدنيوي بما عاقب الله به أصحاب البستان، ومقارنة هذا العذاب بالعذاب الآخروي الذي ينتظرهم حيث إن العذاب في الآخرة أشد وأكبر من العذاب الدنيوي مهما كان نوع العذاب الدنيوي، ولأنه لا يكون الشيء أكبر إلا بموازنته بشيء آخر، ولا يعرف ماهية الشيء إلا بالرجوع إلى ما سبق من الآيات، وعليه، تتحقق فكرة اعتماد الأجزاء كل منهم على الآخر وتعالقها وارتباط بعضها بعضا، وعدم استغناء أحدهما عن الآخر.

ومن الأمثلة أيضا على المقارنة قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ (الحاقة: ١٩ – ٢٩) يبدو أن هذه السورة تحاول أن تبني علاقة إحالية قائمة على المقارنة بين شيئين اثنين بينهما تضاد واضح وبون شاسع في السورة، أداتها " أما التفصيلية " والفعل المقارن "أغنى" تتمثل عند قراءة آيتي: (فأما من أوتي كتابه بيمنه)، (وأما من أوتي كتابه بشماله)، فإن الذهن يستحضر النعيم الذي ينتظر المؤمن إبَّان الحساب أمام الله ونهاية الحساب يكون بدخوله الجنة، ويكون ذلك حافزا له في السعي من أجل الحصول على ذلك النعيم، و بالمقابل يستحضر ذلك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العذاب الذي سيُعذبه الكافر في النار، وقبل دخوله النار ما رافقه من خزي وعار إبان الحساب والعرض على الله.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (الملك: ٢)، ففي هذه الآية أداة المقارنة (أحسن) حيث تقارن بين العمل الحسن الذي نُطق به صراحة في هذه الآية وبين العمل القبيح أو السيء، وهو لم ينطقه بل فُهم من المنطوق، بمعنى أيكم أحسن عملا وأيكم أقبح عملاً، وذكر الله تعالى الموت والحياة قبلها تذكيرا للنفس البشرية، كي تختار أي العملين؛ الحسن أم السيء، وعليه، فقد ربطت أداة المقارنة (أحسن) النص بعضه بعضا، وإن لم يذكر طرف المقارنة الثاني، في الآية، إلا أنه فهم من المنطوق، وجعلت المتلقي يقارن بين العملين الحسن والسيء، ومن هنا، تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض، و الصلة الوثيقة بينهما وذلك بعدم استغناء أحدهما عن الأخر سواء أكان ذلك الطرف الآخر منطوقا أم مفهوما من السياق.

العنصر الثاني: الوصل[1] (Conjunction):

الوصل هو ما يتم صنعه في الجمل من عطف بعضها على بعض، ويعد من أسرار البلاغة إذ لا يتأتى إلا للأعراب الخُلصّ أو لقوم طُبِعوا وجُبِلوا على الفصاحة والبلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام[2].

---

[1] الحديث عن الوصل يتطلب حتما الحديث عن الفصل؛ فالوصل يوافق العطف عند النحاة، أما الفصل هو ما عده النحاة من باب القطع والابتداء والاستئناف. انظر: الشاوش، محمد، **أصول تحليل الخطاب**، ١/٥٢٨. واكتفت الدراسة بالإشارة إلى الوصل ممثلا بالعطف، كون العطف يُعد من الروابط الشكلية للاتساق.

[2] انظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص ١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليس شأن الوصل أو العطف مقصوراً على الألفاظ المفردة بل يتعداه إلى ما يُعنى بأجزاء الكلام من تراكيب وجمل، وهذا أعلى وأرفع ما فيه بل يكاد البلاغي يقصر عنايته على العلاقة بين التراكيب[١] لذا يجب علينا فهم القدر الرابط بين الجملتين فإن كانتا متباينتين فتُفصل أحدهما عن الأخرى[٢].

إن الحديث عن موضوع الوصل أمر لا يدخل في باب السهولة واليسر؛ خصوصا إذا كانت الدراسة لجزء من أجزاء القرآن الكريم، يعود السبب في ذلك إلى ما نجده عند البلاغيين من إشاراتهم إلى صعوبة هذا الموضوع حيث يكتنفه الغموض علاوة على دقته وصعوبته. فالصعوبة تكمن في طبيعة العلاقات التركيبية بين الجمل لأن الألفاظ المفردة "أقرب تناولاً وأبين استنطاقاً في النظم والسياق من الدلالات التركيبية التي تموج بها أسرار بيانية وتربطها مواقف استدلالية في علائقها وتناسبها"[٣].

وقد أشار البلاغيون في معرض حديثهم عن الوصل إلى صعوبة هذا المبحث البلاغي، يقول الجرجاني عن الوصل والفصل: "واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"[٤].

ويتحدث الجرجاني في موضع آخر موضحا أهمية هذا العلم" اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورةً

---

(١) لجواري، أحمد عبد الستار، **نحو المعاني**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٩٣.

(٢) العوادي، مشكور كاظم، **البحث الدلالي في تفسير الميزان – دراسة في تحليل النص**، ط١ مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣) العوادي، البحث الدلالي في تفسير الميزان، ص٢٤٧.

(٤) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص ٢٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص والإِّ قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة وأوتوا فنَّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ ذاك لغموضِه ودقةِ مَسْلكِه وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ إلاَّ كَمَلَ لسائرِ معاني البلاغة"[1]. من خلال ما قاله الجرجاني عن الوصل يتبين للمتلقي أنه علم صعب المراس دقيق المسلك، بل وصفه باسم التفضيل بأنه أدق وأصعب، وهذا فيه إشارة إلى مدى الصعوبة في هذا العلم مقارنة مع غيره من العلوم.

ويقول المراغي في بيان أهمية هذا العلم" الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظا من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها، ولصعوبة ذلك جعل حدا للبلاغة، ألا ترى إلى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال: "هي معرفة الفصل والوصل"، فجعل ما سواه تبعا ومفتقرا إليه، وليس بالخفي أنه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل خطره وأن أحدًا لا يكمل في معرفته إلا كمل في سائر فنونها، فإن سبك الكلام وقوة أسره وشدة تلاحم أجزائه تحتاج إلى صانع صنع وحاذق ماهر يبين بين أقسام الجمل التي تفصل والتي توصل، فيرى الفرق واضحا بين جملتين تمتزجان حد الامتزاج، حتى كأن إحداهما الأخرى وجملتين لا تناسب بينهما فإحداهما مشئمة والأخرى معرقة، وجملتين هما وسط بين الأمرين فيحكم بوجوب الفصل في النوعين الأولين والوصل في النوع الثالث"[2]. فالمراغي

---

(1) الجرجاني، عبدالقاهر، **دلائل الإعجاز**، ص ٢٢٢.

(2) المراغي، أحمد بن مصطفى، **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»**، ص ١٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يشير إلى أن معرفة مواقع الفصل والوصل تسهم في فهم الإدراك من الكلام سواء أكان منطوقا أم مكتوباً، وهذا لا يتأتى إلا لكل حاذق فَهِم.

تكمن أهمية علم الفصل والوصل في أنه سر من أسرار العربية، لا يتسطيع استكناه دواخل هذا العلم إلا عالم فذ، أو عربي من العرب الأقحاح الخُلَّص مطبوع على علم البلاغة؛ حتى أنه قيل في تعريف البلاغة: هي معرفة الفصل والوصل[١]؛ فهو من علوم البلاغة المرتكزة على الذوق البياني، لما له صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم وصل في غير موضع للوصل فأفسد المعنى أو فصل ما حقه الوصل ومثال ذلك عندما يقول أحدهم قال محمد رسول الله فلا يجوز للقائل وضع حرف العطف الواو فيقول: قال محمد ورسول الله؛ لأن حرف العطف هنا استخدم في غير موضعه فأفسد المعنى، وما ينطق في أداوات العطف على المفردات ينطبق على الجمل والعبارات، وفي هذا يقول حبنكة الميداني" ضَمُّ فكرةٍ إلى فِكرةٍ أخرى، ولَفظ ذي معنى إلى لفظ آخر ذي معنى موافق أو مخالف، يتطلّب إدْراكاً عالياً جدّاً، قادراً على تمييز درجات حُسْن التلاؤم، ودركات قبح عدم التلاؤم الذي يُولِّد في النفوس الصَّدَّ أو النفرةَ أو الاستقباحَ، أو الحكم على الكلام بالركاكة، وسوء التركيب، وخروجِهِ عنْ أُطُر الجمال الفنّي"[٢].

أما من حيث المصطلح فقد عمد بعض الدراسين إلى استخدام مصطلح العطف إشارة منهم إلى الجانب المادي الشكلي من أجل تحقيق الإتساق[٣]، وتفضل الدراسة استخدام مصطلح الوصل في هذا الباب على العطف، لأن الوصل أعم وأشمل من العطف، فالوصل يشمل العطف وغيره.

---

(١) العسكري، ابو هلال، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩، ص ٤٣٨.

(٢) الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ١/٥٥١.

(٣) من هؤلاء الباحثين: عثمان أبو زنيد في كتابه " **نحو النص** "، ص ١٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي ذلك يقول عفيفي" العطف عبارة عن وسائل متنوعة، تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية، بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النّصيّة"[١]، ويمكن الفهم، أن العطف يربط بين متتاليات الجمل على مستواها السطحي، فضلا عن أن هذه الجمل تشكل نصا، مترابط الأجزاء والعناصر على مستوى الدلالة. ويؤكد سعيد البحيري هذا المفهوم بقوله: "الربط النحوي خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة النّصّ، في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، والعوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنصّ، ما يتمثل في مؤشرات لغوية مثل علامات العطف والوصل والفصل"[٢].

ومن العلماء المحدثين من استخدم مصطلح الربط دالا بذلك على مفهوم الوصل، ومن هؤلاء بوجراند حيث شرح نوعيه يقوله:" وهو يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص كالجمع بينهما واستبدال البعض بالبعض والتقابل والسببية، أما الأنواع الفرعية للربط فهي مطلق الجمع والتخيير والاستدراك والتبعية"[٣] .

مهما تعددت المصطلحات للوصل فإن وظيفتها واحدة ألا وهي عملية الربط بين السابق واللاحق داخل النص بشكل منتظم، أي أن النص عبارة عن جمل متعاقبة، تتصل فيما بينها، وهذا الربط يكون على عدة أشكال، وهي عند علماء النص أربعة أشكال[٤]:

الشكل الأول: الوصل بالربط الإضافي يتم من خلال الأداتين "أو، الواو"، وتندرج ضمن الإطار العام للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل

---

(١) عفيفي، أحمد: **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ١٢٨.

(٢) انظر: البحيري، سعيد: **علم لغة النص**، ص١١١.

(٣) بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٤) انظر: خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص٢٣-٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في علاقات التعبير المستكنة في نماذج تعبيرية من نوع: (بالمثل، أعني، بتعبير آخر، مثلا)، وعلاقة الشرح والتفسير وغيرها[1]، مثال الربط بالوصل الإضافي قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ (المعارج: ٤٢)، فحرف العطف "الواو" عطف جملة "يلعبوا" على جملة "يخوضوا" ومعنى الكلام أن الله يخاطب نبيه ويقول له: ذَرْ هؤلاء المشركين يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا عذابهم يوم القيامة، فقد أسهم الوصل بالعطف في تحقيق الاتساق في النص، وذلك من خلال ربط الجمل بعضها ببعض، فقدّم الخوض في الكلام على اللعب بالأحداث والأفعال لما له من دلالة البعد عن الدين والاستهتار به، لكنه ربط بينهما ربطًا تشاركيًا لإكمال صورة البعد والاستهتار.

مثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ (المزمل: ١) ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (المزمل: ٢) ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ (المزمل: ٣) ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٤) أداة العطف هنا (**أو**) كان لها دور رئيس في تماسك النص واتساقه على المستويين الشكلي والدلالي، وذلك من خلال دقة اختيار الله تبارك وتعالى لهذه الأداة دون غيرها من أدوات العطف، فهي من الناحية الشكلية أسهمت في تشكيل النص وربطه ببعضه بعضا، كما أعطت النبي ﷺ فكرة التخيير، وكان يُفهم منه زيادة القيام في الليل أفضل من التخفيف؛ لأن الله تبارك وتعالى عندما خاطب النبي وأمره بقيام الليل، ووضع نصفه بدلا مطابقا من الليل، بمعنى يُفضل أقل شيء النصف والزيادة أفضل، ثم خفف عنه بالتنقيص عن منتصف الليل قليلا، ثم عاد ورغَّبه بالزيادة، وعليه، فأداة العطف عملت دورا دلاليا وذلك بحثِّ النَّبي ﷺ على القيام أكثر من منتصف

---

[1] بوهادي، عابد، **أثر النحو في تماسك النص، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ٤٠، العدد ١، ٢٠١٣، ص ٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الليل، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وَفَائِدَةُ هَذَا الْإِجْمَالِ الْإِيمَاءُ إِلَى أَنَّ الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ الْقِيَامُ أَكْثَرَ مِنْ مُدَّةِ نِصْفِ اللَّيْلِ وَأَنَّ جَعْلَهُ نِصْفَ اللَّيْلِ رَحْمَةٌ وَرُخْصَةٌ لِلنَّبِيءِ ﷺ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ تَعْقِيبُهُ بِقَوْلِهِ: أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَيْ انْقُصْ مِنَ النِّصْفِ قَلِيلًا، فَيَكُونُ زَمَنُ قِيَامِ اللَّيْلِ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِهِ، وَهُوَ حِينَئِذٍ قَلِيلٌ فَهُوَ رُخْصَةٌ فِي الرُّخْصَةِ. وَقَالَ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَهُوَ عَوْدٌ إِلَى التَّرْغِيبِ فِي أَنْ تَكُونَ مُدَّةُ الْقِيَامِ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ وَلِذَلِكَ لَمْ يُقيد أَوْ زِدْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا قَيَّدَ بِهِ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ لِتَكُونَ الزِّيَادَةُ عَلَى النِّصْفِ مُتَّسِعَةً"[1].

مثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الملك: ١٣)، فقد عطف جملة "اجهروا" على جملة "أسروا"، فقد أفاد العطف هنا التخيير من خلال المعنى المتأتي من الآية، بمعنى أخفوا قولكم أو أعلنوه إنه علم بذا ت الصدور، وهذا يدل على أن الاسرار والإعلان سيان عند الله؛ لأنه علل ذلك بقوله: (إنه عليم بذات الصدور)، فالعطف هنا ربط جملتين بعضهما بعضا، ذلك على المستوى اللفظي الشكلي والمستوى الدلاليّ المعنويّ، وبذلك فقد أحدث تماسكا نصيا في النص.

الشكل الثاني: الربط بالوصل العكسي الذي يعني: على عكس ما هو متوقع، فإنه يتم بوساطة أدوات مثل: (لكن، بل، غير أن، بيد أن، إلا أن)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ (القلم: ٢٦) ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (القلم:٢٧) يلحظ أنّ الأداة" بل " تدلّ على الإضراب، أي، أن ما بعدها أولى بالنظر والاحتفال به، وقد فسّره ابن عاشور في قوله: إنه لم يضلوا طريقهم بل حُرموا من الخير، وقد أفادت الإضراب الذي ينطوي تحت الوصل العكسي، فقد قال ابن عاشور:" وَأَكَّدُوا الْكَلَامَ لِتَنْزِيلِ أَنْفُسِهِمْ مَنْزِلَةَ مَنْ يَشُكُّ فِي أَنَّهُمْ ضَالُّونَ طَرِيقَ الْخَيْرِ

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٢٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْغَفْلَةِ عَنْ ضَلَالِهِمْ فَفِيهِ إِيذَانٌ بِالتَّحَسُّرِ وَالتَّنَدُّمِ، وبَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ إِضْرَابٌ لِلْانْتِقَالِ إِلَى مَا هُوَ أَهَمُّ بِالنّظرِ لحَال تبييتهم إِذْ بَيَّتُوا حِرْمَانَ الْمَسَاكِينَ مِنْ فُضُولِ ثَمَرَتِهِمْ فَكَانُوا هُمُ الْمَحْرُومِينَ مِنْ جَمِيعِ الثِّمَارِ، فَالْحِرْمَانُ الْأَعْظَمُ قَدِ اخْتُصَّ بِهِمْ إِذْ لَيْسَ حِرْمَانُ الْمَسَاكِينِ بِشَيْءٍ فِي جَانِبِ حِرْمَانِهِمْ، وَالْكَلَامُ يُفِيدُ ذَلِكَ إِمَّا بِطَرِيقِ تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِأَنَّ أُتِيَ بِهِ ضَمِيرًا بَارِزًا مَعَ أَنَّ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا فِي اسْمِ الْمَفْعُولِ مُقَدَّرًا مُؤَخَّرًا عَنْهُ لِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا بَعْدَ سَمَاعِ مُتَحَمَّلِهِ. فَلَمَّا أُبْرِزَ الضَّمِيرُ وَقُدِّمَ كَانَ تَقْدِيمُهُ مُؤَذِّنًا بِمَعْنَى الْاخْتِصَاصِ، أَيِ الْقَصْرِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، وَهَذَا مِنْ مُسْتَتْبَعَاتِ التَّرَاكِيبِ وَالتَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرَائِنِ.وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الضَّلَالُ حَقِيقِيًّا، أَيْ ضَلَالُ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، أَيْ قَالُوا: إِنَّا أَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ فِي السَّيْرِ إِلَى جَنَّتِنَا لِأَنَّهُمْ تَوَهَّمُوا أَنَّهُمْ شَاهَدُوا جَنَّةً أُخْرَى غَيْرَ جَنَّتِهِمُ الَّتِي عَهِدُوهَا، قَالُوا ذَلِكَ تَحَيُّرًا فِي أَمْرِهِمْ. وَيَكُونُ الْإِضْرَابُ إِبْطَالِيًّا، أَيْ أَبْطَلُوا أَنْ يَكُونُوا ضَلُّوا طَرِيقَ جَنَّتِهِمْ، وَأَثْبَتُوا أَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ مِنْ خَيْرِ جَنَّتِهِمْ فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهَا هِيَ جَنَّتُهُمْ وَلَكِنَّهَا هَلَكَتْ فَحُرِمُوا خَيْرَاتِهَا بِأَنْ أَتْلَفَهَا اللَّهُ"[1]. وتدل (بل) على الإضراب الإبطالي الذي يقوم بالربط بين ما قبلها وما بعدها من خلال نفي ما قبلها واثبات ما بعدها.

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ (المدثر: ٥٢) ثمة ما هو محذوف في هذه الآية؛ والتقدير" عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها"[2]، فأداة الإضراب هنا (بل) التي أفادت الوصل العكسي بينت أن الكفار لم يكتفوا

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٨٦.

(٢) الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني**، ١٥/١٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالتذكرة بل أراد كل واحد منهم تذكرة، ثمة ما يمكن الإشارة إليه هو أن (بل) هنا وصلت وصلا عكسيا مع الجملة التي قبلها وهي محذوفة فُهمت من السياق، أو دل عليها السياق.

الشكل الثالث: الربط السببي: هذا النوع من الربط يُمكِّن المتلقي من أقامة علاقة بين جملتين أو أكثر، ويُعبر عنها بأدوات مثل: " فاء السببية، لام التعليل" وتُعد ضمن مكونات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط، وهي علاقات تتصف بالمنطق ذات صلة وثيقة بعلاقة عامة، وهي السبب والنتيجة، ومثالها في جزء تبارك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١١ – ١٢)، فمضمون الآية يُخبر عن قدرة الله، وذلك من خلال إنجاء المؤمنين الذين ركبوا سفينة نوح عليه السلام وإغراق الكافرين في اليم، وأن هذه الفعلة (الإنجاء) هي تذكرة، وبيان لقدرة الله تعالى، وجاءت لام التعليل هنا في هذه المقام بوصفها أداة وصل؛ لبيان أن هذا الفعل لا يستطيع أن يفعله إلا الله حتى يتذكر ويتعظ غيرهم من البشر، وجاءت كناية عن العلة والبيان، فسبب طغيان الماء وحمله على السفينة تحقيقا للإنجاء وهذا يدل على التذكرة والوعي.

وتقوم أداة الوصل السببي بوظيفة بيان العلل في آن واحدة، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)، فالآية الكريمة تبين أنَّ الله تبارك وتعالى يخاطب المكلفين قائلا: إنه خلق موتكم وحياتكم من أجل أن يختبركم، هل تنفذون أمره وتنتهون عن نواهيه، وسيجازيكم بأعمالكم، وهو القادر على التميز بين العمل الحسن والعمل السيء، وكأن الله تبارك وتعالى علل الحكمة من خلق الموت والحياة، وتبين ذلك من خلال أداة الربط السببي لام التعليل، حيث جاءت لام التعليل لتبين علة خلق الموت والحياة، بمعنى أن العمل في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدنيا يترتب عليه حساب وتمحيص بعد الموت؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وعليه لوحظ الدور الذي قامت به أداة الربط السبب في ربط الجمل وبيان العلل الكثيرة.

الشكل الرابع: الوصل بالربط الزمني؛ تمثل هذا الشكل في العلاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا، ويحدد نوع الزمن بناء على حرف العطف المستخدم، فإذا استعمل الحرف "ثم" دلّ على الترتيب مع المهلة، وإذا استُخدم الحرف "الفاء" دلت على الترتيب مع التعقيب، فطول المدة وقصرها يعتمد على نوع أداة العطف، فالتماسك في الجمل المعطوفة يتحقق من خلال حرف العطف، ودلالته، والعلامة الإعرابية التي يحملها لما بعده، ودلالة المشاركة والتطابق بين الجمل التي يعقدها. وثمة عطف ذو إحالة دلالية معنوية بغير حروفه المعهودة دالاً على الأسبقية، جاء في جزء تبارك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٠ – ١٣) يُلحظ أنّ العطف هنا جاء بأداة "**بعد ذلك**" عطفا معنويا لا لفظيا بحروفه المعروفة، حيث ربط آيات عدة سابقة مع الآية التي هي إحدى مكوناتها، فتشير دلالة الآية إلى أنه على الرغم من المثالب الكثيرة السوء التي مرَّ بها، فقد وُصِفَ بالكذب والفتنة بين الناس وإفساد العلاقات بينهم، والظلم وتجاوزه حده في الظلم، فهو أيضا غليظ وجاف ولئيم[١]، فَإِنَّ كَوْنَهُ عُتُلًّا وَزَنِيمًا أَسبَقُ فِي الْوُجُودِ مِنْ كَوْنِهِ هَمَّازًا مَشَّاءً بِنَمِيمٍ لِأَنَّهُمَا صِفَتَانِ ذَاتِيَّتَانِ بِخِلَافِ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ[٢].

ولعل من وظيفة الوصل بالعطف الإحالي التماسك الدلاليّ بين جمل السياق، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧﴾ (القيامة: ٣٧)، ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ (القيامة: ٣٨)

---

(١) انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، ط١، ص٦٠٥٤.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ١/٣٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (القيامة: ٣٩)، يُلحظ أنّ حرف العطف" **ثم** " دلّ على الترتيب مع المهلة، وهذا من شأنه أن يخلق تماسكا دلاليا قبل أن يكون قد ربط بين آيتين، حيث إن عملية خلق الإنسان تتطلب فترة من الزمن لذلك، استُعملت " ثم" التي تفيد الترتيب مع المهلة، وإذا ما نُظر إلى تتمة الآية وُجدت الفاء العاطفة في ذات الآية، حيث إن عملية خلق الإنسان بدأت أطوارا، فبعد أن كان ماء طهورا، مرت فترة من الزمن حتى أصبح علقة، والفترة الزمنية تطلبت اختيار الوصل بالعطف "ثم" لتوضع في مكانها المناسب، وبعد أن أصبح عَلَقة مباشرة يتم تحديد نوع الجنس إلى ذكر أو أنثى، فاستخدم "الفاء" لمناسبة المقام والدلالة، كما أنه استخدم "ثم" لمناسبة الدلالة والمقام.

تنقسم العلاقات السابقة إلى (لفظية ومعنوية)، والعلاقات اللفظية تتم من خلال وجود حروف العطف، أما العلاقات المعنوية فلا وجود للحروف بل تتم بذاتها من دونها؛ وذلك بالاعتماد على دلالة الكلمات نفسها.

وأظهرت الدراسة الجانب الشكلي للوصل القائم بحروف العطف، كونها أدوات نحوية شكلية للاتساق، تسهم في التماسك النصي، وتحليل النصوص، وذلك من خلال التابع نفسه؛ حيث إنَّ التابع يرتبط مع متبوعه في أمورة عدة، درجة أن بعض العلماء عدّ التوابع كلمة واحدة لا تنفصل، وعُدت من قبيل التراكيب المتلازمة، حتى إن الشواهد العربية التي وردت في الفصل بين المتلازمين (المعطوف والمعطوف عليه) عُدت من قبيل الشاذ أو النادر، كما أشار العلماء إلى أن التوابع تقع تحت وطأة تأثير العامل الواحد، فالعامل في المتبوع هو نفسه العامل في التابع[١].

---

[١] انظر: الفقي، إبراهيم، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، ص٢٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتماز حروف العطف بأن لها نوعين من الوظائف الدلالية، يُصطلح عليها بأنها وظائف عامة ووظائف خاصة، أما الوظائف الخاصة فهي تتمثل في كل أداة من أدوات العطف على حدا؛ بحيث إن لكل أداة من الأدوات وظيفة تختلف عن وظيفة الأداة الأخرى، أما الوظائف العامة فتشترك فيها أدوات العطف كاملة تتمثل في الربط والمساهمة في تشكُّل النص، وستبين الدراسة فوائد أدوات الاتساق في مبحث منفصل.

لعل من المفيد القول: إن أدوات العطف عبارة عن روابط شكلية ذات معانٍ دلالية، بناء على العلاقات الموجودة داخل النصوص، واستخدام أدوات الربط استخداماً دقيقاً على وفق السياق التي ترد فيه، بحيث تكون مناسبة للمعنى والمقام التي أحاطت به، وهذا ما ذهب إليه الفقي بقوله:" حروف العطف تكتسب معانيها في الغالب، بناء على السياق الذي توجد فيه هذه الحروف"[١].

ويقول كرستال أيضا في ذلك: ثمة عبارة أساسية وعبارات أخرى بسيطة تعتمد على العبارة الأولى، ويربط بين هذه العبارات كلها أدوات العطف"[٢]، بيد أن التّماسك العطفي لا يتحصل بسبب حرف العطف وحده، " لكن يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية، بالدور العظيم في تماسك المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوفر عناصر أخرى من خارجهما، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة، مثل اختصم واشترك...، ويقوم حرف العطف بدور في مشاركة المعطوف والمعطوف عليه"[٣].

---

[١] الفقي، **علم اللغة النصي**، ١/٢٥٩.

[٢] نقلا عن، الفقي: **علم اللغة النصي**، ١/٢٥٨.

[٣] عبد اللطيف: محمد حماسة، **بناء الجملة العربية**، القاهرة- مصر، دار غريب، ٢٠٠٣م. ص١٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتحقق الكشف عن التماسك النصي من خلال أدوات العطف، بحيث كلما زادت أدوات العطف، زادت متانة النص، وقوي تماسكه بين آيات النص القرآني؛ لأن العطف بين كلماته وعباراته وجمله وقصصه وسوره يُخرج نصا مترابطا متناسقاً منسجماً.

العنصر الثالث: الحذف (Ellipsis):

الحذف ظاهرة تتسم بالوضوح الشديد في مصنفات العربيّة، تناولها اللغويون والمفسّرون، وعقد لها ابن جني باباً سمّاه " بابٌ في شجاعة العربيّة " [١].

والنّحاة بيَّنوا فهمهم للحذف من منطلق تقعيدهم النحوي للتركيب اللغويّ الذي يتكون عمدتين أساسيتين همّا المسند والمسند إليه، فإذا استغنى المتكلّم عن أحدهما قُدّر محذوفاً حتى تتم الجملة وتتم الفائدة المرجوة منها.

ووصف الجرجاني الحذف قائلا: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ"[٢]، بهذا الوصف المرموق والبليغ استهل الجرجاني حديثه عن الحذف، وهذا إن دل على شيء فإنما دل على أن موضوع الحذف يحتل مكانة هامة عند علماء البلاغة، ونظرا لأهمية الحذف جعل علماء البلاغة والنحو يصنفون له أبوبا مستقلة في مصنفاتهم.

يتضح من كلام الجرجاني أنه كان على وعي تام لمكامن هذه الظاهرة في اللغة، والأثر الذي يحدثه في تماسك النّصّ، حيث إنه يثير في المتلقي آلية الاستدلال، وملء الفراغات، من

---

[١] ابن جني، **الخصائص**، ٢/٣٦٢.

[٢] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص١٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خلال البحث عما يملأ الفراغ، بالرجوع إلى الخطاب السابق، مما يوجد علاقة بين النصّ الحالي وما تَقدمه[١].

يظهر مما ذكره الجرجاني عن الحذف أن الهدف الرئيس للحذف هو البلاغة؛ وعليه، فهو فن من فنون اللغة ولا تقتصر وظيفته على اختزال الألفاظ؛ لأن الحذف من شأنه أن يختصر الزمن الذي يتم استخدام الكلام فيه، فالمتكلم يعبر عما يحتاج ويريد، وهذا يتطلب زمنا وكلاما قد يكون حشوا لا فائدة منه، ومن أجل اختصار الوقت والجهد العضوي يعمد مستخدم اللغة إلى الحذف في التعبير مع بقاء المعنى كامل، حتى لا يتحصل نتيجة هذا الحذف اختصار مُخل.

عرفه بوجراند بعبارة الاستبعاد حينما قال: "استبعاد العبارات السطحية، التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسّع، أو أن يعدّل، بوساطة العبارات الناقصة، ...وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي"[٢]، ففي الجملة المحذوفة نجد" فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ماورد في الجملة السابقة لها، أو النص السابق له"[٣]. ولا بد من دليل في النص يدل على هذا الفراغ، ويظهر هذا الفراغ عندما يكون فهم النصّ صحيحا، بحث يؤدي هذا الفهم إلى "لذة استنباط الذهن للمحذوف"[٤]، ومعرفة النص المحذوف في النّصّ، يُحتِّم على المتلقي افتراض وجود عنصر سابق، يعد دليلا أو مرشدا للجملة أو النص المفقود، فيترك العنصر المحذوف فراغا، على المستوى التركيبي، يمكن أن يُملأ من مكان آخر في النص. ولا

---

(١) نفسه، ص١٤٦.

(٢) بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص ٣٤٠، والمعنى العدمي المقصود فيه عند بوجراند هو اكتفاء معنى الجملة بعدم وجود مبنى.

(٣) خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص٢١.

(٤) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ٣/١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتحصل ذلك إلا بمعرفة المتلقي للقواعد التركيبية للغة، وما يملكه من معارف سابقة، تُساعده على معرفة المحذوف سواء أكان كلمة أم جملة أو نصاً؟

يُشترط في الحذف وجود دليل على المحذوف، يتمثل في قرينة، أو قرائن مصاحبة، حالية أو عقلية أو لفظية؛ كي لا يحدث التباس في فهم المعنى. وقال الزركشي في البرهان:" إنّ من شروط الحذف أنْ تكون في المذكور دلالة على المحذوف إمّا من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُتمكن من معرفته فيصير اللفظ مُخِلاً بالفهم، فهو إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل "[١]. وقد تحدث سيبويه عن القرائن، ومهمتها في إباحة الحذف، في أكثر من باب من كتابه[٢]، وتحدث ابن جني عن أهمية القرينة، وضرورتها في تقدير المحذوف، إذ يقول ابن جني: " قد حذفت العرب الجملة والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[٣]. وذكر ابن هشام شروطا ثمانية للحذف، جعل أولها" وجود دليل حالي، أو مقالي، أو صناعي"[٤]، وذكر الزركشي أن من شروط المحذوف وجود قرينة في المذكور تدل عليه:" "إما من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُتمكن من معرفته، فيصير اللفظ مُخلا بالفهم، ولئلا يصير الكلام لغزا فيهجّن في الفصاحة، وهو معنى قولهم: لابد أن يكون فيما أبقى دليل على ما أُلقى. وتلك الدلالة مقالية وحالية"[٥].

---

(١) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣/١٧٣.

(٢) انظر: سيبويه، **الكتاب**، ١/٢٦٠ والأبواب هي: حذف الفعل في الأمر والنهي ١/٢٥٣ . حذف الفعل في غير الأمر والنهي، ١/٢٥٧، حذف الفعل بعد الحرف، ١/٢٥٨.

(٣) ابن جني، **الخصائص**، ٢/٣٦٠.

(٤) ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين، **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا– لبنان، المكتبة العصرية، د.ط، ٢٠٠٥م، ص ٢/٦٩٢.

(٥) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣/١١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والحذف يسهم في اتساق النص من خلال الربط الذهني الذي يقوم به المتلقي بين ما هو مذكور في النص وبين ما هو محذوف، فالمتلقي للنص عندما يدرك أنَّ ثمة ما هو محذوف في النص، عندها يقوم بعملية الربط بينه وبين المذكور في النص من خلال استحضار المحـــذوف، وهذا من شأنه أن يجعل أجزاء النص مترابطة متعالقة. وعلى هذا فإن الحذف ذو أهمية كبيـــرة بالنسبة للتماسك النصي لا تقل عن الوسائل الأخرى، حيث يتم من خلاله تحقيق التّماسك النّصّي؛ لأن الطرف المحذوف دلاليا ومقاميا يعامل معاملة ما هو مذكور في الـــنص، فيـــستويان فـــي الأهمية.

أقسام الحذف[1]:

- **الحذف الاسمي:** وهو حذف اسم داخل النص، مثل حذف المبتدأ أو الخبر، مثال ذلك في قوله تعالى في سورة الحاقة من الآيات ٣٨-٤٣: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الحاقة: ٣٨ – ٤٣)، فكلمة تنزيل خبر لمبتدأ محذوف تقديره من الناحية التركيبية النحوية هو تنزيل، ومن الناحية الدلالية الكلام الذي يُقرئكم إياه محمد ﷺ تنزيل من رب العالمين، وبالعودة إلى بداية الآيات وابتدائها بالفاء التي هي للتفريغ والدالة على أن القرآن منزل من عند الله وليس من عند محمد ﷺ [2]، ويوضح ابن عاشور ذلك بقوله "ولك أن تجعل تنزيل من رب العالمين خبر مبتدأ محذوف جرى حذفه على النوع الذي سماه السكاكي بمتابعة الاستعمال في أمثاله وهو كثير في الكلام البليغ، وتجعل الجملة استئنافاً بيانياً؛ لأن

---

(١) خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ٢٥.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/١٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآن لما وصف بأنه لقول رسول كريم ونفى عنه أن يكون قول شاعر أو قول كاهن، ترقب السامع معرفة كنهه، فبين بأنه منزل من رب العالمين على الرسول الكريم ليقوله للناس ويتلوه عليهم"[1]، وعليه، فقد شكل الحذف في هذا السياق عنصراً مهماً في تماسك النص واتساقه؛ فالقراءة المتأنية للنص القرآني، والنظر في تتابع الآيات وتسلسلها بدقة متناهية، يعمل على تحديد المفردات التي تم حذفها وإلى ما أشارت إليه تلكم المفردات، وذلك من خلال ربطها بما سبقها من الآيات، غاية الكشف عن ماهية المحذوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القلم: ٧) ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (القلم: ٨) ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (القلم: ٩)، فالكلام بتقدير مبتدأ محذوف تقديره: فهم يدهنون. وسلك هذا الأسلوب ليكون الاسم المقدر مقدما على الخبر الفعلي فيفيد معنى الاختصاص، أي فالإدهان منهم لا منك، أي فاترك الإدهان لهم ولا تتخلق أنت به[2]. والمراد من هذه الآيات المتتابعة والمتسلسلة أن المشركين ودوا أن يمسك النبي ﷺ عن مجاهرتهم بالتضليل والتحقير فيمسكوا عن أذاه، ويصانع بعضهم بعضا فنهاه الله عن إجابتهم لما ودوا. فالمحذوف في هذه الآية يقود لاستكناه عمن تتحدث عنه هذه الآيات وربط المذكور بالمحذوف، كما أنه يحدث الاستدلال على المحذوف في هذا السياق بالمذكور من خلال سياق الآيات، وإنما أسهم هذا الإجراء إسهامًا واضحًا، في إثارة آلية الاستدلال، والكشف عن الفراغات والمحذوفات في النص لدى المتلقي، الذي بات يحاول تقدير المحذوف اعتمادًا على المذكور، من أجل أن يربط النصوص بعضها ببعض.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/١٤٤.

(٢) انظر، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتبيّنت الدراسة أن للحذف وظيفة دلالية محددة يقوم بها نحو منه قوله تعالى: (٢٠-٢٣):

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾

(المرسلات: ٢٠ – ٢٣)، جاء في شرح المفصل: قد يحذف المخصوص إذا كان معلوماً، والأصل أن يُذْكَر المخصوص بالمدح أو الذمّ للبيان، إلاَّ أنه قد يجوز إسقاطه وحذفُه إذا تقدّم ذكره، أو كان في اللفظ ما يدل عليه. وأكثرُ ما جاء في الكتاب العزيز محذوفًا. قال الله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠)، والمراد: أيُّوبُ عليه السلام، ولم يذكره لتقدّم قصّته. وقال: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ (الذاريات: ٤٨)، أي: فنعم الماهدون نحن. وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ (المرسلات: ٢٣) أي: نحن. وقال: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠)، أي: دارهم. وقال: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤)، أي: عقباهم. وقد جاء مذكورًا، قال: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟﴾ (البقرة: ٩٠)، فـ "أن يكفروا" في موضع رفع بأنّه المخصوص بالذمّ، أي: كُفْرُهم. وفي جواز حذفه دلالةٌ على قوةِ من اعتقد أنه مرفوع بالابتداء، وما تقدّم الخبر؛ لأن المبتدأ قد يحذف كثيرًا إذا كان في اللفظ ما يدلّ عليه، وأمّا حذف المبتدأ والخبر جميعًا فبعيدٌ، فاعرفه[1].

يتضح مما سبق ذكره أنَّ الأصل ذكر المخصوص بالمدح والذم للتوضيح والبيان غير أنه يجوز إسقاطه وحذفه إذا تقدم ذكره أو كان في السياق ما يدل على المحذوف، وفي الآيات السابقة فيها ما يدل على أن المتكلم هو رب العالمين، وفي آية **قدرنا فنعم القادرون**، فقد حذف

---

[1] ابن يعيش، يعيش بن علي، **شرح المفصل**، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ٤/٤٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المخصوص بالمدح والثناء لدلالة السياق عليه فلا يقدر الأمور ويجليها لوقتها إلا الله –عز وجل–، فالإجابة هنا: فالحذف هنا إشارة مخصوصة لرب العالمين، فاستحق التعظيم بإيراد صيغة الجمع: "القادرون"، وتقدير المخصوص بالمدح بضمير جماعة المتكلمين: "نحن"، فلنعم القادرون نحن، كما ويلاحظ من خلال استعراض الآيات السابقة أن الحذف غير مؤدٍّ للبس أو التعمية بل على العكس معروف من خلال سياق الآيات التي سبقتها، فلا داعي لذكره، لأنه كان واضحا وضوحا جليا أمام المتلقي، ولا بد من الإشارة هنا أن تقدير المحذوف يعتمد على ركيزتين أساسيتين هما: المعنى والقواعد النحوية، فالحذف في الآيات السابقة التي تم ذكرها يشكل عنصراً من عناصر الاتساق الداخلي للنص؛ لأن المحذوف كالمذكور، لا سيما إذا كان عليه دليل[1].

- **الحذف الفعلي:** يشمل حذف الفعل وحده أو الفعل والفاعل، وأمثلة ذلك في جزء تبارك مايلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠) [2]. فقد اشتهرت العربية بأسلوب الحذف، فهو صورة من صور الإيجاز، ودليل بارز على ذكاء العربية، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي حصيف، لذلك، فمن الطبيعي أن تحدث موافقة

---

(١) الفقي، **علم اللغة النصي**، ص ٢٢١.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٢٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين القرآن ولهجاتهم وأساليبهم في الحديث، وكما ذكر ابن عاشور في تفسيره أنه وقع الاستغناء عن المحذوف بسبب ذكر الجزاء، وكما أسلفنا من ذي قبل فإن ذكر ما يدل على المحذوف أبلغ من ذكر المحذوف نفسه، فالحذف هنا قام بربط أجزاء النص بعضها بعضا، بحيث اعتمد على معرفة المحذوف من خلال ما ذكر في النص، أو على ما فُهم من الجو العام للأية. وارتباط الحذف بغيره على مستوى الرصفي في النص يجعل من المتلقي قادرا على كشف عن الثراء الدلالي النصي، والكشف عن ماهية الترابط المستكن بين أجزاء النص؛ فالبنى والأساليب والتراكيب تعمل على تقوية النص تركيبًا ودلالة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: ٦)، في الآية حذف أي فاتَّبعوهم فزادوهم، فالحذف هنا مُستدلٌ عليه من السياق بحيث إنَّ الاتباع هو سبب رهقهم وتعبهم و ضلالهم، وتقدير الكلام أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فاتَّبعوهم فزادوهم رهقا، وإنما حُذف الفعل ومعمولَيه لوجود ما يدل علي في السياق، فلغة القرآن تتصف في بعض المواضع بالإيجاز؛ حتى يُترك لذهن المتلقي الفضاء النصي لتقدير المحذوف، واستجلاء الغامض، وعليه، يظهر التفاعل بين النص ومتلقيه. فالحذف يعمل على توفير عنصر الاتساق بين الجمل في النّصّ؛ لأن المعنى لايتم فهمه إلا بملء الفراغات من قبل المتلقي، الذي يستقيها من الكلام السابق.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة: ٣ – ٤). قوله ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ حيث قال جمهور العلماء: التقدير: بلى! نجمعها قادرين؛ فعامل الحال محذوف تقديره نجمعها، لأن الحسبان؛ إنما يقع من الإنسان على نفي جمع العظام، و"بَلَى "إثبات فعل النفي، فينبغي أن يكون فعل الجمع بعدها مذكورًا على سبيل الإيجاب، وقوله تعالى: "

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَادِرِينَ "حال مقيِّد لفعل الجمع المقدَّر، وفيه بعد الدلالة على التقييد، تأكيد لمعنى الجمع؛ لأن الجمع من الأفعال، التي لا بدَّ فيها من القدرة، فإذا قُيِّد بالقدرة البالغة، فقد أُكِّدَ[1]. وهذا يدل أن الحذف في هذا المقام من شأنه إقامة المعنى واستقامته، وهذا يرشد المتلقي إلى بيان البعد البياني والدقة اللفظية التي يتحراها القرآن في آياته، ففعل الحسبان يعمل على اثبات النفي الذي يظنه الإنسان ويدور في خلده، فتحتم تقدير فعل ينفي ما يدور في خلد الإنسان ويظنه ويثبت ما يريده الله، وعليه، فإنَّ التقدير المحذوف تقديراً سليماً منسجماً وقواعد اللغة يجعل التواصل الدلالي مستمرا بين عناصر النّصّ، ويعمل على إتاحة الفرصة للمتلقي من أجل الوصول إلى المعنى الكامل؛ فقد أفاد الحذف في هذا السياق إبطال ما يحسبه الإنسان ويظنه بعدم قدرة الله على جمع عظامه، وتكريس اليقين على القدرة العظيمة لله الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، وذلك من خلال ما ذكره الله في نفس السورة لؤكد الحقيقة التي يشك فيها الإنسان حيث قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ (القيامة: ٣٧ – ٣٨).

حذف الجملة: يكون بحذف جملة كاملة، مثل حذف جملة القسم أو جملة الشرط، وهذا من شأنه أن يوضح الاتساق توضيحاً جليًا، فتقدير المحذوف يعتمد على ما سبقه من الآيات ظروف محيطة، ونموذج ذلك قوله تعالى في سورة الحاقة (١٣–١٨): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣ – ١٨). لعل المتأمل في هذه الآيات يجد أنه تكرر فيها (يومئذ)، ومن المعروف قواعديا أن

---

[1] السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٧٤م، ٣/١٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التنوين في (يومئذ) دلالة على جملة محذوفة، يقول ابن عاشور في هذا المقام" وجملة فيومئذ وقعت الواقعة مشتملة على جواب (إذا)، أعني قوله وقعت الواقعة، وأما قوله (فيومئذ) فهو تأكيد لمعنى فإذا نفخ في الصور إلخ؛ لأن تنوين (يومئذ) عوض عن جملة تدل عليها جملة نفخ في الصور إلى قوله دكة واحدة، أي فيوم إذ نفخ في الصور إلى آخره وقعت الواقعة، وهو تأكيد لفظي بمرادف المؤكد، فإن المراد ب (يوم) من قوله فيومئذ وقعت الواقعة، مطلق الزمان كما هو الغالب في وقوعه مضافا إلى (إذا)"[1]. ترتبط جملة **(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)** بما قبلها، وذلك بإجراء الحذف، حيث كان الحذف حاضرا ثلاث مرات، في الآية السابقة فقد حذفت الأحداث السابقة بعد (يومئذٍ)، للدلالة عليها وللعلم بها من الجمل السابقة عليها؛ فالغرض من الكلام، التركيز على أحداث يوم القيامة، لما يحتويه من تهويل، وأصل جملة **(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)** فيوم إذ نفخ في الصور إلى آخره وقعت الواقعة، فالحذف هنا يعتمد بشكل رئيس على المتلقي في ربطه لأحداث بعضها بعضاً؛ لأن لغة القرآن تعتمد على الموقف في التفصيل والايجاز، والموقف هنا تطلب عدم التفصيل؛ فالمتلقي يقوم بربط الأحداث مع بعضها، وهذا يدفع النص إلى عدم تكرار ما هو مفهوم حكما من السياق فلا حاجة لذكره مرة أخرى، فالأمور الاستناجية تُترك للمتلقي يمكن أن يدركها خلال سياق الآيات، وتعاقب الأحداث، وهذا يعمل على إبراز التفاعل المتواصل بين النصّ والمتلقي، وهو من براعة العربية، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فمن شأنه أن يتصف بصفات العربية التي تعتمد على والإيجاز غير الملبس ولا المخل، والشرح والتوضيح إذا تطلب الأمر ذلك.

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومنه قوله تعالى في سورة القيامة الآيات (١-٣ القيامة): ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ (القيامة: ١ - ٣)، ففي قوله: "أيحسب **الإنسان أن لن نجمع عظامه**"، يدل على أن الإنسان قد استبعد قدرة الله على جمع عظامه بعد موته وتلاشيه, وقد أصبح ترابا تذروه الرياح، فيأتي الخطاب من الله تعالى للبيان والدلالة على مقدرة الله على جمعه وبعثه مرة أخرى. فجواب القسم المحذوف يتم استنتاجه من الاستفهام الاستنكاري في قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ (القيامة: ٣) فالتقدير: لنجمعن عظامكم ونبعثكم ليوم الحساب. فالدلالة المستنتجة للمحذوف توصل إليها المتلقي من المذكور، فالسعة الدلالية التي ولدت الحذف محكومة بقرائن مقالية أو سياقية، وهذا من شأنه أن يضفي على النص سياجا من الحصانة بحيث لا يتمكن المتلقي من تقدير ما هو خارج السياق، فالسياق عمل على إرشاد المتلقي في تقديره للمحذوف في مكانه؛ من أجل اكتمال الدلالة النصية للمتلقي، فالنص يرسم صورة من صور الإيمان بالله والكشف عن العقيدة الصحيحة المستقاة من نص الآيات، وبما أن السياق النصي يتحدث عن قدرة الله على البعث والنشور، فلن يكون باستطاعة المتلقي تقدير محذوف خارج عن السياق؛ حتى يكون النص المحذوف متسقا ومنسجما مع النص السياق الوارد فيه.

ومنه قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ (المرسلات: ٥٠) الفاء فصيحة تنبئ عن شرط مقدر تقديره[١]: إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي حديث بعده

---

[١] فاء الفصيحة إنها الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفا على المذكور قبلها فيتعين تقدير معطوف، وقيل إنها تدل على محذوف قبلها فإن كان شرطا فالفاء فاء الجواب وإن كان مفردا فالفاء عاطفة ويشملها اسم فاء الفصيحة وهذه طريقة الجمهور على الوجهين فتسميتها بالفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف. انظر:عباس، حسن، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط١٥، ٣/٦٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يؤمنون، وقد دل على تعيين هذا المقدر سياقياً، ما تكرر في آيات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ فإن تكذيبهم بالقرآن وما جاء فيه من وقوع البعث والاستفهام مستعملٌ في الإنكار التعجبي من حالهم، أي إذا لم يصدقوا بالقرآن مع وضوح حجته فلا يؤمنون بحديث غيره، والمقصود أن القرآن بالغ الغاية في وضوح الدلالة ونهوض الحجة فالذين لا يؤمنون به لا يؤمنون بكلام يسمعونه عقب ذلك[1]. والمتلقي يقدر المحذوف باعتماده على سياق الآيات، فالسياق هو أداة المتلقي في تقدير المحذوف كما أسلفنا سابقا من خلال أدوات مقامية وسياقية، فلا يستطيع المتلقي تقدير المحذوف من خارج سياق الآيات، فالحذف يفتح الدلالة النصية للتأويل المُنسجِم مع معطيات السياق والنص، والنص في هذا المقام يدور في حلقة من الأحداث المتوالية متسقة البنية ومنسجمة الأفكار التي تدور في بوتقة واحدة ألا كفرهم بالقرآن الكريم، وهذا من شأنه أن يجعل النص قابلا للتأويلات المنسجمة والمتسقة.

العنصر الرابع: الاستبدال (Substitution):

الاستبدال "عملية تتم داخل النص، يتم فيها تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي والمعجمي، بين كلمات أو عبارات"[2]. فالاستبدال عملية تقابُل بين عنصرين؛ عنصر متقدم وآخر متأخر، ويرتبط فهم العنصر المستبدل بفهم العنصر المستبدل منه. وعليه، فإن التّماسك الذي ينتج عن عملية الاستبدال، يتأتى من خلال محورين أساسين[3]:

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٤٤٧.

(2) خطابي، محمد: **لسانيات النص**، ص١٩.

(3) انظر: عفيفي، أحمد، **نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأول: التكرار؛ فالعنصر المستبدل به، هو تكرار للعنصر الأصلي المذكور سابقا، ولكن اللفظ مختلف من ناحية البنية الشكلية للفظ.

الثاني: المرجعية؛ سواء أكانت سابقة أم لاحقة، تسهم في كلتا الحالتين في تحقيق التّماسك النّصّي.

والاستبدال حاله حال الإحالة في الدور الذي يقوم به في العملية الاتساقية، بيد أنه مختلف عن الإحالة، فالاستبدال يحصل في الكلمات أو العبارات في المستوى المعجمي، غير أن الإحالة، تقع في المستوى الدلالي علاقتها معنوية. ولا يمكن فهم المقصود من العناصر المُستبدلة إلا بالرجوع إلى ما هي مُتعلقة به قبلياً، وذلك بالبحث عن الاسم، أو الفعل، أو القول الذي يسد هذه الثغرة، وهذه الحقيقة ماثلة تؤكد الدور الذي يساهم به الاستبدال في عملية تماسك النّصّ[١].

الاستبدال في كنهه، ارتباط بين مكونين من مكونات النصّ، يسمح أحدهما للآخر بالقيام مقامه في بناء النص. "والمعلومات التي تمكّن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي، توجد في مكان آخر، في النّصّ"[٢].

والاستبدال جزء من أجزاء الاتساق، ومعالجته في لسانيات النص تعتمد على مجموع العلاقات التي تنشأ بين العنصر اللغوي، والعناصر الأخرى التي يمكن أن يحل محلها في نفس السياق في التركيب[٣]، وعليه، فهو" مرتبط باتحاد السياق أو البيئة اللغوية؛ فلا استبدال خارج

---

[١] انظر: بوجراند: **النصّ والخطاب والإجراء**، ص ٣٠٠.

[٢] خطّابي، محمد: **لسانيات النصّ**، ص ٢٠.

[٣] عبدالله، وليد، **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ٢٠٠٢م، ص ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السياق أو البيئة اللغوية التي يشغلها العنصر المستبدل به"[١]، وتكون العلاقات الاستبدالية بين عناصر حاضرة وأخرى غائبة ولا يجمع بينهما[٢].

والاستبدال ثلاثة أقسام[٣]:

١- **الاستبدال الاسمي:** هو مجموعة المقولات الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤدية وظيفته التركيبية.

٢- **الاستبدال الفعلي:** هو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبية.

٣- **الاستبدال القولي:** هو مجموعة المقولات التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبية.

ثمة ما يلزم الإشارة إليه في هذا المقام ألا وهو أن " البدل في النحو العربي غالبا ما يحقق الاتساق على صعيد الجملة الواحدة "[٤]، والعلاقة القائمة بين الاستبدال والبدل هي علاقة العام بالخاص، فكل بدل استبدال، وليس كل استبدال بدلا. وستحاول الدراسة تلمس أثر الاستبدال في اتساق النص القرآني، كيف تمت عملية استبدال الوحدات التركيبية بكافة أنواعها استنادا إلى وظيفة الوحدة التركيبية في السياق والعلاقة التي تربط بينهما وبين الوحدات التركيبية الأخرى[٥].

---

(١) عبدالله، وليد، **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها**، ص ٢٤.

(٢) **نفسه**، ص ٢٦.

(٣) الشاوش، محمد، **أصول تحليل الخطاب**، ص١٣٣. أبو زنيد، عثمان، **نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية**، ص ١٢٣.

(٤) الخطيب، عبدالكريم، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص ٢٣٠.

(٥) السامرائي، فاضل، **معاني النحو**، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٣م، ٣/١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- نماذج تطبيقية على الاستبدال:

لعلّ توافر الدلالة البلاغية في اللفظة يجعلها تحلّ محل لفظة أخرى أقلّ أثراً بلاغيا، تتساوق والمقام المحيط بالآية؛ لتحيق الهدف الإبلاغي الخطابي من العملية الاستبدالية، نحو قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ (الحاقة: ١-٤)، حيث حل لفظ القارعة محل الحاقة، فلفظ القارعة مرادف للفظ الحاقة، ولكن جاء العدول المعجمي عن لفظ الحاقة إلى لفظ القارعة لغاية ومعانٍ بلاغية تتناسب مع المقام، حيث إن القارعة من قرع يقرع قرعا، والقرع: ضرب شيء على شيء والقارعة: القيامة، سميت بذلك، لأنها تقرع القلوب بالفزع[١]. والقارعة تعني المصيبة التي تقرع بشدة، وأصل القرع ملاقاة الشيء اليابس لمثله[٢]. واستبدلت الحاقة كي تناسب المقام فيوم القيامة سمي بالقارعة؛ لأنّها تقرع بالأهوال، ويقال: أصابتْهم قوارعُ الدهر[٣]. ولعل السبب في الاستبدال بين اللفظتين بلاغي دلالي، فالأثر النفسي والجسدي الذي يتحقق من خلال استخدام لفظ القارعة أكثر من الأثر الذي يتحقق لو استخدمت الحاقة، كما أن المد الموجود البنية اللفظية(للحاقة) لا يتناسب مع المقام ؛ فعدم وجود المد في البنية اللفظية للقارعة مطلوب من أجل تحقيق المعنى وهو قرع آذان الناس وهذا الشيء لا يسلتزم زمناً فهو لحظي ليدل على فجاءة الموقف، ولا يحتاج زمن وإن كان قصيراً.

---

(١) عبد المنعم، محمود عبدالرحمن، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، دار الفضيلة، مصر، القاهرة، (د.ط) (د.ت)، ص ٣/٦٠.

(٢) الحدادي، زين الدين محمد، **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٩٩٠، ص ٢٦٦.

(٣) انظر: الدينوري، ابن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويقع الاستبدال في ألفاظ منمازة دلالية وخطابية، دالة على الكثرة والمبالغة، نحو لفظة "كرتين" في قوله تعالى في سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ (الملك: ٣-٤)، نصب كرتين لأنه في موضع المصدر كأنه قال فارجع البصر رجعتين أو مرتين، فعدل عن لفظ رجعتين إلى كرتين وهذا الاستبدال اللفظي يتناسب مع المقام والسياق وذلك لأن لفظ كرتين لا تعني مرتين وإنما التكرار والتأمل أي كرّر أيها الناظر بصرك إلى السماء مفكرا في عجائبها، ومستنبطا غوامض تركيبها، يرجع إليك بصرك بعيدا مما طلبه، المراد بكرتين ها هنا "التكثير"[1]، وذلك دليل على كثرة النظر. ويقول الألوسي: "أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين إلا أنه يلزم عليه إخراج التثنية عن معناها الظاهر"[2]، ومن أجل أن يتحقق الانسجام السياقي الدلالي استخدام كرتين لدلالتها التي تتناسب مع السياق أكثر من مرتين. و (كرتين) تثنية كـرَّة وهي المرة وعبر عنها هنا بالكَرَّة مشتقة من الكر وهو العود لأنها عَود إلى شيء بعد الانفصال عنه, ككَرة المقاتل يحمِل على العدوّ بعد أن يفر فراراً مصنوعاً . وإيثار لفظ كرتين في هذه الآية دون مرادفة نحو مرتين وتارتين؛ لأن كلمة كرة لم يغلب إطلاقها على عدد الاثنين، فكان إيثارها في مقام لا يراد فيه اثنين أظهر في أنها مستعملة في مطلق التكرير دون عدد اثنين أو زوج وهذا من خصائص الإعجاز، ألا ترى أن مقام إرادة عدد الزوج كان مقتضياً تثنية مرة في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ (البقرة: ٢٢٩) لأنه أظهر في إرادة العدد إذ لفظ مرة أكثر تداولاً[3].

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ١٨/٢١٠.

(٢) الألوسي، **روح المعاني**، ١/٥٣١.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ١٩/٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتدل ظاهرة الاستبدال الاسميّ على دلالات عدة، منها المبالغة والتنبيه والتحذير، نحو قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الحاقة: ٣٨-٤٣)، في هذه الآيات الكريمة، وقع إجراء الاستبدال الاتساقي الذي يربط بين الآيات السابقة باللاحقة مرتين: الاستبدال الأول جاء في كلمة (تنزيل) في الآية ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ استبدال من ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ في الآية (٤٠)، والقصد وراء استبدال القول بالتنزيل، هي إبطال أن يكون هذا القول قول شاعر أو قول كاهن، وفي لفظ (رسول) إشعارا بأن هذا القول هو قول مرسلَه، أي مرسل الله تعالى. وقد أكد هذا المعنى ما أعقبه من قول بتنزيل من رب العالمين. ونفي الله تعالى أن يكون هذا القول لشاعر أو لكاهن يجعل المتلقي في حالة ترقب من أجل معرفة هوية هذا القول وهوية قائله، فبين بأنه تنزيل من رب العالمين على الرسول الكريم كي يبلِّغه للناس وسمعهم إياهي، والمقصود أن هذا القول الذي جاء به الرسول الأمين من منزل عند رب العالمين، ويقول ابن عاشور أن كلمة (تنزيل) وُصِفَ بالمصدر للمبالغة. والمعنى: أنه منزل من رب العالمين على الرسول الكريم[1]. أما الاستبدال الثاني فقد جاء بقوله رب العالمين ولم يقل اسم الله تعالى (الله) والسبب في أن تم التعبير عن الجلالة بوصف رب العالمين دون اسمه العلم للتنبيه على أنه رب المخاطبين ورب الشعراء والكهان الذين كانوا بمحل التعظيم والإعجاب عندهم نظير قول موسى لفرعون ربكم ورب آبائكم الأولين[2].

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/١٤٤.

(٢) **نفسه**، ٢٩/١٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وللحواس ودورها الدلالي أثر واضح في تحديد طبيعة المستبدل والمستبدل بـــه ســـياقياً، نحو قوله تعالى في سورة القلـــم: ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ (القلـــم: ١-٦)، فقد وقع الإجراء الاستبدالي في الآية الكريمة في قوله تعالى " **فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ**" حيث إن جملة الفعلية (تبصر ويبصرون) هي بمعنى: توقن ويوقنون، على طريق الكناية بفعل الإبـــصار عن التحقق؛ لأن أقوى طرق الحس حاسة البصر ويكون الإتيان بالبـــاء للإشـــارة إلـــى هـــذا التضمين. والمعنى: فستعلم يقينا ويعلمون يقينا بأييكم المفتون، فالباء على أصلها مـــن التعديـــة متعلقة بـــ(يبصر ويبصرون) [١]. وكأن لسان حال الآية يخاطب بقولـــه فسَتُبْـــصِرِ ويُبْـــصِرُونَ (ستعلمون علم اليقين) مَن مِن الفريقين هو المجنون؛ فرقة الإسلام أم فرقة الكفر. ويقـــول ابـــن كثير في تفسيره لهذه الآية" أي: فستعلم يا محمد، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك: من المفتون الضال منك ومنهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ (القمـــر: ٢٦)، وكقولـــه: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (سبأ: ٢٤)[٢]. إن هذا الربط النـــوعي مـــن خلال أدوات الإجراء الاتساقي يشكل مظهرا مهما، من مظاهر الربط الجملي المحكـــم، علـــى المستويين النحوي والدلالي. وهي بهذا الربط والتنيظم تضفي على الكلام إضافات دلاليـــة، مـــا كانت لتبيت وتتضح لولا هذا الاتساق المنسق والمنظم.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٦٥.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ، ١٤/٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: الاتساق المعجمي "Lexical Cohestion":

إنَّ الناظر بادي الرأي إلى هذا العنوان للوهلة الأولى يتبادر إلى ذهنه المعجم على أنه قائمة لبيان معاني المفردات، لكن الهدف المروم هو النظر إلى العلاقات المستكنة بين هذه المفردات وربطها بعضها ببعض ضمن سياقاتها، والنظر في الدور الاتساقي الذي تؤديه، وعليه، فالاتساق المعجميّ "مظهر من مظاهر اتساق النّصّ، وهو ذلك التّماسك الحاصل بين المفردات والجمل المشكلة للنص"[١] والتّماسك المعجميّ يتحقق بواسطة علاقتي: التكرار والتضام. وفيما يلي تفصيل لهاتين العلاقتين.

العنصر الأول التكرار (Reiteration):

يعرف التكرار بأنه " شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة ذكر عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف"[٢]، أو عنصر مطلق أو اسم عام[٣] وثمة مِن الدارسين مَن يعد التكرار نوعا من أنواع الإحالة، ويطلق عليه مسمى الإحالة التكرارية، ومنهم الزناد؛ إذ يعرف الإحالة التكرارية بأنها: "الإحالة بالعودة، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ، في بداية كل جملة من جمل النص؛ قصد التأكيد، والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانًا في الكلام"[٤].

يتضح مما تقدم ذكره، أن التكرار إعادة جزء من أجزاء الكلام إلى سابق، وهذه الإعادة إما أن تكون باللفظ والمعنى أو بالمعنى دون اللفظ؛ لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك

---

(١) خطابي: **لسانيات النصّ**، ص٢٤.

(٢) عفيفي: **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٠٦.

(٣) خطابي: **لسانيات النصّ**، ص٢٤.

(٤) الزناد: **نسيج النص**، ص١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النصيّ بين عناصر النص المتباعدة[١]، على أن تكون الإعادة من خلال نسق رتيب، داخل الخطاب؛ لأن إعادة اللفظ وتكراره يتطلب –كما يرى دي بوجراند–" وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد، ولكنها قد تؤدي إلى تضارب في النصّ، حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف المدلولات"[٢].

ويقول السيوطي عن التكرار: "التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، وله فوائد، منها التقرير... ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه على نفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول...، ومنها التعظيم والتهويل"[٣]. ويرى الزمخشري أن في التكرار له دور في تحسين للكلام، والفصاحة والبلاغة، بل يشير إلى دوره في تحقيق التّماسك النّصّيّ، إذ يقول: "وقد غلط من أنكر التكرار كونه من أساليب الفصاحة، ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض"[٤].

ويشير صلاح فضل إلى دور التكرار في التماسك النصي قائلاً: "أن يكون لهذا الملمح المكرر نسبة ورود عالية في النصّ، تجعله يتميز عن نظائره...، وأن يساعدنا رصده– أي التكرار– على فك شفرة النّصّ، وإدراك أدائه لدلالته"[٥].

إن حقيقة التكرار في العمل الأدبي بشكل عام، وفي القرآن بشكل خاص، تُظهر مدى قوة النص المُنجز، لا سيما إذا تحدثنا عن القصة القرآنية– على سبيل المثال– وتكررها في مواطن

---

(١) انظر: الفقي، **علم اللغة النصي**، ج٢، ص٢٠.

(٢) بوجراند: **النص والخطاب**، ص ٣٠٣.

(٣) السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص١٩٩–٢٠٠.

(٤) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ٣/٩.

(٥) فضل، صلاح، **ظواهر أسلوبية في شعر شوقي**، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مجلد١، عدد٤، ١٩٨١م، ص ٢١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كثيرة من القرآن دون أن يحدث هذا التكرار أي خلل معنوي، كما أن القرآن تحدى أهل مكة صراحة بالمجيء بمثل هذا القرآن الكريم- على ما فيه من تشابه- إلا أنهم لم يستطيعوا المجيء ولو بآية واحدة.

التكرار في الدراسات النصية شكل من أشكال الاتساق المعجمي، وكما ذكرنا سابقا في تعريف أنه يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو عام، ومن أجل توضيح كنه التكرار من الناحية المفاهيمية نورد المثال الذي ذكره الخطاب نقلا عن هاليداي وحسن[1]:

الصعود

شرعت في الصعود إلى القمة، التسلق سهل للغاية.

العمل

الشيء

هو

إنَّ كلمة (الصعود) الثانية في المثال السابق هي إعادة لكلمة الصعود الواردة في الجملة الأولى، وهذا يعد من قبيل التكرار التام بحيث يتم تكرار الكلمة ذاتها من غير زيادة ولا نقصان، أما كلمة التسلق فهي مرادفة لكلمة (الصعود) من الناحية المعجمية حيث تنتمي المفردات إلى معنى عام، وقد تتميز إحداهما عن الأخرى بمعنى دقيق وقد يكون دقيق جدا، وكلمة (العمل) فهذا اللفظ يُعد عنصر مطلق يندرج (الصعود) تحته؛ فالعمل يشمل الصعود وغيره من مرادفاته، وكلمة (الشيء) في كلمة عامة تندرج تحتها كلمة (الصعود)، والضمير (هو) يحيل إلى لفظ (الصعود).

---

[1] خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن هنا فالتكرار يتشكل بصور عدة، أبرزها صورتان[1]:

الأولى: إعادة البنية الصرفية للفظ نفسه، ويكون بإعادة اللفظ في الجملة سواء على مستوى الترابط الداخلي داخل الجملة الواحدة، أو على مستوى النص، كما نجده في قوله تعالى في سورة (الحاقة الآية ٣٨-٣٩) ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ (الحاقة: ٣٨-٣٩) فقد وقع التكرار في كلمتي تبصرون وتبصرون على صعيد الجملة الواحدة، وهذا يُعد توكيدا من الناحية البلاغية. ومنه قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ فقد جاء تكرار اللفظي للحاقة من أجل التأكيد على الأهمية لذلك اليوم، وهذا من شأنه أن يلفت انتباه المتلقي، من خلال بيان كنه ذاك اليوم بعد الاستفهام عن أهواله. أم كان على المستوى الجملي في النص، ومنه قوله تعالى في سورة الملك الآيات (١، ٢، ٣، ١٥، ٢٣، ٢٤): ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا

---

[1] انظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الملك: ١-٢٤) إن الناظر في هذه الآيات من سورة الملك يجد أن كلمة (الذي) تكررت عدة مرات، وهذا التكرار يخلق جوا نصيا للمتلقي يعمل على ضمان الاستمرارية بين الآيات وربطها ببعض، كما يعمل على تحقيق الترابط بين أجزائها، وساهمت في توليد كلمات جديدة في الآيات من شأنها زيادة التنامي الدلالي في السورة وإبراز الإعجاز اللغوي فيها وذلك بربط السابق باللاحق.

كما نجد تكرار كلمات مثل "هو"، وهذا يسهم في استمرارية النص، واتساع معانيه، وتعالق معانيه، وربط الآيات مع بعضها ربطا محكما من خلال التعالق الدلالي للآيات سابقها بلاحقهـــا؛ من أجل بيان الاتساق والانسجام في النص.

والتكرار قد يعتمد على المشهد القرآني الذي يريد وصفه، غاية خلق جو تأثيريّ تخويفيّ، نحو قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث تكررت عشر مرَّات لأن كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فلا يكون تَكْرارا مستهجناً، فكان التكرار في كل مشهد، يختلف عن الآخر فتأتي آية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ من أجل تخويف وزجر ودقّ لقلوب هؤلاء

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليتذكروا ويبصروا، ونوعا من التنبيه للمؤمنين والتذكير لهم بحال هؤلاء المكذبين كيف سيكونون حتى لا يدخل الشيطان إلى قلب المؤمن ويجعله من المكذبين[١].

وقال أبو حيان في مناسبة تكرار هذه الآية في السورة:" وجاء فِي هَذِهِ السُّورَةِ بَعْدَ كُلِّ جُمْلَةٍ قَوْلُهُ: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، لِأَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مِنْهَا فِيهَا إِخْبَارَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ أَشْيَاءَ مِنْ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَتَقْرِيرَاتٍ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا، فَنَاسَبَ أَنْ نَذْكُرَ الْوَعِيدَ عَقِيبَ كُلِّ آيَةٍ"[٢].

إذن هذا التكرار فيه ضرب من التأكيد تأكيد يتلوه تأكيد لكل مشهد من المشاهد، فقارئ القرآن يفترض فيه التوقف والتمعن في هذه المشاهد كما في سورة الرحمن كلما يصل إلى **(فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)** يتوقف ويمعن النظر فيما قبلها ويتأمل فيها وهذا التأمل يجعله يحمد ربه أن جعله من أهل هذا الدين وليس من المكذبين.

الثانية: الترادف: والترادف –كما هو معلوم– دلالة عدد من الألفاظ على معنى واحد، ومنه قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ (الحاقة: ١–٤) "فكلمة "القارعة" مرادفة لكلمة الحاقة، فكل منهما يؤدي معنى متقاربا، مع وجود بعض الدلالات الخاصة بكل منهما، على الرغم من انتمائهما لحقل دلالي عام، حل لفظ القارعة محل الحاقة لأنها تنسجم مع المقام، فالقارعة من قرع يقرع قرعاً، والقرع: ضرب شيء على شيء والقارعة: القيامة، سميت بذلك، لأنها تقرع القلوب بالفزع[٣]. وهذا تطلب من

---

(١) الكرماني، أبو القاسم برهان الدين، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ط١، ص٢٤٤.

(٢) الأندلسي، أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠، ١٠/٣٧٩.

(٣) عبد المنعم، محمود عبدالرحمن، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، ص ٣/٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المتلقي معرفة الفوارق الدقيقة بين المترادفات من الألفاظ؛ حتى يحكم على الفوارق الدقيقة التي جعلت النص يستخدمها في هذا المقام، وعليه، يستطيع الحكم على النص بالتماسك؛ لأنها دلالة الألفاظ تناسب المقام كما جاء في الآية السابقة.

ويقع التكرار عن طريق النفي السلبيّ، نحو قوله تعالى في سورة المدثر ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (المدثر: ٩-١٠) فكلمة عسير في المعنى هي ذاتها غير يسير، وهذا بمزلة التكرار بالمعنى المرادف للكلمة، وهذا التكرار الهدف منه أن هذا العسر لا يُتأمل أن يرجع يسيراً، كما يرجع تيسير العسير من أمور الدنيا[١]، وهذا يدخل ضمن حقل التأكيد.

ومنه قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ فقوله تعالى﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ معناهما واحد فما الفائدة المرجوة من التكرار؟ إن الفائدة المرجوة من التكرار: لا تبقيهم أحياء ولا تذرهم أمواتاً[٢]، أي لا تُبقي ولا تذرُ للكفَّارِ شيئاً من لحمٍ ولا عَصَب إلّاَ أهلكته، ثم يعودُ كما كان، فقد قال الزركشي:"على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف، والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين، وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد".

العنصر الثاني: التضام (Collocation):

التضام شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يرد في النصّ اللغوي، وهو" توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظرا إلى ارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، مثال ذلك: مالهذا الولد

---

(١) الرازي، زين الدين، **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل**، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، ط١، ١٩٩١، ص٥٤٤.

(٢) **نفسه**، ص٥٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى"[١]، فالولد والبنت اللذان ذُكرا في المثال السابق ليسا مترادفين، إضافة إلى أنهما لا يرجعان إلى الشيء ذاته، ولكن لهما دور في تحقيق الاتساق على المستوى المعجمي بين الجملتين آنفتي الذكر من خلال ما يحكمهما من علاقة عامة؛ فكلا اللفظتين تنتميان إلى أصل واحد ألا وهو البشرية أو (الأب والأم). فالعلاقة التي تعين على توارد هذين الزوجين لا يشترط أن تكون بالإيجاب دائما، فقد تكون علاقة تعارض وتقابل (مطابقة).

ويرى خطابي أن المتلقي يواجه إشكالا في عملية الحصول إلى حقل دلالي واضح يضمن هذه الأزواج، فهذا الحقل لا يكون عادة واضح للعيان، ولكن المتلقي يمكنه أن يتجاوز هذه الصعوبة، بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية، معتمدا على مخزونه اللغوي، وخلفياته الثقافية[٢]؛ لأن تحديد نوع التضام كما يرى بالمر، يرتكز على معنى الكلمات المفردة، والأعراف المتبعة حول الصحبة التي تلتزمها هذه الكلمات وتحتاجها[٣].

كما بين الجرجاني التضام بقوله: "الألفاظَ المفردةَ التي هي أوضاعُ اللغة لم توضَع لتعرفَ معانيها في أنفسها ولكن لأن يُضَمَّ بعضُها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علمٌ شريف وأصلٌ عظيم"[٤]، يتضح للمتلقي من خلال كلام الجرجاني أن توارد الألفاظ متصاحبة من الناحية التركيبية يعمل على توليد دلالات جديدة في النص، وهذه الدلالات لن يكون لها أصل في حال

---

(١) خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص٢٥.

(٢) انظر: خطابي: **لسانيات النص**، ص ٢٥.

(٣) انظر: بالمر: **علم الدلالة، إطار جديد**، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، إسكندرية- مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص ١٤٧.

(٤) الجرجاني، عبدالقاهر، **دلائل الإعجاز**، ص٥٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورودها مفردة من غير تزاوج تركيبي يساعدها على توليد معنى جديد، فكثير من الألفاظ تكتسب دلالات بسبب مجاورتها لألفاظ أخرى، وتفتقدها إذا جاءت مفردة.

ومن الفوائد التي يتم تحقيقها من خلال التضام العملية التقريبية الذهنية للمعنى عند المتلقي، وذلك من خلال ما يقوم له المتلقي من عملية ربط ذهنية بين أطراف التضام، وهذا من شأنه أن يخلق اتساقا داخل النص.

والتضام علاقة عامة تشترك فيها كلمتان أو أكثر بإطار عام يوحدها، وللتضام علاقات متعددة[1]، منها:

١- **علاقة المطابقة**، ففي قوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ١ – ٢). فكلمة (الموت) وكلمة (الحياة) بينهما تضام، وتجمعهما علاقة المطابقة، ويتم الاتساق المعجمي من خلال الكلمتين مجتمعتين لا بإحداهما؛ إذ إنَّ القارئ عندما قراءة كلمة (الموت) ينصرف ذهنه إلى إيجاد علاقة بينها وبين كلمة (الحياة) متمثلا في ذلك العلاقة التي تجمعهما، ألا وهي علاقة المطابقة، وهذا الجمع يؤدي إلى اتساق في النص على المستوى الداخلي .

ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ (المعارج: ١–٦)، فالعلاقة بين الكلمتين (بعيدا وقريبا)، وقد تحقق الاتساق

---

[1] الزعبي، معاذ، **وظائف الاتساق النحوي والمعجمي في العربية**، ص٤٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بينهما من خلال علاقة المطابقة، فالبعد ضد القرب، فالمطابقة ساهمت في تلاحم النصّ وتماسكه، بسبب ما تحمله في طياتها من طبيعة تكرارية؛ إذ إن المطابقة تمثل في الذهن الحركة الأفقية والعامودية، أو كما يسميها عبد المطلب، حركة الغياب والحضور. فعندما يواجه المتلقي زوجا من الكلمات المتضادة دلالية، يدفعه للبحث عن العلاقة الرابطة والجامعة لهذا الزوج من الكلمات" فحضور النقيض يستدعي حضور نقيضه غيابا، مما يعطي للتقابل طبيعة تكرارية مزدوجة، من خلال حركة الذهن بين المتناقضين"[1]. ولفظتي بعيد وقريب اللتان وردتا في النص تجمع بينهما علاقة المطابقة، أي أن كل مهنما ضد الآخر، فالحديث عن البعد استوجب التطرق إلى الحديث عن القرب، وهذا كثير في القرآن الكريم.

ويقع التضام ذو دلالة المطابقة في القرآن الكريم بين الظروف الزمانية والمكانية، تحقيقا لحركة الغياب والحضور، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقة: ١٩-٣٢). علاقة المطابقة متمثلة بين المؤمن الذي يتلقى كتابه بيمينه، ويسعد في جنة النعيم وبين الكافر الذي لا يؤمن بالله العظيم، فعلاقة المطابقة وسياق الحال الذي ذكر فيه حال المؤمن اقتضى ذكر النقيض الذي

---

[1] عبد المطلب، محمد، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط١، ١٩٩٥م. ص١١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يسعَّر في نار جهنم، فهو تركيب من الكلمات ورد في النّصّ، جمع بين قطبيه علاقة المطابقة. الفائدة من هذه المطابقة بين هذين التركيبين، تبشير المؤمن بالجزاء العظيم المتمثل بالعطاء الذي أعطاه إياه الله، وإغاظة المشركين، وخلق الحسرة في نفوسهم، بسبب ما سيلقونه من عذاب يوم القيامة. فشكَّل هذا الربط المعجميّ بين التركيبين عنصراً مهماً في اتساق النصّ القرآني وتلاحمه وتحديد معناه.

٢- **علاقة التنافر:** والتنافر" مرتبط بفكرة النفي مثل التضاد. مثل كلمات خروف، فرس، قط، كلب، بلانسبة لكلمة حيوان"[١]، فلكل طرف في علاقة التنافر له كيان ذاته المستقل بـــه عن الآخر، على الرغم من انتمائهم لفصيلة واحدة تجمعهم، فالكلمات السابقة متنافرة من حيث التكوين المادي لكل منها؛ فالخروف ليس قطا والفرس ليس خروفا، لكن جمـــيعهم ينتمون إلى فصيلة واحدة ألا وهي فصيلة الحيوانات.

وأوضح مثال على علاقة التنافر في جزء تبارك ما جاء في سورة نوح حيث قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح: ٢٣)، فهذه أسماء أصنام جعلها قوم نوح آلهة تُعبد من دون الله، فهي تقع ضمن إطار عام يحويها، وهو أنها أسماء يُعتقد أنها آلهة، على الرغم من الاختلاف بين الآلهة حسب ما كان يعتقده قوم نوح عليه السلام.

٣- **علاقة الجزء بالكل:** مثل " علاقة اليد بالجسم والعجلة بالسيارة"[٢]، فاليد هي جزء مـــن أجزاء الجسم، مثل الرأس والعين والقدمين فهي أجزاء من الجسد. ومثال علاقة الجـــزء بالكـــل فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا

---

[١] عفيفي، أحمد، **نحو النص، اتجاه جديد في الدرس اللغوي**، ص١١٣.

[٢] عمر، أحمد مختار، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م، ص١٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَشْكُرُونَ﴾ (الملك: ٢٣)، كلمات السمع والبصر والفؤاد يجمع بينها علاقة الجزء بالكل؛ إذ إن كلا منها تختلف عن الأخرى في وظيفتها وماهيتها لكن تنتمي جميعها إلى جسم الإنسان الذي يضم جميع هذه الحواس، فجسم الإنسان بمزلة الخيط الجامع الذي تنتمي إليه هذه الحواس.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح: ٧) فكلمتي الأصابع والآذان الواردتين في الآية الكريم هما بمثابة الجزء من الكل فهما جزءان من عدة أجزاء يتكون منهما جسم الإنسان، فالأصابع والآذان هما بمثابة الجزء، وجسم الإنسان هو بمثابة الكل.

٤- **علاقة العام والخاص:** العام: " لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر"[١]، ويقابله الخاص" وهو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام"[٢]، ومثاله في جزء تبارك قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ١ – ٧)، تقع هذه الآيات في دائرة القسم العام (الأمم السابقة) المعجمي. فكلمة (ثمود) مرتبطة بكلمة (عاد)، وهذا ربط خارجي؛ لأنه تم بين جملتين مختلفتين. فالجامع المشترك بين قوم عاد وقوم ثمود جامع الشهرة، والكفر والطغيان؛ إذ إن هذه الأقوام رزقها الله نعما كثيرة لا يمكن أن تحصى، وجعلها ذات بأس شديد. إلا أن أصحابها أضاعوا شكر الله على

---

[١] السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ص٥٠٦.

[٢] القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٣، ٢٠٠٤م، ص٢١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النعمة، وأنهم سيندمون أشد الندم يوم القيامة على تفريطهم بحق الله, وأنهم لم يقدموا لأنفسهم ما ينجيهم يوم الحساب [١]. "فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر الكفر، واستحبوا العمى على الهدى"[٢]، ولمّ يصدّقوا رسل الله. فكان تكذيبهم سببا موجبا لعذابهم وهلاكهم.

وسبب ذكر قصص الأمم السابقة، هو تثبيت لفؤاد النبي والمسلمين من بعده؛ فملّة الكفر ملة واحدة، فلا تحزن بسببهم، والتهديد للمعاندين بالإنذار بمثله، "فإن ما فُعل في الأمم الثلاث موعظة وإنذارا للقوم، الذين فعلوا مثل فعلهم، من تكذيب رسل الله، قُصد منه تقريب وقوع ذلك وتوقع حلوله، لأن التذكير بالنظائر واستحضار الأمثال يقرب إلى الأذهان الأمر الغريب الوقوع، لأن بعد العهد بحدوث أمثاله ينسيه الناس، وإذا نسي استبعد الناس وقوعه، فالتذكير يزيل الاستبعاد"[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ (المرسلات: ١ – ٥)، فكلمة (المرسلات) و(العاصفات) و(الناشرات) و(الفارقات) و(الملقيات) أقسم الله تبارك وتعالى بمخلوقات عظيمة، فقد أقسم بالوحي وغيره من الملائكة الذين يبعثهم الله إلى أنبيائه من أجل إعلامهم خبراً ما أو نصر في أمر معين، فهم ملائكة الرحمن والمراد من هذا القسم التأكيد على الخبر، والقصدية من الإطالة في القَسَم خلق تشويق لدى المتلقي من اجل أن يعرف ماهية المقسم به، ومشى صاحب «الكشاف» على أن المقسم بها كلهم ملائكة[٤]، وهي ضمن قسم عام يحتوي أسماء الملائكة وأصنافهم، وهذا يعد ربطا داخليا تمَّ

---

(١) انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ص ٣٢١.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة– مصر، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م، ج٢٢، ص٢٩.

(٣) ابن عاشور:**التحرير والتنوير**، ص ٣١٨.

(٤) **السابق**، ص ٢٩/٤١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين (المرسلات) و(العاصفات) و(الناشرات) و(الفارقات) و(الملقيات) بمساعدة إجراء العطف الذي شارك بدوره في تدعيم التّماسك النصّيّ بين الآيات.

فالعلاقات الآنفة الذكر هي علاقات تضام معجمي، وهذه العلاقات تؤدي إلى الاتساق النصي بما ينتج عنها من دلالات متناقضة[1] والتي بدورها تكشف عن المعنى بأوضح صورة، وتعمل على بيان تناسق الألفاظ وتوافقها.

وعلاقات التضام تسهل على متلقي النص الربط بين الطرف الأول والطرف الثاني، وهذا الربط يؤدي إلى التناسق على صعيد الجملة الواحدة، ويتعدى ذلك للربط بين الجمل في النص الواحد، حتى يخرج نصا مترابطا محكما على المستوى الداخلي.

ولا يخفى على المتلقي أن من فوائد التضام العمل على توضيح الفكرة ومحو الضبابية عن الصورة وتقريبها لدى المتلقي؛ إذ إن المتلقي يحاول إيجاد العلاقة بين الطرفين اللذين تجمعهما علاقة تضام، وهذا بدوره يؤدي إلى نتيجة مؤداها اتساق النص، لا سيما إذا كانت أطراف التضام متباعدة فيما بينها.

إنَّ متلقي النص القرآني، عندما يقرأ آية قرآنية، جاء فيها لفظة تكررت أو جاءت مطابقة للفظة أخرى في سياق ما، فيستحضر القارئ السياق الذي وردت في اللفظة السابقة، فتتم عملية الربط بين الموضوعات وإبراز المعاني السابقة، فترسخ المعاني في ذهن المتلقي؛ وذلك من خلال ربطها مع ما سبقها علاوة على مقدرة المتلقي على إبراز القيمة الجمالية للمفردة المتضامة أو المكررة.

---

[1] ورود الألفاظ المتناقضة يؤدي إلى بيان ووضح دلالتها، وقد قال الشاعر في ذلك: (ضِدَّان لمَّا اسْتَجْمَعا حَسُنا ... والضّدُّ يُظْهِر حسنَه الضّدُّ)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: وظائف عناصر الاتساق:

إنَّ أدوات الاتساق بفرعيها –النحوي والمعجمي– لها فوائد مختلفة، وهذه الفوائد قد تشترك فيها أحيانا أكثر من أداة من أدوات الاتساق؛ من أجل خدمة مستخدم اللغة حتى يحقق أغراضه في الكلام، فاللغة العربية شأنها شأن اللغات المُستعمَلة الأخرى لها وسائلها اللغوية من أجل الوصول إلى هدفها الرئيس ألا وهو التواصل، وتحتوي اللُّغة على كثير من الفوائد التي تخدم مستخدمي اللغة مثل الاقتصاد والربط والتوسعة التي تتسم باليسر والجهد الأقل. وستتناول الدراسة في هذا المبحث أبرز الفوائد أو الثمار التي يجنيها القارئ من أدوات الاتساق.

المطلب الأول: الاقتصاد اللغوي:

اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، من هنا كان لا بد أن تحمل في داخلها انعكاس وتأثير أصحابها الذين يتعايشون في نفس البيئة، وقد اعتاد الإنسان أن يحقق الكثير من مراميه بالقليل من الأدوات اللغوية من أجل الوصول إلى هدفه بأيسر الطرق وأسهلها، ومن أجل تحقيق الاقتصاد في الجهد والوقت، واللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى، تعمل على تحقيق مبدأ الاقتصاد من خلال أساليبها اللغوية التي تعمل على الوصول إلى هذه السمة (الاقتصاد) وذلك من خلال تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنى، وما نجده عند علماء اللغة من اختصار وإيجاز ما هما إلا سمتان من سمات الاقتصاد في كلام العرب.

الاقتصاد لغة: جاء عند ابن فارس معرض حديثه عن الاقتصاد:" الْقَافُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اكْتِنَازٍ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَصْلُ: قَصَدْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا. وَمِنَ الْبَابِ: أَقْصَدَهُ السَّهْمُ، إِذَا أَصَابَهُ فَقَتَلَ مَكَانَهُ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَحِدْ عَنْهُ"[1].

---

[1] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣، ص١١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاقتصاد اصطلاحاً: يقول تمام حسان: " تتناهى الألفاظ والأنماط التركيبية ولا تتناهى المعاني، ومن ثم يصبح على العربية عن أن تعبر بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي، فإذا تحقق لها ذلك فقد تحقق الاقتصاد بعينه"(١)، ومن خلال ما قاله تمام حسان تستطيع الدراسة القول بأن الاقتصاد هو الوصول إلى الكثير من المرامي والمعاني المنشودة بقليل من الأدوات اللغوية. وهذا هو ديدن أهل العربية الأقحاح، فقد جاء في الأشباه والنظائر أن"الاختصار هو جل مقصود العرب وعليه مبنى أكثر كلامهم"(٢).

ومن أبرز الأدوات الاتساقية التي تسهم في تحقيق سمة الاقتصاد اللغوي هي **الإحالة**، فقد تحدث ابن يعيش عن الاقتصاد اللغوي أثناء حديثه عن وظائف الضمير:" وإنّما أُتي بالمضمرات كلَّها لضربٍ من الإيجاز، واحترازًا من الإلباس. فأمّا الإيجاز فظاهرٌ، لأنّك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكَماله، فيكون ذلك الحرفُ كجُزْءٍ من الاسم، وأمّا الإلباس فلأنّ الأسماء الظاهرة كثيرةُ الاشتراك، فإذا قلت: "زيدٌ فعل زيدٌ"، جاز أنّ يُتوهّم في "زيدٍ" الثاني أنّه غيرُ الأول"(٣).

والمتمعن في ما قاله ابن يعيش يتعرف على مراده من أن الضمير هو وسيلة من وسائل الاقتصاد اللغوي وإزالة اللبس؛ إذ إن الضمير يغني المتكلم من إعادة ذكر ألفاظا أو مجموعة تراكيب، فالضمير يقوم مقامها في النص، فلا حاجة لإعادة ذكرها مرة أخرى داخل النص.

وقد أشار الزناد إلى تحقيق سمة الاقتصاد اللغوي عبر الإحالة قائلا: " تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحدة من عناصره

---

(١) حسان، تمام، **مقالات في الأدب واللغة**، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٥، ص٢٩٢.

(٢) السيوطي، جلال الدين، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠، ص٣٠.

(٣) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٢/٢٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

متناغمة، وهذا مدخل الاقتصاد المعرفي في نظام المعوضات، في اللغة، إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنِّب مستعملها إعادة تكرارها"[1].

ومن أمثلة الاقتصاد اللغوي الذي تحققه الإحالة، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥) فالضمائر في الآية السابقة عناصر إحالية سدت مسد أسماء ظاهرة، فالألفاظ الإشارية المحال إليها جلية ظاهرة ومفهومة في السياق اللغوي الذي وردت فيه الآية، فقد تحقق الاقتصاد اللغوي في الآية (١٥) من سورة الملك في مواضع شتى؛ إذ ناب الضمير عن أسماء نبينها في هذا الجدول:

الرقم	التركيب	نوع الضمير	اللفظ الإشاري	الوظيفة
١	هو	منفصل	الله	الاقتصاد
٢	جعل	مستتر	الله	الاقتصاد
٣	لكم	كم متصل	الخلق	الاقتصاد
٤	فامشوا	الواو متصل	الخلق	الاقتصاد
٥	مناكبها	الهاء متصل	الأرض	الاقتصاد
٦	كلوا	الواو متصل	الخلق	الاقتصاد
٧	رزقه	الهاء متصل	الخلق	الاقتصاد
٨	إليه	الهاء متصل	الله	الاقتصاد

يظهر جليا مبدأ الاقتصاد اللغوي في الآية السابقة في عدد الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة، وعدد الضمائر التي تحيل إلى الخلق، والضمير الذي يحيل إلى الأرض، فهذه ثمانية ضمائر تحيل إلى ثلاثة ألفاظ إشارية في آية واحدة، وهذه الضمائر تسهم بشكل واضح وكبير في اتساق النص وتماسكه من خلال استغنائها عن إعادة ذكر الألفاظ التي تم ذكرها سابقا.

---

[1] الزناد، **نسيج النص**، ص١٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتحقق " الاقتصاد اللغوي " من خلال **عملية الحذف** التي تتم بين أجزاء الكلام داخل السياق؛ إذ يتم اختصار جزء من التركيب، مع وجود قرينة تدل عليه داخل السياق. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢) ففي قوله تعالى من يمشي سويا تشبيه لحال الذي آمن برب واحد الواثق بنصر ربه وتأييده وبأنه مصادف للحق، بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلا إلى اتجاه وجهه فهو مستو في سيره. وقد حصل في الآية إيجاز حذف إذ استغني عن وصف الطريق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني. والفاء في صدر الجملة للتفريع على جميع ما تقدم من الدلائل والعبر من أول السورة إلى هنا، والاستفهام تقريري[1]. فتحقق الاقتصاد من خلال الحذف، على أن هذا الحذف لا يؤثر في الخطاب؛ إذ المتلقي للنص يتعرف على موطن الحذف الكامن في النص من خلال نظرته العامة للنص، وحضوره الذهني من خلال ربط الأحداث ببعضها.

كما يتحقق الاقتصاد اللغوي من خلال **أدوات العطف**، وذلك عبر الاستغناء عن إعادة العامل في الاسم المعطوف. ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ (القيامة: ٧-١٠) فواو العطف في الجمل المتتابعة في الآيات السابقة أغنت عن إعادة ذكر العامل (**إذا**) بعد أداة العطف (واو)؛ إذ إنها ذُكرت أول مرة ثم أغنى حرف العطف الواو عن ذكرها في بقية الآيات.

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٤٥-٢٩/٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: الربط:

إن أبرز ما يميز النص الترابط القوي الشديد بين أجزائه، حتى يغدو النص قطعة واحدة متناسقة الأجزاء منسجمة المعاني، فالنص منتج لغوي وتجدر الإشارة إلى أن رصف الكلمات لا يعني أنه نص لغوي مترابط؛ فرصف الكلمات لا يكون دليلا قاطعا على تآلفها كي تنتج نصا مترابطا، فالكثير من المتواليات الكلامية لا تؤدي وظيفة نصية، ومن المعلوم أن وظيفة اللغة الرئيسة هي التواصل، وعملية التواصل لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كان النص مفهوما لدى المتلقي، ولا يُعدُّ النص مفهوماً إلا إذا كان مترابط الأجزاء، بحيث يكون ذا جمل وتراكيب متسقة متواصلة لا مبتورة الأوصال.

ويتم تحقيق الربط النصي من خلال أدوات لغوية شتى تقوم بوظيفة الربط بين الجمل في النص، فتجعل النص مترابطا متماسكا، ولكن ما يعنينا في هذه الدراسة الأدوات الاتساقية التي ذكرتها الدراسة سابقا، حيث تتحقق سمة الربط بين جمل النص من خلال أدوات العطف، وغالبا ما تقوم أدوات العطف بعملية إشراك ما قبلها بما بعدها في الحكم، وعليه، فهي تقوم بعملية جمع بين عنصرين من أجل تحقيق الاتساق في النص .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح: ٥-١٢)، لقد وردت معظم أدوات العطف في هذه الآيات (الواو، الفاء، ثم) حيث تكررت كل أداة غير مرة مؤدية وظيفة الربط من خلال ما تملك كل أداة من دلالة خاصة بها، فكل أداة جاءت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في موقعها الخاص بها رابطة الآية التي قبلها بالتي بعدها، ومقوية حبال الوصل بين الكلام، مخرجة نصا منتظما من حيث تراكيبه وأفكاره. فقد قامت أدوات العطف بربط بين المفردات، وربط بين الجمل، مع العلم أن العطف بين الجمل يؤدي اتساق النص بصورة أقوى من العطف بين المفردات؛ لأن الجمل هي بنى جزئية صغرى تشكل بتعالقها بنى جزئية كبرى، وأعمدة النص الرئيسة فهي من باب أولى أن يكون لها دور في تلاحم النص وتعاضده، ولولا هذا الربط بين المفردات والجمل لظهر النص عبارة عن كلمات متجاورة لا ربط بينها، ولما توصل متلقي النص إلى العلاقة الكلية التي تجمع هذه الجمل.

تجدر الإشارة إلى الدور الذي تقوم أدوات العطف للربط بين المفردات المشتركة في الحكم والإعراب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ١-٤)، فالواو العاطفة بين "الملائكة والروح" عملت على إشراك الكلمتين في الإعراب، فجعلت المعطوف على الفاعل" الروح" فاعلا في المعنى، وإن كان حكمه الإعرابي اسما معطوفا.

ومن عناصر الاتساق التي تعمل على تحقيق وظيفة الربط النصي بين المفردات والجمل **الإحالة**. وقد بينت الدراسة سابقا أن الإحالة تتباين من حيث المدى؛ إذ تنقسم إلى قسمين قسم يكون في إطار الجملة الواحدة وهذا القسم يسمى "**إحالة قريبة المدى**"، والقسم الآخر يكون في جمل متنوعة في النص، وهذا القسم يسمى "**إحالة بعيدة المدى**".

من الأمثلة على الربط النصي المتحقق عبر النوع الأول من الإحالة (قريبة المدى)، قوله تعالى من المعارج: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩ – ٢١)، فالضمير في مسه يحيل إلى الإنسان؛ ليربط بينهما، ويسهم في تحقيق الاتساق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الإحالة بعيدة المدى فإنها تعمل على تحقيق الربط النصي بين الجمل بشكل أكبر من ذاك الربط الذي تحققه الإحالة قريبة المدى داخل الجملة الواحدة، من ذلك قوله تعالى من سورة نوح: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ (نوح: ١ – ١٤)، في الآيات السابقة برز دور الإحالة بشكل جلي في تحقيق الربط النصي، فقد جاءت معظم الإحالات تحيل إلى العنصر الإشاري" قوم نوح" على الرغم من التباعد بين الجمل، ومن ثم أحالت إلى العنصر الإشاري "الله تعالى" بالدرجة الثانية، ومن ثم أحالت إلى العنصر الإشاري "سيدنا نوح" بالدرجة الثالثة، فساهمت الإحالة في ربط الآيات مع بعضها بعضا على الرغم من تباعدها، بحيث لا يستطيع المتلقي الفصل بينها، ويستطيع المتلقي الوقوف على ما تحيل إليه الضمائر من أول آية في سورة نوح إلى آخر آية؛ لأنها تمثل نسيجا واحدا، وما هذا النسيج المنظم والمتراتب ما كان ليكون لولا تضافر عناصر الاتساق في السورة المتمثلة بالإحالة تحديدا، سواء أكانت هذه الإحالة على صعيد الجملة الواحدة (إحالة قريبة المدى) أم كانت بين الجمل المتباعدة (إحالة بعيدة المدى).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: تكوين النص وتشكيله:

إن عملية تشكُل النص وتكوينه تمثل ركيزة أساسية في كشف اللثام عن إطار النص وحدوده، فهذه الوظيفة تتحقق من خلال عدة وسائل منها العطف والإحالة والمقابلة وغيرها من الأدوات التي تسهم في تحقيق هذه الوظيفة.

وتبرز وظيفة تشكُل النص عبر الإحالة الضميرية، أو ما يعرف بعودة عدة ضمائر على لفظ إشاري واحد، يكون بؤرة النص وركيزته الأساسية ويجمع مكوناته، ويرتب أحداثه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (المدثر: ١ – ٧)، إنَّ المتأمل في الآيات السابقة يدرك التكوين المتميز فيها؛ إذ ورد العنصر الإشاري " المدثر " والمقصود به النبي ﷺ في بؤرة المركزية للنص، ثم أحالت إليه جمل النص، وهذه الإحالات جعلت من تراكيب النص تتابع، ويسير اللاحق فيها مجرى السابق، وهذا من شأنه أن يسهم في لم شمل النص وجمع مكوناته وترتيب أحداثه، فينتج تكوين النص وتشكله.

كما تسهم **المقابلة** في تكوين النص وتشكيله وذلك من خلال ارتباط طرفي المقابلة بعضها ببعض؛ فوجود الطرف الأول يقتضي من الناحية المنطقية وجود طرفا آخر مقابلا له، وهذا من شأنه أن يسهم في تكوين النص وتشكيله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾ ﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾. عند تأمل الآية الأولى وهو صفة وجوه أهل الجنة يتشوق القارئ ويتطلع من أجل معرفة صفة وجوه أهل النار الكافرين.

للترتيب الزمني داخل النص دور في تكوين النص وتشكيله، وأبرز أدوات العطف مساهمة في تحقيق الترتيب الزمني "ثم"، " الفاء" من خلال ما تؤديه من معان ودلالات خاصة،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مع أن المعنى المتعارف عليه عند النحاة الترتيب مع الاختلاف في درجة الترتيب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (نوح: ٥-٩)، فحرف العطف "الفاء" عطف بين جملتين متعاقبتين زمنيا؛ بمعنى أنه بعد أن دعا قومه، زادهم ذلك الدعاء فرارا مباشرة بعد أن دعاهم، وحرف العطف "ثم" عطف جملة إني دعوتهم جهارا على الجملة التي سبقتها، ورتبها ترتيبا زمنيا، بجيث تتوافق مع الوظيفة الدلالية التي يؤديها حرف العطف ثم وهي المهلة الزمنية، فبعد مدة من الزمن من الدعوة السرية انتقل إلى الدعوة الجهرية، والتنوع في العملية الدعوية إلا أنهم لم يطيعوا وكفروا بما جاء به.

وستسلط الدراسة الضوء على الوظيفة الدلالية التي تؤديها "الواو" في الدراسة النصية، فمن المعروف أن وظيفة الواو العاطفة الجمع والمشاركة كما أشار إلى ذلك النحاة في كتبهم، حيث يقول الأنباري:" فإن قيل: ما الدليل على أن الواو تقتضي الجمع دون الترتيب؟ قيل: الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة: ٥٨)، وقال في موضع آخر: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (الأعراف: ١٦١)، ولو كانت الواو تقتضي الترتيب لما جاز أن يتقدم في إحدى الآيتين ما يتأخر في الأخرى"[١].

---

[١] الأنباري، أبو البركات (ت: ٥٧٧): **أسرار العربية**، تحقيق: بركات هبود، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٢١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لكن المتتبع لبعض أداءات الواو الدلالية في السياقات القرآنية يجد أنها تفيد معنى الترتيب، إضافة إلى المعنى الرئيس لها؛ ومن ذلك قوله تعالى من سورة الحاقة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣ – ١٧)، يلحظ المتمعن لهذه الآيات أن الواو العاطفة أفادت الترتيب؛ من خلال ترتيبها للأحداث، حيث أخذت الواو تؤدي وظيفة الترتيب في السورة من خلال ترتيب الأحداث المتعاقبة زمنيا, فالواو هنا لم تفد العطف والمشاركة, وإنما هي أداة ربط تعمل على ترتيب الأحداث.

ومن الآيات التي أفادت الواو فيها الترتيب قوله تعالى من المعارج: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ (المعارج: ١١ – ١٤)، فالآيات السابقة تحدث عن حال الكافر؛ فجاءت الآية بترتيب للأشخاص الذي يود الكافر لو يفتدي بهم وينجو من عذاب الله له ابتداء من بنيه، وزوجته وأخيه إلى أن ينتهي بجميع من في الأرض، وقد رتبت الأقرباء على حسب شدة الميل الطبيعي إليهم في العرف الغالب ؛ لأن الميل الطبيعي ينشأ عن الملازمة وكثرة المخالطة . ولم يذكر الأبوين لدخولهما في الفصيلة قصدا للإيجاز[1].

المطلب الرابع: التوكيد:

عند الحديث عن وظيفة التوكيد ينصرف الذهن إلى التكرار المعجمي، حيث تتكرر اللفظة أو العبارة مرة أو أكثر من مرة داخل النص؛ غاية تأكيد فكرة بعينها. فلنتأمل – على سبيل

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمثيل – قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (القيامة: ٣٤ – ٣٥)، نلحظ تكرار الآية في سورة القيامة { فأولى } تأكيد ل { أَولَى لك } جيء فيه بفاء التعقيب للدلالة على أنه يدعي عليه بأن يعقبه المكروه ويعقب بدعاء آخر . قال قتادة: إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد فاستقبله أبو جهل على باب بني مخزوم فأخذ رسول الله فلبَّبَ أبا جهل بثيابه وقال له {أولى لك فأولى ثم أولَى لك فأولى} قال أبو جهل: يتهددني محمد (أي يستعمل كلمة الدعاء في إرادة التهديد) فوالله إني لأَعَزُّ أهلِ الوادي . وأنزل الله تعالى { أولى لك فأولى } كما قَال لأبي جهل. وقوله: { ثم أولى لك فأولى } تأكيد للدعاء عليه ولتأكيده السابق وجيء بحرف { ثم } لعطف الجملة دلالة على أن هذا التأكيد ارتقاء في الوعيد، وتهديد بأشدَّ مما أفاده التهديد الأول وتأكيدُه كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣ – ٤). وأحسب أن المراد: كُلُّ إنسان كافر كما يقتضيه أول الكلام من قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤)، وما أبو جهل إلاّ مِن أولهم، وأن النبي ﷺ توعده باللفظ الذي أنزله الله تهديداً لأمثاله[1].

بعض الآيات تختلف في طريقة أدائها، والهدف من تكرارها واضح وهو التوكيد على ما سبق، ويكثر ذلك بعد مجموعة آيات (المقطع) أو المقاطع، وما ذلك إلا لتوكيد المعنى الذي سبق التكرار الذي خُتم به المقطع، فبعد ذكر مجموعة من الآيات التي تتحدث حول قضية معينة تختم بدعاء، والتكرار في مثل هذه المواقف تكرار ذو معنى، يؤكد حقيقة الدعاء الذي ختمت به المقاطع، ففي سورة المرسلات تكررت آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ فقد حُملت هذه الجملة على

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٢٦٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نظائرها الآتية في هذه السورة يقتضي التأكيد على تهديد المشركين الـذين يـسمعون القـرآن وتهويل يوم الفصل في نفوسهم ليحذروه وهو متصل في المعنى بجملة (إن ما توعدون لواقـع) اتصال أجزاء النظم فموقع جملة[1]. فالقرآن الكريم معجز يجب أن ينزه عن التكرار بلا فائـدة، فلا بد أن يراد به معنى خاص يميزه.

ويكون التوكيد جليا واضحا عندما تتكرر وتكثر الإشارة إلى قضية بعينها، من خلال تكرار أبنية متشابهة في النص. ونلحظ ذلك جليا في سورة الملك، من خلال تكراراسم الموصول" الذي" في رؤوس الآيات: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٤٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ (الملك: ١ – ٢٤)، اعتمد القرآن على التكرار غير الممل أو المخل، لتثبيت وتأكيد القضية التي يتحدث عنها، أو الفكرة التي يريد إيضاحها، فهذه الآيات كلها تتحدث عن الله جل جلاله، وتتحدث عن أشياء تقع في ملكه، وكأن لسان حال الآيات جاء ليؤكد على أن الله هو الملك المالك لكل شي من خلال التفصيل في الآيات، فهذه الضمائر والأسماء الموصولة تكررت لتوضح وتؤكد البؤرة المركزية في النص، أو الجملة الأساس وهو الله تبارك وتعالى، وأنه المالك لكل شيء.

وتتحقق وظيفة التوكيد من خلال العنصر الاتساقي **الإحالة** وذلك عبر الضمير الفصل، ومن أمثلته في جزء تبارك، قوله تعالى في سورة المزمل:" **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا** (٦)"، فضمير الفصل (هي) تؤكد أن صلاة الليل أعون على تذكر القرآن والسلامة من نسيان بعض الآيات، وأعون على المزيد من التدبر[١].

وتكون وظيفة التوكيد أكثر وضوحا وجلاء في **الإحالة الضميرية** عندما يأتي الضمير الفصل توكيدا لضمير سابق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٢٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المزمل: ٢٠)، فالضمير الأول المتصل في الفعل "تجدوه" مفعول به ثان للفعل وجد، أما الضمير المنفصل "هو" فهو عبارة عن تكرار معنوي يفيد التوكيد للضمير المتصل في الفعل "تجدوه"، ووظيفة التوكيد في هذا الموطن من القرآن توكيد أن ما يقدمه المسلم من خير يجده عند الله أفضل وأعظم أجراً.

المطلب الخامس: الإجمال / التفصيل:

وهي من العلاقات المهمة التي ركز عليها العلماء النصيون؛ لأنه يندرج تحتها اتصال المقاطع النصية ببعضها بعضا، وهذا يعمل على منح النص ميزة الاستمرار الدلالي بين مقاطعه، كما تجدر الإشارة إليه في هذه المقام أن هذه العلاقة لا تسير في اتجاه واحد في الفضاء النصي بل تسير باتجاهين[١]: المجمل ⟷ المفصل

إنَّ ما يميز هذه العلاقة مزدوجة الاتجاه إخراج النص ونقله من رتابة الوتيرة الواحدة إلى تنامٍ مطرد[٢]، وهذا يدل على أن هذه العلاقة لا تسلك دوما علاقة المجمل إلى المفصل، بل قد يحصل في النص العكس بأن تسلك العلاقة الاتجاه العكسي من المفصل إلى المجمل؛ وذلك من

---

[١] نقلا عن خطابي، محمد، **لسانيات النص**، ص ٢٧٢ وما بعدها.

[٢] **نفسه**، ص ٢٧٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أجل الوصول غاية معينة يهدف إليها النص، وقد ذكر ذلك ابن عاشور بقوله" إنَّ للإجمال بعد التفصيل وقعا من نفوس السامعين"[1].

فبعض الألفاظ والجمل ترتبط ببعضها بعضا من خلال علاقة ما تحكمها كعلاقة التضام، أو وجود بعض الألفاظ المبهمة التي تحتاج إلى ما يفسرها ويوضحها ذلك الإبهام، كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

ومثال ذلك في قوله تعالى من سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، عند إمعان النظر في الآيات السابقة نجد أنها علاقة إجمال تسير باتجاه التفصيل؛ حيث ابتدأت السورة بذكر قدرة الله وامتلاكه لكل شيء، فهو مالك الملك القادر على كل شيء، ثم انتقل إلى التفصيل بقوله إن الذي خلق الموت والحياة وخلق سبع سموات...، والمتأمل في هذه الآيات من الناحية العلائقية يجد أنهامتعالقة فيما بينها.

ومنه قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، تحققت وظيفة التفصيل في الآيات آنفة الذكر من خلال ورود لفظ الحاقة، ومجيء تفصيل هذا اللفظ وبيان كنهه في ألفاظ أخرى من مواضع أخرى تابعة من السورة، فسورة الحاقة معناها القيامة والآيات

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ١/٣٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تتحدث عن يوم القيامة ومشاهده وأحداثه تشغل معظم هذه السورة. ومن ثم تبدأ السورة باسمها، وتسمى به.

وتبرز وظيفة الإجمال في أسماء الإشارة عندما يأتي اسم الإشارة مجملا لتفصيل سابق عليه، وتحديدا عندما تكون الإحالة خارج حدود الجملة الواحدة أي إحالة بعيدة المدى، عندما يحيل اسم الإشارة إلى مقطع أو مجموعة مقاطع من السورة القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج: ١٩ – ٣٥)، في الآيات السابقة اجتمع فيها تفصيل من خلال الاسم الموصول الذي كان فيه تفصيل لصفات المؤمنين، وإجمال من خلال اسم الإشارة " أولئك " الذي أجمل كل صفات المؤمنين في الآيات السابقة.

تتحقق وظيفة التفصيل من خلال إجراء **التضام المعجمي**، فكما ذكرت الدراسة سابقا أن التضام هو علاقة بين لفظين أو أكثر، ومن أجل إدراك العلاقة الجامعة لأطراف التضام لا بد من رصد أطراف التضام الواردة في النص، ومن ذلك قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(المرسلات: ٨ – ١٣)، فالنجوم والسماء والجبال والرسل، فهذه الأسماء تجتمع تحت علاقة المخلوقات التي خلقها الله تبارك وتعالى، وقد اتسعت هذه لعلاقة بسبب انتشار آيات السورة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

الانسجام الدلالي

يتضمن مبحثين:

- **المبحث الأول:**
  - * **السياق**
  - * **المناسبة**
  - * **التعريض**
- **المبحث الثاني:**
  - * **البنى الجزئية الصغرى والبنى الجزئية الكبرى**
  - * **البنية الكلية للخطاب**

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنَّ لسانيات النص من العلوم اللغوية التي تحيط بالنص إحاطة شمولية، فلا تحد دراستها للنص على الروابط السطحية أو الشكلية (الاتساق) على الرغم من أنَّ هذه الروابط السطحية تعد عنصرا مهما في بنيان هذا العلم، لكن هذا العنصر وحده كما – ذكرت الدراسة سابقا– يصب جل اهتمامه بالظواهر السطحيَّة الشكلية المُشَكِّلَة للنصوص، بينما البحث عن معنى المعنى في خبايا النصوص والغوص في أعماقه بحاجة ماسة إلى الوقوف على ما هو خارج حدود الأدوات الشكلية، واستكناه المعاني العميقة المستكنة في أي نص، وهذا ما سيبحث في الانسجام الدلالي في هذه الدراسة.

لا بد من الإشارة إلى أن العلاقة بين الاتساق والانسجام هي علاقة شكل ومضمون، وتبعا لهذه العلاقة يستطيع القارئ الولوج إلى أعماق النص والوصول إلى تماسكه الكلي؛ لأنَّ النص إذا كان متناسقا ولم يكن منسجما فإنَّ التماسك يكون غير مكتمل[1]، فهما وجهان لعملة واحدة وكلٌّ منهما مكمل للآخر، فلا قيمة للترابط الشكلي إلا بالترابط الدلالي.

المطلب الأول: السياق وعلاقته بالتماسك النصي:

السياق لغة:

جاء عند ابن منظر السياق بمعنى:" السَّوق: مَعْرُوفٌ ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً... وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ... والمُساوَقة المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا... والسياق المهر... لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل؛ مهرا لأنها كانت الغالب على أموالهم... ويقال: فلان في السياق؛ أي في النزاع"[2].

---

(1) انظر: بحيري، سعيد، **علم لغة النص**، ص ١٤٦.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، باب السين فصل القاف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما جاء في مقاييس اللغة:" السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا. وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَيُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..."[١]، كما جاء السياق عند الزمخشري في أساس البلاغة بهذا المعنى أيضا قائلا:" ساق النعم فانساقت... ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها لمهر، وساقت الريح السحاب... وتساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق إليك الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث"[٢]. فالمتأمل في هذه التعريفات اللغوية يجد أن ثمة خيط جامع تتوافق عليه ألا وهو الترابط والتوالي والامتداد، ومنها استُقي المعنى الاصطلاحي للسياق.

السياق اصطلاحاً:

السياق عند علماء اللغة ضربان: **السياق اللغوي وسياق الحال**، وهما نوعان لا يمكن الفصل بينهما إبان عند إبراز المعنى، وفي ذلك يقول تمام حسان:" وفكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر...، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقال "، ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي، المعجمي لا يعطينا إلا معنى "المقال"، أو المعنى الحرفي كما يسميه النقاد، أو معنى ظاهر النص كما يسميه الأصوليون"[٣]. إن المتأمل لكلام حسان يجد أنه يرى السياق هو النص الظاهر، وهو ما اصطُلح عليه عند علماء اللغة بالسياق اللغوي، والظروف الزمكانية والمقامية المحيطة والمتعلقة بالنص، وهذا ما اصطلح عليه عند علماء اللغة بسياق الحال.

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**،، مادة سوق، ص١١٧.

(٢) الزمخشري، **أساس البلاغة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ط٣، ١/٤٦٨.

(٣) حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، ط٢، ص٣٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السياق اللغوي:

يتقاطع المعنيان اللغوي والاصطلاحي للسياق عند فكرة التوالي، فالسياق اللغوي عند حماسة:" هو السياق المتعلق بترتيب العناصر اللغوية للنص، بتقديم أو تأخير أو حذف أو بزيادة جملة أو كلمة؛ مما يؤثر في الجملة، فيحول مدلول عناصرها في النص اللغوي"[١]، والسياق عند حلمي خليل:" يتمثل في الأصوات والكلمات والجمل، كما تتابع في حدث كلامي معين أو نص لغوي"[٢].

بيَّن استيفن أولمان أهمية السياق بالنسبة للكلمة قائلا:" النظم اللفظي لكلمة وموقعها من ذلك النظام"[٣] موضحاً بعدها أن السياق يشتمل الكلمات والجمل سابقها لاحقها للكلمات بل ويتعداها إلى النص والكتاب برمته، ثم يربط ذلك بسياق الحال، وما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر الخارجة عن النطاق اللغوي المتعلقة بالمقام[٤].

من خلال ما تقدم نجد أن تمام حسان واستيفن أولمان يربطان السياق اللغوي بسياق الحال (وهو العناصر الخارجة عن عناصر التركيب)، فهما بمثابة الروح من الجسد.

سياق الحال:

يرتبط مفهوم السياق، وسياق الحال على وجه التحديد بالنظرية السياقية للمعنى، التي يعود أصلها إلى العالم الإيرلندي مالينوفسكي، ويرجع الفضل في إعادة بلورتها إلى العالم الإنجليزي فيرث، وكلاالعالمين يرى أن تحديد المعنى يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق، وبالتحديد سياق الحال (Context of Situation) هذا المصطلح الذي تم استخدامه من قبل مالينوفسكي لأول مرة،

---

(١) عبداللطيف، محمد حماسة، **النحو والدلالة**، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٣، ص١١٧.

(٢) خليل، حلمى، **الكلمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٦١.

(٣) استيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٢، ص٦٢.

(٤) نفسه، ص ٦٢ وما بعدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عندما فشل في ترجمة بعض النصوص اللغوية أثناء قيامه بإعداد بحوثه بعيدا عن السياق الذي استعملت فيه، فتولد لديه رأي ثابت وقناعة راسخة بأن اللغة لها أكثر من هدف ولا تقتصر على التواصل فقط، وإنما هي عمل ونوع من السلوك[١]، وقد اعترف فيرث بأسبقية مالينوفسكي وبحقه في نتاجه العلمي، وفضله عليه في تطوير النظرية السياقية للمعنى، وقد أشار إلى أن سياق الحال عند مالينوفسكي" قطعة من العملية الاجتماعية التي يمكن دراستها بصورة مستقلة، أو كناية عن حلقة منتظمة من الأحداث؛ أي مجموعة واقعية وقابلة للملاحظة من الأحداث" فكان له رأي آخر في التعامل مع سياق الحال، باعتباره إحدى أدوات اللساني تماماً[٢].

بناء على ما تقدم يمكن للدراسة القول: إنَّ الكلام الذي يدور بين المتخاطبين لم يكن إعتباطيا ألبتة، فثمَّة هدفٌ مرومٌ من خلال هذا الكلام، ألا وهو إبلاغ شيء ما أو الحصول على شيء ما، فعملية التواصل التي تدور في كنفها التراكيب اللغوية المنسوجة لأجل تحقيق هدف معين تقوم على ثلاثة عناصر رئيسة[٣]:

أ- المتكلم: وهو مرسل الرسالة النصية.

ب- المتلقي: وهو المحلل والمفسر لفحوى الرسالة النصية انطلاقا من سياقها الواردة فيه.

ج- الرسالة: وهي الهدف المنشود والذي يسعى إلى تحقيقه كل من المخاطب والمتلقي، محاطة بزمكانية وظروف وأحوال كلا المتخاطبين.

---

(١) انظر: بالمر، **علم الدلالة**، ص٦١. وانظر: السعران، محمود، **علم اللغة**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢، ص٣٣٨.

(٢) بالمر، **علم الدلالة**، ص٦٣.

(٣) انظر: الطلحي، **دلالة السياق**، ط١، مكة المكرمة، منشورات جامعة أم القرى، ١٤٢٤، ص٦٠١ وما بعدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنَّ استكناه العلاقة بين السياق والتماسك النصي يدفعنا بالضرورة إلى البحث عن عناصر لغوية وأخرى غير لغوية، والتركيز على تينك العنصرين يرتكز في " التطلع إلى فهم أدق للاشتراك الفعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعية التي استلزمتها غايات تفسيرية لا محدودة تتجاوز الأطر الظاهرة والنقلة السطحية، وترنو إلى استمرارية التفاعل بين النص ومتلقيه في حركة تحافظ على دينامية النص من جهة، وعلى تعدد القراءة التي تنتج نصوص خلاقة في الربط والتلقي اللغوي والجمالي من جهة أخرى"[١].

فقد أصبح هناك توأمة بين السياق والمعنى، لا سيما إذا ما صاحب النص غموض، فيتحتم على المتلقي اللجوء إلى السياق من أجل محو ضبابية النص واستجلاء ما استُشكِلَ فيه من غموضٍ، فمن الطبيعي أن يقوم السياق بدور مهم في إيضاح المعنى النصي للنص و الكشف عن مدى تماسكه؛ فاللغة تنتج وتتولد عبر الاحتكاك المجتمعي بعضه مع بعض، فهي ذات صبغة اجتماعية، ومن هنا قال العلماء:" اللغة نشاط اجتماعي للإنسان.... كما أن السياق الاجتماعي متمم للمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة، وقد استعمل فيرث العبارة الانجليزية" Context of Situation " للدلالة على دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه..." [٢]. هذا الكلام يقودنا إلى القول بأن المعنى ذا صلة وثيقة بالسياق الذي نُسجت فيه خيوط العلامات اللغوية، وفي هذه الحالة، كان لزاما على المتلقي إمعان النظر في السياق؛ كي يكشف اللثام عن

---

[١] بحيري، سعيد، **علم لغة النص**، ص ١٣.

[٢] ياقوت، محمود سليمان، **فقه اللغة وعلم اللغة**، نصوص ودراسات، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩١م، ص ١٣٦-١٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعنى اللغوي للكلمات ذات الدلالات المختلفة وعليه، يقول الشاطبي: "إذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه"[١].

لعل المتأمل في كلام الشاطبي يفهم التواصل السياقي وعدم بتر السياقات بعضها عن بعض، كما يجب النظر إلى السياق على اعتبار أنه منظومة لغوية كاملة وشاملة؛ كي يستقيم المعنى ويُفهم.

وعليه، فإنَّ النص من الأهمية بمكان بالنسبة لفهم الدلالات اللغوية للألفاظ وإبراز معاني المفردات بشكل دقيق، وإزالة اللبس والغموض، والكشف عن معاني الألفاظ متعددة الدلالات، وهذه المعاني لا يمكن الوصول إلى حقيقتها إلا من خلال السياق الذي أدرجت فيه، ويستحسن الإشارة إلى أنَّ أخذ الألفاظ مبتورة من السياق الذي وردت فيه يؤدي إلى خلل في فهم الخطاب أو بعض منه[٢]، وكما أن تعالق النصوص وربطها مع بعض يسهم في تحقيق التكاملية للسياق، فيصبح مفهوماً للمتلقي، وفي هذا يقول السوسوه" ربط النص المراد فهمه بالنصوص الأخرى ذات العلاقة بموضوع ذلك النص، إذ إن النص يُفصح عن معناه من خلال ربطه بالنصوص الأخرى ذات العلاقة به، ولا يجوز فهم النص أو اللفظ بمعزل عما يسبقه أو يلحقه من الجمل أو النصوص الأخرى ذات العلاقة به"[٣].

وهذا يدل على بيان المعاني وانتظامها في بوتقة التراكيب المنسوجة؛ من أجل بلوغ الهدف الموضوعي في بيان المعنى المروم مع ضرورة انتظامها وربطها مع ما قبلها وما بعدها من

---

(١) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٨٣/٣.

(٢) السوسوه، عبدالمجيد، **السياق وأثره في دلالات الألفاظ**، جامعة الكويت، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع٧٤، ٢٠٠٨، ص ٢٤.

(٣) **السوسوه، السياق وأثره في دلالة الألفاظ**، ص٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجمل والكلمات ذات العلقة الدلالية والمعنوية بها، ليتشكل الفهم المراد لدى المتلقي الـذي يعـد عنصراً رئيساً في العملية التواصلية.

لا بد من الإشارة هنا إلى أنَّ النص يتجاذبه علاقتان، وهاتان العلاقتان يحتوي عليهما متن أي نص قد تكون داخل النص نفسه، وقد تكون خارجه موجودة في متن نص آخر يتشكل مـن تعالقهما المعنى المراد من النص، وفي هذا يقول السوسوه" إنَّ القرائن تنقسم إلى قسمين: متصلة (أي داخلية) ومنفصلية (أي خارجية)" [١]، وعليه يتحتم على المتلقي إمعان النظر إلـى الـنص بوصفه منظومة كليه واحدة لا تتفكك يرتبط فيها السابق باللاحق، وهذا يدل على أن الـسياقات اللغوية تتداخل فيما بينها داخل النص؛ قد يكون السياق الواحد نصا سياقيا داخل سـياق لغـوي أكبر منه، فيؤدي تعالق هذه السياقات إلى تشكيل نص الخطاب العام الذي يندرج تحته ما يرومه الكاتب أو يهدف إلى إيصاله للمتلقي، ومن هنا يمكن لنا القول: إنه لا يمكـن عـزل الـسياقات وفصلها عن بعضها البعض سواء أكانت قريبة أم بعيدة.

ويتحدث محمد سعد عن العلاقة الجامعة بين اللفظ والسياق، والدور اللغوي الذي يتخللـه عملية وضع اللفظ المناسب ذي الدلالة المعجمية المناسبة مع ما يتناسب معـه مـن الـسياقات المختلفة، حيث يقول" إنَّ استعمال الأشكال اللغوية والكلمات والجمل تُفهم من الـسياق، وعلـى اللغوي أن يشرحها في هذا الإطار، وأنَّ علاقة المعنى لا تنبغي أن تُفهم على أنها علاقة ثنائيـة بين اللفظ وما يشير إليه، بل على أنها مجموعة من العلاقات متعددة الأبعاد وهي أساس علاقات وظيفية بين اللفظة في الجملة وسياقات حدوثها"[٢]، ومن هنا فإنَّ السياق يكون" هو الذي تمثلـه

---

[١] **السوسوه، السياق وأثره في دلالة الألفاظ**، ص٢٨.

[٢] سعد، محمد، **في علم الدلالة**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٢، ص٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بنية التراكيب اللغوية بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها"[1]، فالسياق اللغوي يرتكز فهمه على مراعاة النظرة الكلية االنص من خلال ربطه بما قبله وبما بعده، وهذا يكشف ويبين عن الـدور الذي تقوم به اللفظة أو الجملة في بحيث لا تخرج عن السابق واللاحق، وهذا يدفع المتلقي إلـى تتابع المعاني وانتظامها لتصل إلى غايتها المرومة التي جاءت من أجلها، وهـذا لا يتـأتى إلا بالصيغة التوافقية بين العلاقة الداخلية للنص والعلاقة الخارجية المتمثلة بسياق الحال (الزمكانية والمقام)، فالقرينتان الخارجية الداخلية كجناحي طائر في الكشف عن كنه المعنـى المطلـوب، فتكاملهما ويؤدي إلى الكشف عن الدلالة الصحيحة للنص والمعنى المطلوب.

بناء على ما تقدم فإنَّ القرآن الكريم ذو تعابير وتراكيب وألفاظ دقيقة، فألفاظه تم انتقاؤها بدقة متناهية حتى تتناسب وتنسجم مع السياق الذي ولدت فيه، فقد تجد في القرآن آيات متحدة في معانيها، متشابهة في بنائها الصرفي، فقد تجد فواصل كثيرة متشابهة، وأساليب متنوعة، منها ما يشتمل على الزيادة و ومنها ما يشتمل على النقصان، أو التقديم والتأخير، أو الحذف والذكر، أو الجمع والمفرد... إلخ.

ويعد السياق هو السبب الرئيس لهذا التنوع في الأساليب والمفردات والتراكيب؛ إذ ينـتج عنه من الجمل والألفاظ ما يناسب وينسجم مع السياق الـذي أنتجـت فيـه، فالألفـاظ أنتجـت واستخدمت لخدمة الأغراض في السور، وفي ذلك يقول الإمام البقاعي:" إنَّ كل سورة أعيـدت فيها قصة، فالمعنى ادُّعي في تلك السورة، استُدِّلَّ عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ حسب تلك الأغراض، وتغيرت النظـوم بالتقـديم

---

[1] حيدر، فريد، **فصول في علم الدلالة**، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥، ص١٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتأخير، والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت عليه القصة"[1] وهذا مظهر من مظاهر الاعجاز.

- نماذج تطبيقية على أثر السياق في إحداث التماسك النصي:

في قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (نوح: ٤)، وفي سورة الصف: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الصف: ١٢)، (فمن) التبعيضية لم تأتِ في سورة نوح اعتباطا أو من غير قصد منشود، كما هو الحال في سورة الصف لم تحذف اعتباطا، وإنما حذفت لهدف مروم وقصد منشود؛ إذ استخدمت من التعبيضية في سورة الصف للدلالة على أن المغفرة تشمل بعضا من ذنوبكم، وهذا يتوافق وينسجم من السياق الذي ولدت فيه، فالمغفرة قد تشتمل الذنوب كلها أو بضعا منها.

لكن ثمة أمرا دلاليا مهما تجدر الإشارة إليه أنه لم يأتِ في القرآن كله (يغفر لكم ذنوبكم) إلا لأمة محمد ﷺ وقد وردت في سورة الصف، أما (يغفر لكم من ذنوبكم) فعامّة لأمة محمد ﷺ ولغيرهم[2].

تحدث الزيادة الكلامية على السياقات المتماثلة دلالات معينة يطلبها الساق اللغوي، نحو قوله تعالى في سورة الطور: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (الطور: ٢٩) وقال في سورة القلم: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (القلم: ٢)، حيث زاد قوله: (بكاهن) على ما في

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ١٤/١.

(٢) السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٣م، ط٣، ص ١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة القلم، فما سببُ ذاك؟ يقول السامرائي إنَّ هناك أكثر من سببٍ دعا إلى هذه الزيادة تبعا لسياق المقام[1].

١- منها أنه فصّل في سورة الطور في ذِكْرِ أقوال الكفَرة في الرسول ﷺ، فقد ذكروا أنه كاهن، وذكروا أنه مجنون، وذكروا أنه شاعر ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾، وقالوا: إنه كاذب ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. في حين لم يذكر غير قولهم إنه مجنون في سورة القلم ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.

٢- ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ والاستماع مما تدّعيه الكهنةُ لتابعيهم من الجنِّ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

٣- ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ افناسب ذكرُ السحر ذكرَ الكهنة.

٤- ومما حسّن ذلك أيضاً أنه توسّع في القسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم، فقد قال: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾. في حين لم يقسم في سورة القلم إلاَّ بالقلم وما يسطرون. فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة.

٥- ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة، إنه لمجنون ولم يزد على هذا القول فقال: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، فردّ عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال: {مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} فناسب آخر السورة أولها. ثم

---

[1] السامرائي، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ص ١٦٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي (بمجنون) التوكيد باللام في الإثبات (لمجنون) لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات.

من خلال ما تقدم ذكره عن المقارنة بين الزيادة والنقصان في متن الآيات في سورتي الطور والقلم يُلحظ أن كل آية جيء بها على كمال الدقة الذي صنعت من أجله لا زيادة ولا نقصان ولغاية منشودة وُضعت من أجلها.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة نوح: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، في هذه الآية الكريمة يقول ابن عاشور:" افتتاح الكلام بالتوكيد للاهتمام بالخبر إذ ليس المقام لرد إنكار منكر، ولا دفع شك عن متردد في هذا الكلام"[1]، فمن المعلوم في علم البلاغة العربية أن التوكيد يستخدم لمن ينكر شيئا أو يشك في شيء، وفي هذه الآية لا يوجد مقام إنكار ولا شك بل هي من قبيل الاهتمام بالخبر، فالسياق مختلف إذ المراد منه الاهتمام بالقصة وليس ردا للإنكار أو الشك. ويلاحظ أن سياق سورة نوح عليه السلام هو إنذار لقومه من عذاب الله، وهذا يجعلنا ندرك أهمية الابتداء بالتوكيد.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ (الحاقة: ٢٥ – ٢٩)، من الناحية النحوية ثمة قاعدة تشير إلى أن ياء المتكلم جائز فيها الوجهان الفتح والسكون، لكن لماذا جاءت الهاء في نهاية الآيات القرآنية في سورة الحاقة (حسابيه، كتابيه)؟ هذا الكلام يقال في يوم الحشر وهو يوم ثقيل كما أخبرنا سبحانه وتعالى ووصفه بيوم عسير وأنه عبوس

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قمطرير والناس في ذلك اليوم يبقون خمسين ألف سنة في هذه الشدة حتى يفزعون إلى الأنبياء. والهاء أشبه بالتنهيد المتعبين، وهذا تصور للمشهد الذي هم فيه جميعاً من تعب وعناء فاختارها سبحانه لمراعاة الموقف الذي هم فيه فاستخدم حرف الهاء في فواصل هذه السورة يدل على التعب والعناء والألم والهاء مأخوذة من الآه[1]. يتبين من خلال هذه الآيات أن ثمة دقة ومراعاة لسياق الحال في استعمالات القرآن الكريم؛ إذ إنه يستخدم ألفاظا تلائم سياق الحال تلاؤما عميقا من الناحية الدلالية؛ فالمقام المعيش في هذه السورة يناسبه هاء التعب، فيتولد عنه الآه التي تناسب المقام، ولم تأتِ جزافا، وهذا يشير إلى الدور الدلالي الواضح الذي أسهمت به (الهاء) في عملية إحداث التأثير النفسي، فاللفظة القرآنية تحمل في داخلها سمتا موسيقيا يتسق مع جو الآيات القرآنية، وينسجم مع المعنى الذي يريد القرآن إيصاله إلى فؤاد الإنسان، ويزرع فيه التأثير.

تُحدِث هذه الكلمات بإيقاعها الموسيقي تأثيرا حزينا يستكن في النفس البشرية لما للموقف من تأثير وهول وخطر، فالموقف من شأنه العمل على هز كينونة النفس البشرية، وهي تصغي إلى الآهات الحزينة المنبعثة مع النفس شهيقا وزفيرا، فيرتسم بوضوح نصب عينيه ذاك المشهد الحزين الذي يحمل في طياته فجعا وخوفا، وهذا الإيقاع الحزين عمل على إيضاح أثر الموقف على الحس الخارجي للمرء.

أما الآيات التي جاء ترتيب آياتها مناسبا لسياق الحال قوله تعالى من سورة المعارج:

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

---

[1] يُنظر: الراغب، عبد السلام أحمد، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط١، ٢٠٠١، ص ٣٤٥، وينظر: السامرائي، فاضل، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ص٢٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج: ١١ – ٢٢). حيث جاء الترتيب في سورة المعارج مخالفا لما جاء في سورة عبس حيث قال الله تعالى في سورة عبس: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ (عبس: ٣٣–٣٦). فقد كان الترتيب في سورة عبس الأخ فالأم فالأب فالصاحبة ثم الأبناء أخيرا، وفي سورة المعارج جاء الترتيب على عكس ذلك، فقد بدأ بالأبناء، فالصاحبة فالأخ فالفصيلة، ثم انتهى بأهل الأرض.

يقول السامرائي بأن سياق الحال هو صاحب الدور الرئيس والمفصلي في عملية الترتيب المتبع في كلا السورتين حيث قال:" إن المقام في (عبس) مقام الفرار والهرب، قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ المرء} والإنسان يفرّ من الأباعد أولاً، ثم ينتهي بألصقِ الناس به وأقربهم إليه، فيكونون آخر مَن يفر منهم. والأخ أبعد المذكورين في الآية من المرء. وإنَّ ألصقهم به زوجهُ وأبناؤه، فنحن ملتصقون في حياتنا بأزواجنا وأبنائنا أكثر من التصاقنا بإخواننا وآبائنا وأمهاتنا. فقد تمر شهور بل ربما أعوام ونحن لا نرى إخواننا في حين نأوي كل يوم إلى أزواجنا وأبنائنا. والإنسان قد يترك أمه وأباه ليعيش مع زوجه وأبنائه وهو ألصق بأبنائه من زوجه، فقد يفارق زوجه ويسرحها ولكن لا يترك ابنه، فالأبناء آخر مَنْ يَفرُّ منهم المرءُ ويهرب. هكذا رتب المذكورين في الفرار بحسب العلائق، فأقواهم به علاقة هو آخر من يفر منه، فبدأ بالأخ ثم الأم ثم الأب. وقدم الأم على الأب، ذلك أن الأب أقدر على النصر والمعاونة من الأم. وهو أقدر منها على الإعانة في الرأي والمشورة، وأقدر منها على النفع والدفع. فالأم في الغالب ضعيفة تحتاج إلى الإعانة بخلاف الأب. والإنسان هنا في موقف خوف وفرار وهرب، فهو أكثر التصاقاً في مثل هذه الظروف بالأب لحاجته إليه، ولذا قدم الفرار من الأم على الفرار من الأب، وقدم الفرار من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأب على الفرار من الزوجة، لمكانةِ الزوجةِ من قلب الرجل وشدة علاقته بها، فهي حافظة سره وشريكته في حياته، ثم ذكر الفرار من الأبناء في آخر المطاف، ذلك لأنه ألصق بهم وهم مرجوون لنصرته ودفع السوء عنه أكثر من كل المذكورين. هذا هو السياقُ في (عبس) سياقُ الفرار من المعارف وأصحاب العلائق أجمعين لِلْخُلُوِّ إلى النفس، فإنَّ لكل امرىء شأناً يشغله وهمّاً يُغْنيه"[1].

أما السياق في سورة المعارج، فهو مختلف عما في (عبس) فالمشهد مشهد عذاب لا يُطاق، فقد جيء بالمجرم، ليجازى على أعماله ويُقذف به في نار لظى، وهذا المجرم يودُّ النجاةَ بكل السبل ويبدأ بطرح الفدية عن نفسه فيبدأ بابنه، في سبيل النجاة من دركات لظى، فرتبت الآيات المذكورين ترتيباً مختلفاً موافقاً للسياق، فقد بدأ بالأقربِ بمهجة القلب والأكثر علقة بالنفس، فيفتدي به فضلاً عن الآخرين، ثمة ما يمكن الإشارة إليه في عملية الافتداء من العذاب أن المجرم لم يذكر الوالدين كي يفتدي بهما من أجل نجاة نفسه[2]؛ والسبب في هذا على وفق ما تراه الدراسة هو أن الله تعالى جعل رضاه مقرونا برضى الوالدين، وذلك من خلال قول الرسول ﷺ "عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين**"[3]. وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣). وهذا يدل على المكانة العظيمة للوالدين عند الله تعالى، فقد ربط

---

(١) السامرائي، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ص١٩٤.

(٢) **نفسه**، ص١٩٤-١٩٥.

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠، ٦/١٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الله تعالى رضاه برضاهم، فكيف يتجرأ المجرم ويطلب من الله أن يفتدي بوالديه، وهو معلوم لديه المكانة العظمى للوالدين عند الله تبارك وتعالى.

قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ (المرسلات: ٤٦)، تخطاب هذه الآية المشركين وتتوعدهم بالتهديد والعقاب الوخيم الذي ينتظرهم على إجرامهم، فهم سيأكلون ويتمتعون كما يريدون في الدنيا، في نهاية المطاف سيمضي الله سنته في المجرمين الذين سبق أن متعهم الله في الدنيا إلى أن جاء أجلهم فانتقم الله منهم بسبب كفرهم وإجرامهم وتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث[١].

جاءت نهاية الآية مختومة بجملة اسمية تخبر بإجرامهم (إنكم مجرمون) والغرض المنشود من ختم الآية بهذه الخاتمة هو تهديد الله ووعيده لهم؛ فقد بينت أن الإجرام أصبح سجية ثابتة وأنهم مداومون عليه، وأن هذا الإجرام والمداومة عليه جعلهم الله يستحقون العذاب بقوله (ويل يومئذ للمكذبين)، بمعنى أنكم تستحقون هذا العذاب؛ لأنكم مجرمون، وجاءت (إنَّ) للتأكيد على أنهم مجرمون لأنهم أنكروا ذلك[٢].

وتبين من خلال هذه الآية أن الله يستدرج المكذبين، وأن هذا النعيم الذي يتمتعون به مهما طال فمصيره إلى زوال، وقوله إنكم مجرمون جاءت مناسبة لسياق الحال الذي عليه الآية، حيث بينت علة عذابهم وهي إجرامهم، مؤكدة على ذلك لأنهم ينكرون ما تم وصفهم به من صفة الإجرام، ويقول الألوسي في هذه الآية: "وفيه دلالة على أن كل مجرم نهايته عصيبة، وأنه وإن تمتع أياما قليلة فسيبقى بعدها في عذاب وهلاك أبدا"[٣].

---

(١) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٢٤/١٤٤.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/٤٦.

(٣) الألوسي، **روح المعاني**، ٢٢/٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (المعارج: ١٩)، عندما يذكر الخالق خصلة من طبيعة البشر، فلا ينسب الفعل إلى نفسه؛ لأن المقام مقام ذم وسوء وهذا لا يليق بجلال الخالق تبارك وتعالى، أما في مقام المدح والخصال الحسنة فإنه ينسب الفعل إلى نفسه[١]، كما يلاحظ في الآيات السابقة تقدُّم لفظة تتصف بالذم وهي (الشر) على لفظة ممدوحة وهي (الخير)؛ لأن السياق سياق حديث عن العذاب، فناسب ذلك تقديم الشر على الخير.

إن القرآن الكريم يتصف بالخصوصية المتناهية والدقيقة في استعماله للمفردات، فالمفردة القرآنية هي بنية سياقية تحتوي على قيمة ذات دلالة معينة متوافقة مع النسيج القرآني، وعليه، فإن استخدامها في المكان الذي وُضعت فيه يكون في غاية الدقة؛ إذ لا يصلح أن تحل مكانها أي لفظة أخرى، فالألفاظ تتمايز فيما بينها بمعان دقيقة على الرغم من اتفاقها مع مرادفاتها في المعنى العام، وذلك من أجل أن يتحقق التناسق والانسجام بين مدلول اللفظة والآية التي استعملت في سياقها.

فعندما تُتلى الآية القرآنية فإن أول ما يذهب إليه الذهن هو وجود اللفظ ضمن سياق النص القرآني كونه ركنا من أركان التعبير، لذلك كان اختيار اللفظة ضرورة دقيقة من ضرورات السياق النصي، فاستعملت بعض الألفاظ استعمالات خاصة بها تتناسب مع النص السياقي الذي ولدت فيه، فلفظ الريح جاء في القرآن يحمل يحتوي على معان شبه محدودة وهي العقوبة والشر ومن ذلك في سورة الحاقة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦) فالريح في هذه الآية جاءت بمعنى العقوبة.

---

[١] انظر: السامرائي، فاضل، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن خلال استقراء للفظ الريح في القرآن وجدت الدراسة أنها جاءت في كل المواضع بمعنى العقوية والشر ومن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١١٧). فالريح الصرصر هي رياح مميتة شديدة البرودة؛ بحيث إذا أتت على النبات والورق جعلته محترقا[١]، ولم يأتِ استعمال الريح في الخير إلا في آية واحدة وأعقبها النص القرآني بالشر في نفس السياق وذلك في قوله تعالى من سورة يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (يونس: ٢٢)، ويلاحظ مما سبق أن اللفظة يؤتى بها كي تناسب مقتضيات سياق الحال الذي يراعي المقام والظروف الزمان والمكان.

ومن هنا يتبين أن فهم وتفسير النص القرآني يستوجب الرجوع لسياق الحال، كونه يلعب دورا هاما في إيضاح معنى النص وجلاء ضبابيته، وأن من يستغني عن سياق الحال يجعل من فهمه النص أمرا في عاية الصعوبة؛ فسياق الحال يقوم بدور هام ببيان مدى انسجام النص وتواصليته.

ثمة ما يُستحسن الإشارة إليه وهو ثمة التباس اصطلاحي بين مفهومي المقام والسياق، وهذا عائد في مرجعيته إلى ثقافة المجتمع، فاللغة ذات طابع اجتماعي، فقدامى العرب يستعملون مصطلح المقام، في حين استعمل الغربيون وتحديدا المحدثون منهم مصطلح السياق، وهذا ما

---

[١] انظر: الطبري، **جامع البيان في تاويل القرآن**، ٧/١٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أشار إليه الدكتور تمام حسان الذي يرى أن الفيصل في الاختلاف بين المقام والسياق عائد هو معرفة ما تنطوي عليه الثقافة[١].

المطلب الثاني: المناسبة:

المناسبة لغة:

المناسبة لغة مأخوذة من الفعل (نسب) وتعني: اتصال الشيء بالشيء، ومنه (النَّسَب) سمي لاتصاله وللاتصال به، النَّسيب: الطريق المستقيم؛ سمي بذلك لاتصال بعضه من بعض[٢]، ومن معاني المناسبة أيضا المشاكلة والمقاربة، يقال: بين الشيئين مناسبة أي مشاكلة ومقاربة[٣].

المناسبة اصطلاحاً:

تُعدُّ المناسبة وسيلة من وسائل التّماسك النصي الدلالي في القرآن الكريم، وللمناسبة عدة تعريفات اصطلاحية من هذه التعريفات ": ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني"[٤]. أو هي: " العلم الذي تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"[٥]. وقال السيوطي في تعريف المناسبة:" ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو

---

(١) انظر، حسان، تمام، **الأصول**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤١١، ص٣٣٢.

(٢) انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ٥/٤٢٣، وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ١/٨٨٩.

(٣) انظر: الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ٢٠٠٥، ص١٣٧. وانظر: الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ١/٤٨٤.

(٤) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ١/٣٦.

(٥) البقاعي: **نظم الدرر**، ٦/٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه"[١].

أهمية علم المناسبات:

علم المناسبات من أشرف العلوم؛ لأنه يتعلق بكتاب الله عز وجل، وهو علم دقيق يحتاج إلى فهم لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظمه ولبيانه المعجِز، وإلى معايشة جو التنزيل، ومعرفة محور السورة والهدف الأساس الذي تدور حوله؛ لأنه كثيرا ما يأتي إلى ذهن المفسر على شاكلة إشراقات روحية أو فكرية[٢]. ويقول الزركشي:" واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزَرُ به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول"[٣]، ويتابع قوله عن علم المناسبات:" علم المناسبات يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٤].

وعلم المناسبة يهتم بإيجاد الصلة الرابطة بين آيات السورة الواحدة، كما أنه يُعنى بالبحث عن وجه الصلة والعلاقة بين السور أنفسها السابقة واللاحقة. وعليه، فالمناسبة بهذا المعنى تكون أوسع في دائرة بحثها من إدراجها في باب أسباب النزول، أي الأحداث التي أدت إلى نزول آي القرآن الكريم، وتعطي النصّ فرصة في الإفصاح وكشف اللثام عن نفسه بنفسه، عندما تكون العلاقة بائنة جلية على المستوى السطحي للخطاب أو مستكنة في عمقه.

وتبرز أهمية علم المناسبة عندما يواجه المتلقي آية أو عدة آيات لا صلة الصلة فيما بينها على المستوى السطحي للنص، وفي ذلك يقول خطابي: " يتضح أن المفسرين يبحثون عن

---

(١) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ٣/٣٧١.

(٢) القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، ص٩٦.

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ٣٥-١/٣٧.

(٤) **نفسه**، ١/٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المناسبة بين آية وآية حين يبدو للمتلقي أن العلاقة بين السابقة وبين اللاحقة منقطعة مما يستوجب تبرير موقع الآية من سالفتها، ولأجل ذلك يلجأون تارة إلى أسباب النزول وأخرى إلى شرح مطول، على خلاف ما يفعلون حين تكون العلاقة متجلية في سطح الخطاب أو ثاوية في عمقه، على أن المناسبة لا تعني آليا البحث عن العلاقة في المقام، وإنما قد تستعمل ويقصد بها مجرد العلاقة بين آيتين دونما استنجاد بالمقام"[1].

ثمة تساؤل مهم في هذا الجانب بخصوص ترتيب الآيات والسور القرآنية، هل هو من وضع الصحابة القائمين على كتابة المصحف، أم هو توقيف من الله لا علاقة للبشر به؟

تنقسم هذه المسألة إلى قسمين رئيسين: الأول ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة، والثاني تريتب السور نفسها في المصحف الشريف. أما ترتيب الآيات في السورة نفسها فهذا المسألة لا خلاف فيها فهي، إذ إنها رُتبت في عهد النبي ﷺ، في ذلك يقول الزركشي: "ترتيب الآيات توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها"[2]. وهذا يدل على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي من الله تعالى، ولا خلاف في هذا القسم.

أما ترتيب السور في القرآن الكريم كما هو في المصحف العثماني فقد اختلف العلماء فيه، وانقسم العلماء إلى ثلاثة آراء:

أولا: الترتيب لم يكن بتوقيف من النبي ﷺ، إنما كان باجتهاد من الصحابة، بدليل اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور قبل جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان، إذ

---

(1) خطابي: **لسانيات النص**، ص١٩٢.

(2) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ١/٢٥٦. وانظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ١/١٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أثبتت الروايات أن ترتيب السور في مصحف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود والإمام علي بن أبي طالب، لم يكن ترتيبا واحدا[١].

ثانياً: الترتيب جميعه توقيفي، بإرشاد من الرسول ﷺ، إذ يقول أبو بكر الأنباري:" أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبَر، ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآيات والحروف. كله من النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن"[٢]. كما استدل أصحاب هذا الرأي بإجماع الصحابة على مصحف عثمان دون أن يشذ منهم أحد، وعدولهم عن مصاحفهم فأحرقوها[٣].

ثالثاً: ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي ﷺ، وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة. وذلك بوجود أحاديث تنص على أن ترتيب بعض السور توقيفا، وأحاديث خلت من ترتيب الصحابة مما يُستدل عليه بالتوقيف[٤].

تذهب الدراسة إلى أن ترتيب السور في القرآن ترتيب توقيفي من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه من غير المعقول أن يترك الله سبحانه وتعالى كتابه المُعجِز للبشر يرتبون سوره على اختلاف لغاتهم وأجناسهم، إضافة إلى أن الله نظَّم كل شيء في هذا الكون، فمن الأولى أن يكون

---

(١) انظر: الزرقاني:محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ١٩٩٥م، ١/٢٤٩.

(٢) انظر: الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ١/٢٦٠. السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ١/١٧٦. الزرقاني: **مناهل العرفان**، ١/٢٤٩.

(٣) انظر: الزرقاني: **مناهل العرفان**، ٢٥-١/٢٦. الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ١/٢٤٠.

(٤) انظر: **نفسه**، ٢٥١-١/٢٥٢ انظر: **نفسه**، ١/٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآن الكريم في مقدمة الأمور التي نظمها الله، وكيف لا يكون ذلك والله عز وجل قال في كتابه العزيز في سورة القمر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

كما أن نزول القرآن منجما دليل بيِّنٌ لا يساوره شك على أن ترتيب القرآن من عند الله؛ ذلك أن عقلا بشريا مهما يملك ذاكرة قوية في الحفظ والإحكام، لا يستطيع أن يذكر موضع فقرة من كلام سابق، مضى عليها سنون طوال فيضعها في مكانها، بحيث تلتحم مع سابقتها ولاحقتها في اللفظ والمعنى والسياق، ولو أن عقلا أتقن ذلك في حالة واحدة، فلن يستطيع أن يحكمه في حالات كثيرة وفي سور كثيرة[١].

والمناسبة بين آيات السورة تكشف عن التّماسك في القرآن الكريم، لأنَّ المناسبة بين الآيات والسور، تقوم على أساس أن النصّ وحدة كلية بنائية أجزاؤها مترابطة، ويُلقى على عاتق المفسر الكشف عن كنه هذه العلاقات، أو المناسبات التي تعد حلقة ربط بين الآية والآية من جهة، وبين السورة والسورة من جهة أخرى، وكشف هذه العلاقات يعتمد على قدرة المفسر، ونفاذ بصيرته في اقتحام النص[٢]؛ لأنها لا تكون بينة واضحة في كثير من المواضع، فهي تحتاج إلى تمعن، ودقة نظر، وثقافة دينية ولغوية. وهذا ما أكده الزركشي بقوله: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٣].

والمناسبة في القرآن على قسمين هما: **المناسبة اللفظية:** وهي التي يتجلى ويتضح فيها الارتباط بين الآيات، كالدور الذي تقوم فيه أدوات الربط، من كشف للعلاقة بين الطرفين، على

---

(١) انظر: السيوطي: الحافظ جلال الدين، **تناسق الدرر في تناسب السور** تحقيق:عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٩٨٦م، مقدمة المحقق، ص٨.

(٢) انظر: الفقي: **علم اللغة النصي**، ٢/٨٧.

(٣) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ١/٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجه الإتمام، أو التضاد، أو التأكيد، أو التفسير، أو الاعتراض، أو البدل. والقسم الثاني، **المناسبة المعنوية:** وهي التي لا تظهر العلاقة فيها بشكل مباشر بين الطرفين[١].

ويقسم السيوطي هذين القسمين إلى ما يلي[٢]:

الأول: بيان مناسبات ترتيب السورة، وحكمة وضع كل سورة منها.

الثاني: بيان أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه .

الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها.

الرابع: مناسبة مطلع السورة لما سيق الكلام لأجله، وذلك ما يسميه براعة الاستهلال.

الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها، أو مناسبة فواتح السور وخواتمها.

السادس: مناسبات ترتيب آيات القرآن، واعتلاق بعضها ببعض.

السابع: بيان فواصل الآي، ومناسبتها للآي التي ضمت إليها.

الثامن: مناسبة أسماء السورة لمقاصدها.

ويرى السيوطي –إضافة إلى ما ذكر آنفا– ضرورة وجود معنى رابط بين المتناسبين، سواء أكان ظاهرا أم مستكنا، " فذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط؛ لتعلق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه في الأول فواضح...، وإما ألاّ يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وإنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على ما

---

(١) انظر: ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن الواحد، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة– مصر، دار التعاون، ط١، ١٩٦٣م، ص ٣٦٣–٣٦٨.

(٢) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص٦٥–٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا ...، فإن كانت معطوفة فلا بد من دعامة، تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية"[١].

وترى الدراسة أن الربط بين الآيات الذي جاء ذكره عند السيوطي والزركشي، شرطا لتحقيق المناسبة، من شأنه أن يبرز ديمومة النص والاستمرارية بين عناصره، ويحقق للنصّ وحدته المتأتية عبر انسجامه المعنوي واتساقه الشكلي. ذلك أن المناسبة تحتم إيجاد علاقة بين الآيات المتناسبة، وهذه المناسبة قد تكون واضحة، وقد تكون خفية مستكنة تحتاج للبحث من أجل إظهارها، وهذا بدوره يتطلب العودة إلى سياق الآيات المتناسبة.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن المناسبة ليست غاية بحد ذاتها، وإنما هي وسيلة للوصول غاية، وغايتها المرومة" جعل أجزاء الكلام بعضا آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[٢].

- نماذج تطبيقية على المناسبة في جزء تبارك:

المطلب الأول: التّماسك على صعيد السورة الواحدة:

يتضمن التحليل على مستوى السورة الواحدة، التركيز على العناصر المشكلة للسورة، ابتداء من اسم السورة، وانسجامها مع مضمونها، وانسجام السورة مع السورة الأخرى، وانسجام الآيات مع فواصلها، ولكل قسم من هذه الأقسام المكونة للسورة وظيفة، أو مناسبة إما مع موضوع السورة، أو بين أولها وآخرها، أو بين اسمها ومضمونها[٣]. ولذلك سوف تقوم الدراسة

---

(١) السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ٣/٣٢٤.

(٢) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١/٣٦.

(٣) انظر: الفقي:**علم اللغة النصي**، ٢/١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بتفصيل كل عنصر من هذه العناصر عبر التحليل النصّيّ في الصفحات التالية، مع التركيز على أثر ذلك في سبيل تحقيق التّماسك النصي.

وعليه، " ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب يكون في الشيء من خلق، أو صفة تخصّه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق؛ لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيه. وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها..." [١].

- سورة الملك:

هي مكية بالإجماع[٢]، ولهذه السورة أسماء عدة وردت في الأثر عن النبي ﷺ نذكر منها ما له علاقة بالدراسة:

الاسم الأول: "تبارك الذي بيده الملك" لما ورد عن النبي ﷺ:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عَبَّاسٍ الْجُشَمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ"[٣]، ويقول ابن عاشور: "(سورة تبارك الذي بيده الملك) فهذا تسمية للسورة بأول جملة وقعت فيها فتكون تسمية بجملة كما سمي ثابت بن جابر "تأبط شرا"[٤].

---

[١] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ١/٢٧٠.

[٢] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٤/٥٤٩.

[٣] أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢/٥٧.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاسم الثاني: " تبارك الملك":

فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِى الشَّوَارِبِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ النُّكْرِىُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَأَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى ضَرَبْتُ خِبَائِى عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لاَ أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هِىَ الْمَانِعَةُ هِىَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[1].

ويتابع ابن عاشور توضيحه كيف يكون اسم السورة مجموعا من كلمتين دون إضافة أحدهما إلى الآخر بقوله:" فَيَكُونُ اسْمُ السُّورَةِ مَجْمُوعَ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ عَلَى طَرِيقَةِ عَدِّ الْكَلِمَاتِ فِي اللَّفْظِ دُونَ إِضَافَةِ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى مِثْلَ تَسْمِيَةِ (لَامِ أَلِفٍ) . وَنَظِيرُهُ أَسْمَاءُ السُّوَرِ بِالْأَحْرُفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا عَلَى بَعْضِ الْأَقْوَالِ فِي الْمُرَادِ مِنْهَا وَعَلَيْهِ فَيُحْكَى لَفْظُ «تَبَارَكَ» بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَيُحْكَى لَفْظُ «الْمُلْكُ» مَرْفُوعًا كَمَا هُوَ فِي الْآيَةِ، فَيَكُونُ لَفْظُ «سُورَةِ» مُضَافًا مِنْ إِضَافَةِ الْمُسَمَّى إِلَى الِاسْمِ. لِأَنَّ الْمَقْصُودَ تَعْرِيفُ السُّورَةِ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ عَلَى حِكَايَةِ اللَّفْظَيْنِ الْوَاقِعَيْنِ فِي أَوَّلِهَا مَعَ اخْتِصَارِ مَا بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ وَذَلِكَ قصدا للْفرق بَينهَا وَبَيْنَ «تَبَارَكَ الْفُرْقَانِ»، كَمَا قَالُوا: عُبَيْدُ اللَّهِ الرُّقَيَّاتِ، بِإِضَافَةِ مَجْمُوعِ «عُبَيْدِ اللَّهِ» إِلَى «الرُّقَيَّاتِ» تَمْيِيزًا لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْعَامِرِيِّ"[2].

---

(1) الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥، ٥/١٦٤.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاسم الثالث: "الملك":

الشَّائِعُ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ وَفِي أَكْثَرِ الْمَصَاحِفِ تَسْمِيَةُ هَذِهِ السُّورَةِ «سُورَةَ الْمُلْكِ» وَكَذَلِكَ تَرْجَمَهَا التِّرْمِذِيُّ: بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْمُلْكِ. وَكَذَلِكَ عَنْوَنَهَا الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «صَحِيحِهِ»[1] .

المناسبة بين الاسم ومضمون الآية:

سُميت بهذا الاسم لاشتمالها على أحوال ملك الله للكون مطلقا، وكل ما في الكون يندرج تحت تصرفه وقبضة ملكه تبارك وتعالى، فسياق آياتها ينبئ عن الموضوع الأساس في السورة ألا وهو حقيقة ملك الله تعالى وقدرته المطلقة لكل شيء؛ فقد جاء الحديث في الآية الأولى عن هذا الموضوع الرئيس، ومناسب لاسم السورة؛ أي منسجم معه، ثم توالت الآيات في السورة لتُبين وتثبت هذا الموضوع وحقيقته، وهذا الموضوع يتجزأ منه بقية محاور ومقاصد السورة، فقد جاءت المحاور الفرعية في السورة لبيان وإثبات قدرة الله تعالى وحقيقة ملكه وقدرته المطلقة. وهكذا يتبين المتلقي أن ثمة مناسبة بين اسم السورة (الملك)، ومضمونها الذي يتكون من ثلاثين آية، إذ تبرهن كل آياتها لإثبات هذه الحقيقة المطلقة، وترى الدراسة أن ثمة مناسبة بين اسم السورة والآية الأولى منها؛ فقد ورد اسم السورة في الآية الأولى من السورة، وهذا بشكل العام وارد في الجزء كله حيث يرد اسم السور في الآية الأولى من كل سورة.

- سورة الحاقة:

هذه السورة مكية، نزلت في السنة الخامسة للهجرة، وهي من حيث ترتيب النزول السابعة والسبعون؛ حيث نزلت بعد سورة تبارك وقبل سورة المعارج، عدد آياتها اثنتان وخمسون, سورة الحاقة من السور المكية، شأنها شأن سائر السور المكية في تثبيت العقيدة والإيمان، ولكن

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحور الذي تدور عليه السورة هو إثبات صدق القرآن، وأنه كلام الحكيم العليم، وبراءة الرسول ﷺ، مما اتهمه به أهل الضلال من الافتراء على الله[1].

تسمية السورة:

عرفت هذه السورة في كتب التفسير (بالحاقة)، جاء في الحديث عن عمر –رضي الله عنه– أنه قال:" خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسْلِمَ فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ (التكوير: ١٩) وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون قال: فقلت: كاهن فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الحاقة: ٤٢ – ٤٣) –إلى آخر السورة– فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[2].

سميت سورة الحاقة لافتتاح السورة بالاستفهام عن ماهية الحاقة، وهذا يدخل في باب التهويل والتعظيم لهول ذلك اليوم، والحاقة اسم من أسماء عدة سميت بها يوم القيامة لأن فيها يتحقق وعد الله للناس، ولهذا السبب جاء التعظيم من الله من خلال السؤال عنها، فهي الساعة التي لا مفر منها يقينية الحدوث، ثابتة القدوم لا محالة، فهي آتية لا شك في ذلك.

المناسبة بين اسم السورة ومضمون السورة:

جاء في هذه السورة على تهويل يوم الحساب، وتهديد المشككين بوقوع هذا اليوم، وضرب لهم مثلا الأمم التي أنكرته جاحدة وقوع هذا اليوم بما حل بها من عذاب في الدنيا والآخرة، وتهديد الكافرين الذين كذَّبوا رسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت، وفي خضم ذلك كيف

---

(١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ٤/٦٠٢.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ**، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٩٨٧، ٣/١١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن الله سلَّم المؤمنين الذين آمنوا به من العذاب، وفي ذلك تذكير بنعمة الله على البشر. كما وصفت أهوال من الجزاء وتفاوت الناس يومئذ فيه، ووصف فظاعة حال العقاب على من كفر ونبذ شريعة الإسلام، كما جاء في مضمون السورة التنويه بالقرآن، وتنزيه الرسول ﷺ وعن أن يكون غير رسول، وإنذار المشركين بتحقيق الوعيد الذي في القرآن[1].

كما جاءت من أجل إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وبالكشف التام بشمول العلم للكليات والجزئيات، وكمال القدرة على العلويات والسفليات، وإظهار العدل بين سائر المخلوقات، فيميز المسلم من المجرم بالمُلَذِّذ والمؤلم، وتسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك، وهو أدل ما فيها عليه[2].

حيث افتتحت السورة بالحاقة، والحاقة تعني يوم القيامة ومضمون السورة وبدايتها موضحان أيما توضيح لدلالة اسم السورة (الحاقة)، فاسم السورة يدل عليها، ومرجعية الآيات في السورة مرجعية سابقة تعود إلى الآية الأولى عودة مباشرة في كثير من الأحيان وفي بعض الأحيان تكون عودة بعض الأيات غير مباشرة.

- سورة الجن:

هذه السورة مكية، نزلت في السنة العشرة من البعثة، نزلت عندما ذهب الرسول ﷺ إلى الطائف يطلب منهم النصرة من ثقيف، متفق على أن آياتها ثمانٍ وعشرون آية[3].

---

(1) انظر: البقاعي، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ**، ٣/١١٦.

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ** ٣/١١٦.

(3) انظر: الحنبلي، سراج الدين عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٩٩٨، ١٩/٤٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تسمية السورة:

عرفت هذه السورة في المصاحف وفي كتب التفسير باسم سورة (الجن)، ذكرها البخاري بسورة (قل أوحي إلي) [1].

المناسبة بين اسم السورة ومضمون السورة:

سمّيت السورة سورة الجن، لأنّها تحدّثت عنهم، وبدأت بذكرهم، فقالت: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، تعالج سورة الجن أصول العقيدة الإسلامية (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء)، ومحور السورة يدور حول الجن وبه ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن:١)، فالهدف الرئيس الذي جاءت هذه السورة لمعالجته تصحيح الأوهام عن عالم الجن في نفوس كفار مكة والناس أجمعين، وتوضيح حقيقة هذا الخلق المغيب بلا غلو ولا تعسف، وتحرير القلوب من خوفها، وخضوعها لسلطان الجن الموهوم[2]، وجاءت بقية الآيات في السورة خدمة للهدف الرئيس، وذلك بإثبات أن دعوة النبي بلغت عالم الجن، وإفهامهم بعض الآيات التي استمعوا إليها من النبي، والتعجب الذي أصاب الجن من الإصابة برجوم الشهب التي تمنع من استراق السمع، كما جاء في الآيات ما يثبت أن لله خلقا يسمون الجن إلى آخره من محاور السورة الرئيسة التي تدل على أن جل الآيات تتحدث حول الجن وما لهم من صفات فناسب ذلك اسم السورة، كما أن أول آية في السورة كان فيها تكرار لاسم السورة، وهذا يُعد مرجعية سابقة في النص، ومن شأنه أن يحقق التماسك في النص.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢، ٦/١٦٠.

(٢) الشاربي، سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن**، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢، ٦/٣٧٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- سورة القيامة:

نزلت هذه السورة بمكة، حيث نزلت بعد سورة القارعة، وقبل نزول سورة الهمزة، وتعد السورة الحادية والثلاثين في ترتيب نزول سور القرآن، عدد آياتها أربعون آية الشاربي[١].

تسمية السورة:

اشتهرت هذه السورة في المصحف، وفي كتب التفاسير باسم سورة (القيامة)، ولم يرد لها اسم آخر، وسميت بذلك لورود القسم بيوم القيامة في مطلع السورة[٢].

المناسبة بين اسم السورة ومضمون السورة:

ابتدأت السورة بالقسم بيوم القيامة، وجاء بعد هذا القسم الكشف عن أهوال القيامة، وتأكيد البعث بعد الموت وما يحدث للبصر من بزوغ وللقمر من خسوف وعملية جمع للشمس والقمر يوم القيامة، ويتساءل الإنسان فزعا قائلا أين المفر؟ وفي ذلك اليوم سينال كل إنسان جزاء عمله. وبيّنت السورة آداب سماع الوحي، والوعد باللقاء والرؤية وبيّنت هول الاحتضار، وقدرة الله تعالى على البدء والإعادة، وبعث الموتى وحسابهم وجزائهم[٣]، في قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: ٤٠). وبهذا يكون سياقها في الإنذار والترهيب والترغيب.

وقوله تعالى: "**لا أُقْسِمُ** " ليس بقسم مباشر؛ بل هو تلويح بالقسم وعدول عنه، لعدم الحاجة إليه. وأن "لا" جيء بها قبل الفعل " أُقْسِمُ "، لنفي الحاجة إلى القسم، ولم يؤتَ بها لغرض آخر. وهذا هو سرُّ البيان فيها. وأما تكرارها مع الفعل" أُقْسِمُ "ففيه سرٌّ آخرُ من أسرار البيان، وبيان

---

(١) انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ٤/٦٥٩.

(٢) انظر: الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ١/٤٩١.

(٣) انظر: شرف الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنية وخصائص السور**، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط١، ١٤٢٠، ١٠/٢٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلك أنه لو قيل :لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ *وَبِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ "، احتمل ذلك معنيين: **الأول:** نفي الحاجة إلى القسم بهما مجتمعين، **والثاني:** نفي الحاجة إلى القسم بأحدهما، دون الآخر[١].

لم تأتِ كلمة (أقسم) في القرآن منفردة وحدها غير مسبوقة ب(لا)، وإنما كان مجيء الفعل في القرآن دائما مسبوقا بـــ(لا) والمقصود من التركيب (لا أقسم) هو أقسم ولا هنا جاءت مـــن أجل التأكيد. فقد يكون الشيء من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج لقسم وهذا تعظيم للشيء نفسه. وقد تعني (لا أقسم) أحياناً أكثر من القسم (زيادة في القسم)[٢].

وأما قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ١ – ٢)، فيـــدل على عدم الحاجة إلى أن يقسم الله بهما بيوم القيامة والنفس مجتمعتين. ويُـــستفاد مـــن هـــذا أن التكرار هنا جاء عن قصد، ومما يجعل المتلقي يستقي هذا الاستنتاج أن سورة القيامة تقوم مـــن بدايتها إلى نهايتها على ذكر إيقاعين: إيقاع يوم القيامة والنفس اللوَّامة؛ ولعل هـــذا فيـــه دلالـــة واضحة أن موضوع السورة محصور بين ذينك الإيقاعين.

ويعد الفقي تكرار اسم السورة في متن السورة من وسائل تماسكها؛ وتوافق الدراسة مـــا ذهب إليه الفقي؛ لأن التكرار عبارة عن إحالة لاحقة على عنصر سابق، والإحالة من الأمـــور المساهمة في تحقيق التماسك: "وإذا كان تكرار لفظ بين جملتين يحقق التّماسك فيما بينهما، فـــإن تكرار اسم السورة في السورة نفسها، يؤدي إلى التّماسك بين السورة واسمها، وقد يكون ذكـــر اسمها في أولها أو في طياتها، أو في آخرها، المهم أن هذا الذكر لاسم السورة في ضـــوء علـــم اللغة النصّيّ يمثل مرجعية سابقة، والمرجعية من الأمور المحققة للتماسك النصي"[٣].

---

(١) انظر: السامرائي، فاضل، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ٢٠١-٢٠٦.

(٢) انظر: ابن عاشور **التحرير والتنوير**، ٢٩/٣٣٨.

(٣) الفقي، **علم اللغة النصي**، ٢/١٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعليه، فالسور في جزء تبارك متسقة منسجمة، فيها دلالة الاستمرارية في آياتها والالتحام في معانيها متسقة في مبانيها إلى آخر السورة. وذلك من خلال أربعة محاور ألا وهي:

المحور الأول: انسجام السورة داخليا مع بعضها بعضا.

المحور الثاني: الانسجام المتحقق للسورة مع مضمونها وأفكارها الكلية والجزئية.

المحور الثالث: انسجام السورة مع أول آية في السورة، وذلك بإعادة الاسم في الآية الأولى في الغالب.

المحور الرابع: انسجام من خلال تتابع الآيات المباشر والتدفق الدلالي المستمر بين الآية الأولى وبقية الآيات أو التتابع غير المباشر، وذلك بالعودة إلى ما هو خراج النص.

المطلب الثاني: علاقة السور ببعضها السابق واللاحق في جزء تبارك:

علاقة سورة الملك بسور (البقرة، التحريم، الطلاق):

ثمة علاقة تآخي وانسجام دلالي بين سورة الملك وسورة التحريم, وهذه العلاقة تتمظهر من خلال ما يلي:

كانت الآيات التي ختمت بها سورة « التحريم » السابقة على هذه السورة، معرضا للصراع بين الخير والشر، والحرب بين الإيمان، والكفر, فيما كان من امرأة نوح وامرأة لوط، وخروجهما من المعركة خاسرتين كافرتين .. ثم ما كان من امرأة فرعون، وصراعها مع قوى الشر المحدقة بها من كل جهة، ثم انتصارها، وخروجها من وسط هذا الظلام المطبق، إلى حيث النور والهدى، ثم كان مما بدأت به سورة «الملك» قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)، ليقرر أن نتيجة هذا الصراع بين المحقّين والمبطلين، والمحسنين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمسيئين -إنما تظهر على حقيقتها كاملة يوم القيامة، ولهذا كان مما قضت بـه حكمـة اللّـه سبحانه وتعالى أن يكون موت، ثم تكون حياة بعد هذا الموت[1]. كي يتم محاسبة النـاس علـى أعمالهم في الدنيا من الخير أو الشر. فمن المناسبة بين السورتين التقاء هذه الحقيقة التي لا مفر منها والتي قررتها سورة " الملك " مع تيك الحقيقة التي انتهت بها سورة "التحـريم ".. وهكـذا يتأكد المعنى المراد من كلا السورتين معا.

قال الألوسي: "ووجه مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ضرب مثلا للكفار بتينك المـرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيين عظيمين ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتـوم لهما بالسعادة وأن أكثر قومهما كفار، افتتح هذه بما يدل على إحاطته عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه[2].

ويقول صاحب تفسير الأساس: أن ثمة علاقة بين سورة الملك و سورة البقرة، وذللك من خلال قوله تعالى في وسرة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٨ - ٢٩)، وذلك واضح من أدنى تأمل للسورة، تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ (الملك: ١-٣)، وواضح صلة هذا المعنى بما ذكر

---

[1] الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ١٥/١٠٤٣.

[2] الألوسي، **روح المعاني**، ١٥/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في سورة البقرة بالآيتين السابقتين، ونجد في سورة الملك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥)، وصلة ذلك بقوله من سورة البقرة لا تخفى على القارئ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة: ٢٩)، وفي سورة الملك نجد قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الملك: ٢٣-٢٤)، وصلة هذه الآيات بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨)[١]، فجاءت سورة الملك شرحا مفصلا لهاتين الآيتين الواردتين في سورة البقرة، وهذا يدل على الصلة الوثيقة واللحمة الدلالية بين السورتين؛ من خلال ما مر بنا في علم اللغة النصي يمكن للدراسة أن تقول: أن المرجعية السابقة بين السورتين جلية، وذلك من خلال النظر في دلالة الآيات في كلا السورتين، وهذه الدلالة تدخل في باب الإجمال والتفصيل فالآيتان في سورة البقرة جاءت مجملة وفُصلتا تفصيلا في سورة الملك.

علاقة سورة الحاقة بسورتي القلم والبقرة:

تتعالق السورة بما قبلها من خلال ما يأتي:

١- وقع في سورة (ن) ذكر يوم القيامة مجملا، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (القلم: ٤٢) وفي هذه السورة أوضح تعالى نبأ هذا اليوم وشأنه العظيم: الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ، وَما أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ.

---

[١] انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، قسم المفصل، ص ٦٠٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- هدد اللّه تعالى في السورة السابقة كل من كذب بالقرآن وتوعده بقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: ٤٤) وفي هذه السورة ذكر أحوال الأمم التي كذبت الرسل وما عوقبوا به، للعظة والزجر والعبرة للمعاصرين[١].

وثمة مناسبة تفصيل بين سورة الحاقة وسورة البقرة، وذلك من خلال ما جاء من حديث في سورة البقرة عن يوم القيامة بقوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤)، وجاء تفصيل هذا اليوم في سورة الحاقة، ثم إن سورة الحاقة بدأت بالحديث عن مصير المؤمنين والكافرين، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بما جاء في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١ – ٥)، ثم نجد بعدها مباشرة في السياق وصفا للكفار وهو يمثل مقومات الكفر على الإطلاق.«**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَعَلَى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ، وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ**»، ثم إن سورة الحاقة تحدثت عن وصف القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحاقة: ٤٠- ٤٣)، وجاءت بداية سورة البقرة تنزيها للقرآن الكريم بقوله:" «**ألم ذلكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ...**" مجموع هذه الآيات يؤكد أن ثمة صلة وثيقة بين سورتي البقرة والحاقة[٢].

---

[١] انظر: شرف الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنية وخصائص السور**، ١٠/١٢٧.

[٢] انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، قسم المفصل، ص٦١٠٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

علاقة سورة الجن بسورة نوح:

يقول السيوطي عن علاقة سورة الجن بما قبلها وما بعدها من السور: "قد فكرت مدة في وجه اتصالها بما قبلها، فلم يظهر لي سوى أنه [سبحانه] ١ قال في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (نوح: ١٠-١١)، وقال في هذه السورة [لكفار مكة] ٢: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦)، وهذا وجه بيِّن في الارتباط"[١].

ومن المناسبة بين السورتين: أنه تعالى ذكر في نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح: ٢١)، ومضى في بيان كفرهم وضلالهم، إلى أن دعا عليهم نوح، ثم بيَّن أول الجن: أنهم كالإنس في الإيمان والكفر، وأن لكفار الجن اتصالًا بكفار الإنس، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: ٦)، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ (الجن: ١١)، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ (الجن: ١٤) الآية، فكانت هذه السورة لبيان الصلة بين الجن والإنس، وبيان المقارنة بينهما[٢].

وقال أبو حيان إنَّ الله تعالى لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر والعكوف على عبادة الأصنام، وكان أول رسول إلى أهل الأرض كما أن محمدا ﷺ آخر رسول إلى أهل الأرض والعرب الذين هو منهم ﷺ كانوا عباد أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناما مثل أصنام

---

(١) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص ١٢٩.

(٢) انظر: السيوطي، جلال الدين، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د.ت)، (د.ط)، ص ١٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولئك في الأسماء أو عينها وكان ما جاء به –عليه الصلاة والسلام– هاديا إلى الرشد، وقد سمعته العرب وتوقف عن الإيمان به أكثرهم أنزل اللّه تعالى سورة الجن وجعلها إثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان وكانت الجن خيرا منهم إذ أقبل للإيمان من أقبل منهم وهم من غير جنس الرسول –عليه الصلاة والسلام– حتى كادوا يكونون عليه لبدا ومع ذلك التباطي فهم مكذبون له ولما جاء به حسدا وبغيا أن ينزل اللّه من فضله على من يشاء من عباده[1].

علاقة سورة القيامة بسورة المدثر:

يقول السيوطي في العلاقة بين السورتين:" لما قال سبحانه في آخر المدثر: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ (المدثر: ٥٣) بعد ذكر الجنة والنار، وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث، ذكر في هذه السورة الدليل على البعث، ووصف يوم القيامة، وأهواله، وأحواله[2].

وفي ضوء التحليل النصّيّ في علم لسانيات النص، نقول إن المرجعية السابقة بين النصين جلية واضحة، وهي معتمدة على ثنائية الشكل والدلالة، وعلى ما جاء مجملا في موضع ومفصلا في موضع آخر؛ فقد أجمل الحديث عن يوم الآخرة في المدثر، وشُرح وفصّل في سورة القيامة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تكاملية القرآن الكريم وأن القرآن يفسر ذاته بذاته، وهذا يدخل تحت المظلة الواسعة للانسجام الدلالي، فالسور القرآنية بشكل عام متتمة لبعضها البعض؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة يكشف عن حقائقه من خلال آياته نفسها.

---

(١) انظر: الألوسي، **روح المعاني**، ١٥/٩١.

(٢) السيوطي، جلال الدين، **أسرار ترتيب القرآن**، ص ١٤٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الثالث: نماذج من مناسبة الآيات في السورة الواحدة في جزء تبارك:

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (الملك: ١٦)، ثمة مناسبة بين هذه الآية والآية التي قبلها، إذ إن الآية التي سبقتها تنطوي على دعوة موجهة من الله سبحانه وتعالى إلى جميع الناس، أن يأخذوا أماكنهم من الأرض، وأن يُعملوا قواهم كلها فيما أودع الله لهم فيها من خير، ليقطفوا من ثمارها، ويأكلوا من طيباتها.. وذلك فى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)[1]، وهذه الأرض التي سخرها الله تعالى للناس كي يسعوا ويسيروا فيها من ذا الذي يمسك هذه الأرض إن أرادت أن تميد بهم؟ ومن ذا الذي يصون هذا الوجود ويضمن استمراريتهم عليه ؟ فيا أيها الفطن العاقل أليس كل هذا يحتاج إلى ما هو خارج إدراك عقولنا التي لا يمكنها استيعاب هذا الاتقان والتقدير الدقيق من الحكيم الخبير العليم؟ فيتولد سؤالا فما بال هؤلاء الذين يشركون بالله ولا يؤمنون به على الرغم من وجود ما يدل على الاتقان المحكم، وقدأتاهم رسول كريم من أنفسهم يدعوهم إلى الإيمان بالله، ويدعوهم إلى الإيمان بهذا الكتاب الحكيم، فآياته تنطق قاهرة متحدّية؟ أأمنوا أن يخسف الله بهم الأرض، فإذا هى تمور.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: ١١)، مناسبة هذه الآية لما قبلها، هى أن الآيات السابقة ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ

---

[1] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ١٥/١٠٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رَّابِيَةً﴾ (الحاقة: ٥ – ١٠)، ذكرت مصارع القوم الظالمين، وقطع دابرهم جميعا، بحيث لم يترك الخراب من دار ولا ديار، ومع هذا، فإن هؤلاء المشركين من قريش، ما زالوا أحياء، يعيشون فى الناس، لم يأخذهم الله سبحانه بما أخذ به الضالين من قبل، وهؤلاء المشركون هم بقية من ذرية القوم الذين نجوا من الهلاك، وهم الذين آمنوا بالله، من بين المكذبين والضالين، وإنه لجدير بهؤلاء المشركين أن يأخذوا طريق النجاة من عذاب الله، كما أخذه آباؤهم الأولون من المؤمنين الذين نجوا من عذاب الله[1]، وهذا يدل على أن القرآن بكليته سورا وآيات ومفردات مترابط متناسق ومنسجم مع بعضه بعضا، يشكل وحدة مترابطة الأجزاء ومنظمة المتن، فالآيات في السورة الواحدة توضح وتفسر ما كان موجزا في الآية أو الآيات التي جاءت قبلها، أو تأتي مكمِّلة لما سبقها من فتكون متتمة لها.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٦–١٧) ثمة من يقول أن هذه الآيات جاءت معترضة في سياق السورة، وترى الدراسة أن القرآن محكم في بنائه وترتيبه، وتوزيع الآيات –وكما ذكرت الدراسة آنفا– هو توقيفي، وعليه، فكل الآيات جاءت في محلها، ولا يصلح أن يأتي غيرها في محلها ولكن ما مناسبة هذه الآية في سورة القيامة، مع غيرها من آيات السورة، لا بد أن يكون ثمة مناسبة تجعل من هذه الآيات تنسجم مع غيرها من آيات السورة ونذكر ما يلي:

إن الانسجام الدلالي هذه الآية مقارنة مع الموضوع الكلي للسورة بيِّن وواضح؛ فسورة القيامة تتحدث عن إنكار الكفار والمشركين لقدرة الله تعالى، وهي عملية البعث للإنسان وإحيائه مرة أخرى بعد موته، كما هو في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن

---

[1] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ١٥/١١٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة: ٣ – ٤)، وانكار قدرة الله عز وجل على تسوية البنان بعد اضمحلاله، وقدرته جل في علاه على جمع مخلوقاته مثل الشمس والقمر، وهذه الآيات جاءت منسجمة مع سياق الموضوع الكلي أو ما يسمى موضوع الخطاب للسورة؛ فالسورة تتحدث عن قدرة الله تعالى في ما تستوعبه عقولهم المادية التي لا تؤمن بغير الملموس والمحسوس، وعملية الربط الذهني تتم عن طريق الاستنتاج بحيث أن الذي يحي الموتى ويجمع الشمس والقمر قادر على أن يحفظ القرآن في صدر يا محمد ﷺ إبان نزوله في الغار، وهو النبي الأمي لا يعرف القراءة والكتابة، فقد كان ينزل عليه ﷺ آية أو مجموعة من الآيات أو سورة كاملة بكل ما تحتويه من أخبار وأحكام شرعية، وما أن يرحل جبريل عن الغار حتى تكون الآيات مستقرة في فؤاد النبي عليه السلام وهذا يدل على القدرة الإلهية؛ بمعنى أن لسان حال الآيات يخاطب فؤاد النبي عليه السلام أن الذي يحيي الموتى قادر على حفظ القرآن فلا تتعجل ولا تكثر من ترديده، وهذا ما تراه الدراسة من مناسبة قوي الصلة مع ما سبقها من الآيات في هذه السورة، بل هي منتمية إلى مستوى الخطاب الكلي في السياق. كما أن قارئ السورة لايساوره أي شعور أن السورة قد خرجت عن سياق الخطاب، ولو كان هذا الخطاب من البشر أدركه المتلقي لأول وهله.

المطلب الرابع: مناسبة الفاصلة القرآنية للآية:

عرف الزركشي الفاصلة بأنها:" هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع"[١]، وعرفها فضل عباس أيضا بقوله:" اللفظ الذي ختمت به الآية"[٢]. وسنطبق على نماذج من الفواصل القرآنية للآيات في جزء تبارك:

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرن**، ١/٣٣٩.

[٢] عباس، فضل، وعباس، سناء، **إعجاز القرآن الكريم**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ط٧، ٢٠٠٩، ص ٢٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ (القلم: ١٧-٣٢) تتحدث الآيات قصة أصحاب الجنة الذين ابتلاهم فتابوا إليه ورجعوا إلى طاعته فقال {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ١ إِذْ أَقْسَمُوا} -حلفوا- **{لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ٢}** أي ليقطعن ثمارها ويجدونه في الصباح الباكر قبل أن يعلم المساكين حتى لا يعطوهم شيئا. ولا يستثنون أي لم يستثنوا في حلفهم لم يقولوا إلا أن يشاء الله. {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ} نار أحرقتها **{فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}** أي الليل المظلم الأسود الشديد السواد. **{فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ}** أي نادى بعضهم بعضا وهم إخوة في أول الصباح قائلين {اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ} إن كنتم فعلا جادين في الصرام هذا الصباح. **{فَانْطَلَقُوا}** مسرعين **{وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ}** يتشاورون في صوت خافت حتى لا يفطن لهم فقراء البلد ومساكينها وأجمعوا على **{أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ}** كما كانوا يدخلونها ويأخذون منها أيام حياة أبيهم, قال تعالى {وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ} أي وانطلقوا صباحا على حرد أي؛ قصد تام قادرين على أن لا يدخلنها اليوم عليهم مسكين بل يجدونها ويحملونها إلى مخازنهم ولا يشعر بهم أحد من الفقراء والمساكين. قال تعالى **{فَلَمَّا رَأَوْهَا}** محترقة سوداء مظلمة **{قَالُوا}** ما هذه جنتنا **{إِنَّا لَضَالُّونَ}** عنها بأن أخطأنا الطريق إليها، ولما علموا أنها هي ولكن احترقت ليلا اضربوا عن قولهم الأول وقالوا **{بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}** أي منها لعزمنا على منع المساكين منها وقد كان والدنا يمنحهم منها ويعطيهم شكرا لله وأداء لحقه. وهنا تكلم أوسطهم أي خيرهم تقوى وأرجحهم عقلا

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بما أخبر تعالى عنه في قوله **{قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ}** أي ألم يسبق لي أن قلت لكم لما قلتم لنصرمنها مصبحين ولم يستثنوا فقلت لكم هلا يستثنون وأطلق لفظ التسبيح على الاستثناء لأن التسبيح تنزيه لله عن الشرك وسائر النقائص ومنها العجز والاستثناء تنزيه لله عن ذلك لأن الذي يقول أفعل ولم يستثن أعطى لنفسه قدرة كقدرة الله الذي إذا قال أفعل فعل ولا يعجز فهو هنا أشرك نفسه في صفة من صفات الله تعالى فلذا كان الاستثناء تسبيحا لله وتنزيها له عن المشارك في صفاته وأفعاله. فلما ذكرهم أخوهم العاقل الرشيد قالوا **{سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}** فنابوا بهذا الاعتراف قال تعالى **{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ}** أي يلوم بعضهم بعضا على خطئهم في عزمهم على حرمان المساكين وعلى عدم الاستثناء في اليمين قالوا من جملة ما قالوا {قَالُوا يَا وَيْلَنَا} أي يا هلاكنا **{إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ}** أي متجاوزين حدود الله التي حد لنا غفلة منا وجهلا بأنفسنا وبما يعاقب به أمثالنا. وهنا بعد أن رجعوا على أنفسهم باللوم وإلى الله بالتوبة رجوا ربهم ولم ييأسوا من رحمته فقالوا ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢ ﴾ (القلم: ٣٢)[١].

جملة **(إنا إلى ربّنا راغبون)** بدل من جملة الرجاء، فهي رجاء يشتمل على رغبة إليه بالقبول والاستجابة، والتأكيد في { **إنا إلى ربّنا راغبون** } من أجل الاهتمام بهذا التوجه، ومثله (رغب إلى) فيفيد الحرص على الشيء أيضا، وقدم الحرف "إلى" على الفعل للدلالة على الاختصاص، فلا يكون الانصراف بالكلية إلا إليه لا إلى غيره، من ذلك قوله تعالى: "**إنا إلى ربنا راغبون**"[٢].

---

[١] انظر: الجزائري، جابر بن موسى، **أيسر التفاسير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ٢٠٠٣، ٥/٤١٢.

[٢] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مناسبة الفاصلة للآيات: عندما دعوا الإخوة الثلاثة ربهم أن يخلفهم خيرا من جنتهم بسبب ما حل بهم من عقاب بحرق بستانهم، وجاء هذا العذاب عقوبة من الله بسبب إعراضهم عن ذكر الله وعن دفعهم للزكاة، فانسجم هذا التذلل والخضوع بالكلية إلى الله من خلال مقولتهم إنا إلى ربنا راغبون ففي قولهم الاعتراف بما صدر منهم، ختام الآية يوضح اعترافهم بذنوبهم وما بدر منهم من تقصير بحق الله، وعقدوا النية ألا يعودوا إلى ما كانوا عليه، فالفاصلة القرآنية التي انتهت فيها الآية تتساوق دلاليا ومقاميا مع الآية ؛ إذ فيها قمة التذلل والخضوع والاعتراف بما بدر منهم من تقصير بحق الله عز وجل وهذه الفاصلة ناسبت سياق الآيات وانسجمت معه، ويقول البقاعي في هذه الآية:" ولما دل هذا الدعاء على إقبالهم على الله وحده صرحوا وأكدوا لأن حالهم الأول كان حال من ينكر منه مثل ذلك فقالوا معللين: (إنا) ولما كان المقام للتوبة والرجوع عن الحوبة، عبروا بأداة الانتهاء إشارة إلى بعدهم عن الحضرات الربانية تأدباً منهم فقالوا: (إلى ربنا) أي المحسن إلينا والمربي لنا بالإيجاد ثم الإبقاء خاصة لا إلى غيره سبحانه (راغبون) أي ثابتة رغبتنا ورجاؤنا الخير والإكرام بعد العفو، وقد قيل إن الله تعالى جلت قدرته قبل رجوعهم وأخلف عليهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان بحيث كان القطف الواحد منها يحمله وحده من كبره البغل"[1].

ومنه قوله تعالى من سورة المدثر: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ (المدثر: ١١ – ١٦). التفسير الإجمالي لهذه الآيات ينطوي تحته الهم الذي يعتصر النبي ﷺ مما كان يختلقه الوليد بن المغيرة على القرآن، فأنزل الله هذه الآيات تهديدا للوليد بن المغيرة وتسلية للنبي ﷺ

---

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ٨/١٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عما كان يعانيه من هم، وقد كان الوليد بن المغيرة يمتلك مزايا لم يمتلكها غيره من مشركي قريش حتى أنه كان يلقب بالوحيد ؛ لتفرده بكثرة الولد وسعة المال، وجاهه وجاه أبيه، وكانت قريش ترجع إليه في كثير من الأمور؛ فهو صاحب مكانة اجتماعية مرموقة في قريش، حتى أنه كان يتباهى بصفة الوحدة بقوله: أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي المغيرة نظير.

لكن وصفه بالوحيد ليس من باب المدح والثناء، وإنما لافتقاره إلى الله[1].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ (المدثر: ١٦)، فيه قطع وإبطال للطمع من الازدياد في النعمة، وحكمة ذلك الإبطال ألا تكون هذه النعمة سببا في فتنة غيره من المعاندين حتى لا يحذوا حذوه، وقوله سبحانه **إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً** جملة مستأنفة استئنافا بيانا لتعليل ما قبل كأنه قيل لم زجر عن طلب المزيد وما وجه عدم لياقته فقيل إنه كان معاندا لآيات المنعم وهي دلائل توحيده أو الآيات القرآنية حيث قال فيها ما قال والمعاندة تناسب الإزالة وتمنع من الزيادة قال مقاتل: ما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقص من ماله وولده حتى هلك سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً، وتقديم الجار والمجرور في **(لِآياتِنا عَنِيداً)** للاهتمام والاختصاص[2].

مناسبة الفاصلة للآيات تتمظهر من خلال حديثها عن زعيم من زعماء الكفر، ومن أصحاب الطعن في القرآن، وتكذيب النبي ﷺ، فالآيات تتمحور على ما أسبغه من النعم تمهيدا للتوبيخ الذي سيناله، فهو يعد من أكثر القرشيين مالا وأولادا، وصاحب كلمة مسموعة ولا ترد عند قريش، وعلاوة على ما رزقه الله من نعمه كان طماعا يطمع بالمزيد ويتباهى بأمواله وأولاده، فكان الغرض الدلالي للفاصلة المتصل مقاميا مع السورة هو تطمين النبي ﷺ بأن رزقه

---

(١) انظر: الجزائري،، **أيسر التفاسير**، ٥/٤٦٦.(بتصرف)

(٢) انظر: الألوسي، **روح المعاني**، ١٥/١٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سيزول وسندثر، حتى لا يفتتن به غيره من الكافرين، فتتولد لديهم أن عنادهم وكفرهم لن يلحق بهم الضرر، كما وضَّحت الفاصلة سبب هذا الإبطال للنعمة التي كان يتمتع بها الوليد بن المغيرة، فشدة عناده كان سببا في قطع النعمة عنه؛ لأنه تجاوز حد الكفر في العناد[1]. فكانت الفاصلة متوافقة شكلا ودلالة مع مضمون الآيات السابقة عليها.

قوله تعالى من سورة المزمل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل: ٢٠)، التفسير الإجمالي لهذه الآيات أن الله قد أمر النبي ﷺ أن يقوم الليل، فقام هو والذين آمنوا معه سنةً كاملةً حتى تفطرت أقدامهم، ثم خفف الله عنهم بهذه الآية، فجعل القيام مندوبًا بعد ما كان واجبًا، وأمرهم أن يقرؤوا ما تيسر من القرآن من غير تحديد، وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها الركن الأعظم فيها، ثم ذكر سبحانه أسباب التخفيف، فقال: علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فمنكم من يكون مريضًا لا يستطيع القيام، ومنكم من يكونُ مسافرًا في طلب رزق الله، ومنكم من يكون مشغولاً بقتال أعداء الله، فلذلك خفف عنكم، وفي هذه الآية أكبر دليل على نبوة محمد ﷺ، حيث لم يكن

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢١/٤٠٦. بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القتال شُرع بعد، وأخبرهم بأن سيكون منهم من يقاتلون في سبيل الله، وهذا إخبارٌ بالغيب، لا يمكن أن يكون إلا من عند علام الغيب سبحانه[١].

الفاصلة القرآنية في هذه الآية **(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** جملة اسمية مؤكدة (بإن) الغرض منها تعليل للمضمون الذي سبق الآية، والتأكيد جاء لمضمون صفتين لله تعالى (الغفور والرحيم)[٢]، وهذا من شأنه أن يحث الإنسان الذي يؤمن بربه وبرحمته إلى المسارعة في الاستغفار والعودة إلى الله تبارك وتعالى، ومعنى الغفور: الذي يستر على الذنوب فلا يعاقب عليها[٣]، وأما الرحيم: فهو المنعم المتفضل على عباده[٤]، والفرق بين المغفرة والرحمة أن المغفرة ستر للذنوب، والرحمة إفاضة الإحسان إليه[٥].

ولأداة التوكيد **(إنَّ)** دلالة نحوية مفادها معنوي؛ إذ تؤكد أن الله يغفر الذنوب لعباده، في حالهم استغفارهم وعودتهم إليه فهو يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به، حتى وإن بلغت هذه الذنوب عنان السماء، وخاف المؤمن ألا يغفرها الله له يأتي التأكيد من الله على أنه غفار للذنوب، وقد جاء عند الطبري في الغفور الرحيم إن ربي هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم. "الرحيم"، بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها[٦]. إن ورود التلازم التركيبي بين الغفور الرحيم في القرآن كثير، وهذا التلازم التركيبي من شأنه أن يبعث الراحة والطمأنينة في نفوس

---

(١) انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٢٧٨. وانظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، ٥/٤٦١.

(٢) أبو اللبن، محمد، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، الجامعة الإسلامية- غزة، رسالة ماجستير، ٢٠١١، ص٩١.

(٣) الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢، ٢/١٥٥.

(٤) انظر: الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، ١/٣٩١.

(٥) العيني، بدر الدين، **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٤/٣٠٢.

(٦) الطبري، أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ١٦/٢٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المؤمنين بمغفرة ربهم ورحمته التي وسعت كل شيء، ووجه الارتباط والمناسبة بين الفاصلة ومضمون الآية هو أن الله جل جلاله يريد رفع المشقة والترويح عن المسلمين وذلك بتخفيف قيام الليل عليهم برفع الحرج عنهم من وجوبية قيام الليل، فقد احتوت الآية على (فاقرؤوا ما تيسر منه) بلا مشقة ولا إجهاد، وإقامة الصلاة أي الصلاة الواجبة الواجبة، وآتوا الزكاة المفروضة، وأقرضوا الله قرضا حسنا يعني من الصدقات[1]، واعلموا أن أي شيء تقدموه إلى الله تجدوه عند الله أضعاف مضاعفة من الأجر، ويجب أن تتيقنون بتقصيركم بحق الله مهما فعلتم من عبادات وطاعات، بل استغفروا الله على ما فعلتموه من الذنوب إن الله يغفر الذنوب جميعا فهو رحيم بحالكم؛ ومن أجل هذا خفف عنكم قيام الليل؛ لأنه يعلم يقينا أنكم لن تطيقوه وهو لا يكلف نفسا إلا وسعها، بل جعله من باب السنة وليس الفرض.

قوله تعالى من سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ١-٣). التفسير الإجمالي لهذه الآيات يشير إلى خلق الانسان وأصله، والغاية المرومة من هذا الخلق، وما رزقه الله من نعم تعينه على الشكر ومعرفة الحقيقة، ومن هذه النعم الحواس كالسمع والبصر، وتبين الآية نعمة الله على الإنسان من خلال هدايته إلى سبيل الارشاد وإلى الحق والطريق المستقيم، فيتمحص عن هذا نوعان من الناس (إما شاكراً وإما كفوراً). من هنا يجب أن يعترف الانسان، وأن يكون خاشعاً في هذا الاعتراف بالهداية الإلهية كما هو خاضع خاشع في اعترافه بالخلق والتكوين ويجب أن لا يغره عقله، ولا تسول له علومه ومعارفه أمراً،

---

[1] انظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، ٥/٤٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مهما بلغ منها، فيتردد بالاعتراف بأنه محدود، وبأنه موضع فضل إلهي، وفيض رباني، بهما قوامه[1].

مناسبة الفاصلة القرآنية لمضمون الآية (**إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**)، جاءت هذه الفاصلة مشتملة على (إما) وهي أداة تفصيل وهي تفصل وتوضح الحالة التي يتصف بها الإنسان بعد إغداق الله له بالنعم، وهذه النعم تقضتي الشكر لله تعالى الذي أوجده من العدم، ورزقه كل ما يحتاجه في هذه الحياة، ومنحه الله من العقل والتفكير ما يعينه ليكون سعيدا مميزا لما هو ضار ولما هو نافع، وهذا ما يتطلب من كل ذي عقل وحذاقة أن يخرَّ ساجدا شاكرا لله تعالى، وألا يكون كافرا جاحدا لأنعم الله عليه، وهذا سينال عقابه من الله بسبب جحدانه وكفره لأنعم الله عليه، فلو أمعن الإنسان في التفكير في أصله ومنشئه لما تكبر على عباد الله وخر راكعا منيبا لله، فسر وجودك وخلقك وبعثك ونشوئك هو الله ولولاه لما كنت أصلا، حتى إن كثيرا من الآيات القرآنية جيء بها لمعالجة قضية الوجودية للإنسان، وما يتوجب على الإنسان فعله وما يتوجب عليه تركه إلى غير ذلك من الأمور التي عالجها القرآن، ومن هذه الآيات التي جاءت مخصصة للإنسان ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ (الإنسان: ١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ (الانفطار: ٦) ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: ٣٧).

قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: ٣٦-٤٠). تشير الآيات الكريمة التفكير البشري المتخيل ذهنيا في أن الله سيتركه عبثا مهملا في الدنيا من غير

---

[1] انظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، ٢٨٢-٢٨٣/٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توجيه وأمر ونهي، وتبلغ السذاجة الفكرية لدى البشر بأنه سيُترك بعد موته من غير بعث وحساب ونشور، فهذه الآيات تؤكد مدى السذاجة الفكرية للذين يفكرون بأنهم لن يبعثوا لعد موتهم كلا سيبعثون وسيحاسبون على ما أسلفوا، وقد أكد الله تعالى على ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم ونذكر بعضا من هذه الآيات ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ (إبراهيم: ٥١)، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)، وإن ارتاب الإنسان في البعث فلينظر ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٧ - ٣٩)؟ سبحانك بلى، فالذي أنشأك نشأة أولى قدرا على إنشائك مرة أخرى، والآيات في ذلك كثير، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ (مريم: ٦٦ - ٦٧).

مناسبة الفاصلة القرآنية لمضمون الآيات ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٤٠) فالآيات تدل على الكيفية التي خلق الله منها الإنسان و على نهايته المحتومة؛ عظة وعبرة لذي الألباب المستنيرة المتفكرة في خلق الله، فذكر الله للنطفة والكيفية التي تكونت فيها يتطلب تفكيرا وإمعان نظر عميق، وما يترتب على هذا التفكر والتفكير من نتائج في كيفية تحويل هذه النطفة إلى إنسان، فلو تركت هذه النطفة مدة قصيرة من الزمن بعد خروجها لفسدت، فالذي خلقها أول مرة، قادر على إعادة تكوينها وإنشائها وبعثها مرة أخرى. وقد جاءت هذه الآية (**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**) هذا الاستفهام التقريري توكيدا وتثبيتا للآيات السابقة التي ينكرها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكفار والملحدون، وجاءت حرف الجر الزائد (بقادر) من أجل المبالغة في التأكيد كي يـضمحل أي شك ممكن أن يساور أي إنسان فهذه نتيجة حتمية الحدوث. وقال الطبري في هـذه الآيـة:" معلوم أن الذي قَدِر على خَلق الإنسان من نطفة من منيّ يمنى، حتى صـيره بـشرا سـويًا، لا يُعجزه إحياء ميت من بعد مماته"[١]، ويقول ابن عاشور: "وَجُمْلَةُ أَلَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ النَّتِيجَةِ مِنَ الدَّلِيلِ لِأَنَّ خَلْقَ جِسْمِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَدَمٍ وَهُوَ أَمْرٌ ثَابِتٌ بِـضَرُورَةِ الْمُشَاهَدَةِ، أَحَقُّ بِالِاسْتِبْعَادِ مِنْ إِعَادَةِ الْحَيَاةِ إِلَى الْجِسْمِ بَعْدَ الْمَوْتِ سَوَاءٌ بَقِيَ الْجِسْمُ غَيْرَ نَاقِصٍ أَوْ نَقَصَ بَعْضُهُ أَوْ مُعْظَمُهُ فَهُوَ إِلَى بَثِّ الْحَيَاةِ فِيهِ وَإِعَادَةِ مَا فَنِيَ مِنْ أَجْزَائِهِ أَقْرَبُ مِنْ إِيجَادِ الْجِسْمِ مِنْ عَدَمٍ. وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارٌ لِلْمَنْفِيِّ إِنْكَارَ تَقْرِيرٍ بِالْإِثْبَاتِ وَهَذَا غَالِبُ اسْتِعْمَالِ الِاسْتِفْهَامِ التقريـري أَن يَقع عَلَى نَفْيٍ مَا يُرَادُ إِثْبَاتُهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالتَّوْسِعَةِ عَلَى الْمُقَرَّرِ إِنْ أَرَادَ إِنْكَارًا كِنَايَةً عَنْ ثِقَـةِ الْمُتَكَلِّمِ بِأَنَّ الْمُخَاطَبَ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْكَارَ"[٢].

الثالث: التغريض:

يرى بروان ويول أن التغريض يتمثل في أنه نقطة بداية لقول ما[٣]، والخطاب عادة مـا يكون على شكل متواليات منتظمة من الجمل لها نقطة تنطلق منها ولها نقطة تنتهي عندها، وهذا يدل على أن البداية التي ينطلق منها المتكلم تُشكل نقطة رئيسة سيكون لها أثرها في بيان كنه ما يأتي بعدها، ويؤكد ذلك خطابي في معرض حديثه عن التغريض:" بناء على أن مـا يبـدأ بـه المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه وهكذا فإن عنوانا ما سيؤثر في تأويل الـنصّ الـذي

---

(١) انظر، الطبري، **جامع البيان**، ٢٤/٨٣.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٩/٣٦٨.

(٣) انظر: يول وبراون: **تحليل الخطاب**، ص ٢١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يليه، كما أن الجملة من الفقرة الأولى لن تقّيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقيّة الـنص"[١]، ويقـول بروان ويول: "نفترض أن كل جملة تشكل جزءا من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عـن كيفيـة إنشاء تمثيل منسجم"[٢].

وعليه فإن كل جملة منوطة بدور مهم، يساهم في تشكيل انسجام الـنصّ ونقطـة بدايتـه وتراتبيته، وأن الجمل مكملة بعضها بعضا، فالعملية بين الجمل عملية تكاملية تتابعيـة بـشكل منظم. كما أن التغريض يُعد إجراء خطابيا يعمل على تنمية عنصر معين داخل خطاب الـنص، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو واقعة معينة.

وأشار براون إلى أن ثمة علاقة وثيقة الصلة بين التغريض وموضوع الخطـاب، ومـن واجبات التغريض القيام بواجب الكشف عن العلاقة الكائنة بين موضوع الخطـاب وعنوانـه؛ فالعنوان –كما يرى يول وبراون– وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع، وأداة قوية للتغـريض، تعمل على إثارة توقعات لدى المتلقي عن موضوع الخطاب، فكثيراً ما يساعد العنوانُ المتلقي في تأويل الخطاب، وتغير العنوان يؤدي إلى تغير التأويلات الذهنية عند المتلقي، بمعنى أن المتلقي يرسم تأويلات ذهنية تتوافق مع العنوان الجديد بناء على معرفة سابقة حول فهمه للعنوان[٣].

"فلو وجدنا اسم رجل مبرزا في عنوان النصّ توقعنا أن يكـون ذلـك الـشخص محـور الحديث، ويترتب عن خاصية خلق التوقعات هذه، الموجودة في عملية صياغة الخبر، وخاصـة صيغة العنوان، أن العناصر المبرزة لا تمدّنا فقط، بنقطة انطلاق، نبني حولها كل ما يمكـن أن

---

(١) خطابي: **لسانيات النص**، ص ٥٩.

(٢) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ١٦٢ وما بعدها.

(٣) انظر: يول وبراون: **تحليل الخطاب**، ص٢١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يصب في صلب الخطاب، بل إنها تمدّنا كذلك بنقطة انطلاق، تحدّ من إمكانات فهمنا لما يلحق"[١].

بناء على ما تقدم فإن عملية الربط بين العنوان وموضوع الخطاب، يجعل الخطاب يتماسك تماسكا عموديا، فالعنوان إما أن يكون عملا ذهنيا يتولد من النص، أو أن يكون يُقتبس اقتباسا محرفا لإحدى جمل النص، ومن ثم فإن المتلقي عندما يقع على لفظة مضمنة داخل العنوان، يتبادر إلى ذهنه بأن تكون هذه اللفظة نقطة البداية، التي تعمل على تقييد تأويل الخطاب، وتتجه العناصر نحوها. فثمة علاقة دلالية تربط العنوان بالنصّ وتأويل الخطاب يتجه إليه[٢].

وعليه، فإن كل نصّ يمكن وصفه بالمتماسك، لا بد أن يحتوي هذا النص على نقطة بداية تعمل على تشكيل الإثارة الذهنية عند المتلقي، فيحاول البحث عن مكنونات الخطاب وإبرازها، وربطها مع كل أجزاء الخطاب.

- نماذج تطبيقية على التغريض في جزء تبارك:

قبل البدء بذكر الأمثلة على التغريض في جزء تبارك، لا بد من ذكر بعض النقاط التي ذكرها الخطابي متلعقة بالتغريض تعمل على إرشاد المتلقي إلى الكيفية التوصل بها إلى التغريض في النص من خلال تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، أو تكرير جزء من اسمه، أو استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه، أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية، او تحديد أماكن وجوده، أو الصفات التي يتصف بها"[٣]:

---

(١) انظر: يول وبراون: **تحليل الخطاب**، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) انظر :خطابي: **لسانيات النص**، ص ٦٠- ٦١.

(٣) **نفسه**، ص٢٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤﴾ (الملك: ١ – ٢٤). إن المتأمل لهذه الآيات في سورة الملك يجد أنها تتحدث عن قدرة الله تبارك وتعالى إدارة شؤون ملكه، وعن القدرة الإلهية المطلقة في التصرف في كل شيء، وقدرة الله تعالى على الإحياء والموت، وعن إبداع الخالق في خلقه...إلخ، وهذا من شأنه أن يعمل استثارة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحفيظة العقلية للبشر كي يذعنوا ويؤمنوا بالله. لكن لا بد من التفصيل في موضوع التغريض الذي سيتم تطبيقه على السورة من أجل أن نوضح كيف تم التغريض في السورة من خلال عدة نقاط على النحو الآتي:

١- استمرار الإحالة إلى ذات الله تعالى من خلال التنويع في الضمائر فتارة يستخدم الضمير الغائب، وتارة يستخدم ضمير المتكلم، وتارة يستخدم الاسم الموصول الذي تعود مرجعيته إلى الله تبارك وتعالى.

٢- إسناد المعجزات إليه والإشارة إلى بعض أدوراه وأفعاله الخارقة: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك: ٢ - ٥) ... ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الملك: ٢٣ - ٢٤).

٣- ذكر أماكن وجوده بقوله تبارك وتعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ (الملك: ١٦ - ١٧).

٤- صفات الله تبارك وتعالى التي يتسم بها، وهذا جاء كثيرا في السورة: نذير، بصير، خبير، العزيز، الغفور، اللطيف، القدير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يساعد الحضور الدائم لذات الله تبارك وتعالى على تغريض السورة، ويتأتيى ذلك من خلال الأدوار المختلفة التي يقوم بها الله تبارك وتعالى، فهذه الأدوار تشكل خلفية وتكمل الدور الرئيس[1]، وهذا من شأنه أن يعطي النص القدرة على السير في اتجاهات متنوعة، لكن دون الابتعاد عن الهدف الأساسي للسورة.

جميع الآيات في سورة تبارك تعطي صور متعددة دالة على قدرة الله تبارك وتعالى، من خلال قدرته على خلق الموت والحياة، وملكه للعالم، وادخال الكافرين النار، والمؤمنين الجنة، إلى غير ذلك من هيمنة الخالق وهذا يدل دلالة واضحة على قدرة الله على صنع كل شيء.

من خلال ما تقدم يتبين أن عنوان السورة يعد منطلقا يستطيع المتلقي أن يتكئ عليه، ويعده موضوعا رئيسا في النص، وبقية أجزاء النص، ما هي إلا بواكير تعمل على اثبات الموضوع الرئيس الذي من أجله أُنشئ النص، وبتعبير أكثر وضوحا بإمكان الدراسة أن تقول بأن عنوان السورة هو شيء مجمل تأتي الآيات التي بعده لتثبته وتوضحه وتبرزه، وقس على ذلك بقية السور الواردة في الجزء؛ فعناوين السور هي البُؤَر الرئيسة التي يتم العمل على توضيحها في متن الآيات.

---

[1] انظر: خطابي، **لسانيات النص**، ٢٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: البنى الجزئية الصغرى والبنى الجزئية الكبرى والبنية الكلية للخطاب:

إنَّ عملية الوصول إلى البنية الكلية للخطاب بحاجة إلى تتبع البنى الجزئيـــة الـــصغرى والبنى الجزئية الكبرى، ومن ثَمَّ الوصول إلى البنية الكلية الكبرى، لأن النصوص" تفهم على أنها تتابع منتظم من قضايا يرتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها، حيث لا تقتصر العلاقات على القضايا المتجاورة حسب، بل يتم إيجاد روابط مواكبة أيضا بين وحـــدات دلاليـــة أكبـــر فـــي النص"[١].

إن التحليل اللغوي للنصّ يقود المحلل بداية لتفكيك النص وتجزئته إلى أجزاء أصـــغر؛ حتى يتمكن من احتوائه، وتحليل جميع مكوناته؛ للوصول إلى البنية الكلية التي تمثل المنطلـــق للنص، أو ما تسمى" بالبنية العميقة الدلالية والمنطقية"[٢]، كما أن البحث في التماســـك النـــصي ينبغي أن يتجاوز حدود الجملة الواحدة، أو بين الجمل المتتالية، أو بين البنى الجزئية الصغرى، والبنى الجزئية الكبرى، وصولا إلى تحديد البنية الكلية الكبرى، فالوحـــدة الدلاليـــة الكبـــرى أو موضوع النص" يستدل عليها من الوحدات الدلالية الأولية بشكل نسقي[٣].

أ- **البنى الجزئية الصغرى:** تتشكل البنية الصغرى للنص من مجموع القضايا المتعلقة بالبنية السطحية للتعبير، بمعنى آخر هي مجموعة الأفكار الجزئيـــة الموجـــودة فـــي أي نـــص، ولتوضيح ذلك نضرب مثالا نوضح فيه البنى الجزئية الـــصغرى عنـــدما نقـــول: يـــتقن الفلسطينيون رزاعة الزيتون، وعندما غزاهم اليهود قلدوهم، وتعلموا أيضا زراعة الزيتون. فإذا أردنا أن نقسم البنى الجزئية الصغرى فإننا نقول (١- يـــتقن الفلـــسطينيون رزاعـــة

---

(١) هاينه، فولفجانج، وفيهفيجر، ديتر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة:فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع في جامعة الملك سعود، الرياض – المملكة العربية السعودية، د.ت، ص ٤٨.

(٢) البحيري:**علم لغة النص**، ص١٢٢.

(٣) هاينه، فولفجانج، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزيتون ٢- وعندما غزاهم اليهود قلدوهم ٣- تعلموا أيضا زراعة الزيتون) هـذه البنـى الصغرى تشكل بتعالقها بنىً جزئيةً كبرى.

ب- **البنى الجزئية الكبرى:** تتمحور البنى الجزئية الكبرى في السورة القرآنية في عدة محاور رئيسة يُتوصل إليها عن طريق البنى الجزئية الصغرى وقبل أن نبين البنى الجزئية الكبرى في جزء تبارك سنوضح البنى الجزئية الكبرى في المثال السابق على النحو الآتـي: (١- اتقن الفلسطينيون زراعة الزيتون ٢- غزو اليهود لفلسطين- تقليد اليهود للفلـسطينين ٤- تعلم اليهود زراعة الزيتون٥- إنتاج اليهود للزيتون) هذه البنى الجزئية الكبرى تم الوصول إليها من تعالق البنى الجزئية الصغرى.

ج- **البنية الكلية للـسورة:** أما بالنسبة إلى البنية الكلية يتم التوصل إليها من مجموع البنيتـين الصغرى والكبرى، من خلال رصد مجموعة من الجمل التي تخص الموضوع في النصّ موضوع الدراسة[١]. الذي يمثل بدوره، "المبدأ المركزي المنظم لقسم كبير من الخطاب"[٢].

- نماذج تطبيقية على البنى الجزئية الصغرى والكبرى والبنية الكلية للنص:

ولما كان هدف الدراسة إعطاء نماذج تحليلية، لآليات التّماسك في جزء تبـارك، فإنهـا ستكتفي بتحليل البنى الجزئية الصغرى والكبرى وصولا للبنية الكلية، في سورتين من الـسور الجزء وهما: (الحاقة، القيامة).

١-سورة الحاقة:

يشكل مجموع الآيات المتواجدة في السورة بنى جزئية صغرى، فكل آيـة تعمـل علـى التعالق مع ما بعدها من الآيات كي تشكل بنية جزئية كبرى، وسيتم عـرض للبنـى الجزئيـة

---

[١] خطابي، **لسانيات النص**، ص٢٧٧.

[٢] يول وبراون، **تحليل الخطاب**، ص١١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكبرى في كل من السورتين؛ لأنه كما أسلفنا أن البنى الجزئية الصغرى هو مجموع آيات السورة كلها.

إن **البنية الكلية** في السورة تتمثل في هز مشاعر المشركين، كما أشارت السورة على تمام قدرة الله تعالى على إنزال العقوبة بالمشركين الذين كذبوا الرسول واتهموه بالجنون، فقد أبطلت ادعاء هؤلاء وتوعدتهم بعذاب أليم، وذلك من خلال قرع الحس بالمشاهد الحية والمختلفة والمتتابعة، ويقول سيد قطب:" هذه سورة هائلة رهيبة قل أن يتلقاها الحس إلا بهزة عميقة وهي منذ افتتاحها إلى ختامها تقرع هذا الحس، وتطالعه بالهول القاصم، والجد الصارم، والمشهد تلو المشهد، كله إيقاع ملح على الحس، بالهول آنا وبالجلال آنا، وبالعذاب آنا، وبالحركة القوية في كل آن! والسورة بجملتها تلقي في الحس بكل قوة وعمق إحساسا واحدا بمعنى واحد. أن هذا الأمر، أمر الدين والعقيدة، جد خالص حازم جازم، جد كله لا هزل فيه، ولا مجال فيه للهزل، جد في الدنيا وجد في الآخرة، وجد في ميزان الله وحسابه. جد لا يحتمل التلفت عنه هنا أو هناك كثيراً ولا قليلاً، وأي تلفت عنه من أي أحد يستنزل غضب الله الصارم، وأخذه الحاسم. ولو كان الذي يتلفت عنه هو الرسول. فالأمر أكبر من الرسول وأكبر من البشر إنه الحق؛ حق اليقين من رب العالمين. إن أسلوب السورة يحاصر الحس بالمشاهد الحية، المتناهية الحيوية، بحيث لا يملك منها فكاكا، ولا يتصور إلا أنها حية واقعة حاضرة، تطالعه بحيويتها وقوتها وفاعليتها بصورة عجيبة[1].

ومن أجل بيان وتوضيح البنية الكلية للسورة نبين أن السورة جاءت لتضرب المثل لكفار قريس بأصحاب النار؛ بمعنى أنهم سيحل بهم ما حل بهؤلاء من العذاب إن واصلوا عنادهم

---

[1] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ٦/٣٦٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتمسكوا بآرائهم واستكبروا، تتمحور البنى الجزئية الكبرى في سورة الحاقة إلى عدة محـــاور رئيسة اتُّكِئ على البنى الجزئية الصغرى للوصل إليها وهي على النحو التالي:

أ- ذكر بعضا من صفات يوم القيامة، والتهديد الكفار بأن هذا اليوم واقع حتما. وذلك مـــن خلال قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ (الحاقة: ١ – ٣).

ب- ذكر العبرة والعظة للمشركين؛ وذلك من خلال بيان ما حل بالأمم السابقة التي كفرت باليوم الآخر وعذابه، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ (القارعة: ٤ – ١١).

ج- تفضُّل الله وإغداق نعمه على قوم نوح الصالحين إذ أنجاهم من الطوفان، وفـــي ذلـــك عبرة وعظة لمن يأتي بعدهم, كيف أن الله أنجى المؤمنون وأغرق الكافرون. وذلك في قولـــــه تعـــــالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١١ – ١٢).

د- ذكر أهوال يوم القيامة والحساب وبيان مدى الجزع الواقع فيه. وذلك في قوله تعـــالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣ – ١٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هـ- بيان مصير الكافرين ومصير المؤمنين بعد الحساب، ومدى النعيم الذي يتمتع به المؤمنون الشقاء الذي يعاني منه الكافرون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ (الحاقة: ١٩ - ٣٧).

و- أقسم الله تبارك وتعالى بأن القرآن هو من عند الله وليس من عند محمد وتكذيب ادَّعاء الكافرين بأن محمدًا مجنون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ (الحاقة: ٣٧ - ٤٧).

ز- تسلية الرسول وتثبيته، وإنذار المشركين ووعيدهم بتحقيق ما جاء القرآن بهو وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحاقة: ٤٨ - ٥٢).

وكما يظهر مما سبق فقد توفرت سورة الحاقة على اثنتين وخمسين بنية جزئية صغرى، تشكلت منها سبع بنى جزئية كبرى، وتحددت من خلالها البنية الكلية الكبرى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- سورة القيامة:

البنية الكلية لسورة القيامة تتمثل في أن مجموع البنى الجزئية الصغرى مجتمعة بتعالقها لتؤكد قضية مهمة ألا وهي إثبات قدرة الله على البعث وحقيقة النشأة الأولى، ودلالتها على صدق الخبر بالنشأة الأخرى، وعلى أن هناك تدبيرا في خلق هذا الإنسان وتقديرا، وهي حقيقة يكشف الله للناس عن دقة أدوارها وتتابعها في صنعة مبدعة، لا يقدر عليها إلا الله، ولا يدعيها أحد ممن يكذبون بالآخرة ويتمارون فيها. فهي قاطعة في أن هناك إلهًا واحدا يدبر هذا الأمر ويقدره كما أنها بينة لا ترد على يسر النشأة الآخرة، وايحاء قوي بضرورة النشأة الآخرة، تمشيا مع التقدير والتدبير الذي لا يترك هذا الإنسان سدى، ولا يدع حياته وعمله بلا وزن ولا حساب[١].

تتمحور البنى الجزئية الكبرى في سورة القيامة إلى عدة محاور رئيسة اتُّكِئ على البنى الجزئية الصغرى للتوصل إليها وهي على النحو التالي:

أ- تذكير السورة على قدرة الله تبارك وتعالى على الخلق والبعث من جديد، والتذكير بأحداث يوم القيامة وأشراطها، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ (القيامة: ١ - ١٢).

---

[١] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ٦/٣٧٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب- اثبات الجزاء ومحاسبة الله لعبادة على ما صدر منهم من أعمال في الحياة الدنياو وهـذا متمثل في قوله تعـالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ (القيامة: ١٣ - ١٥).

ج- مخاطبة الله لنبيه من خلال اثبات قدرة الله تبارك وتعالى على حفظ القرآن ؛ فالقادر علـى البعث والنشور قادر على حفظ القرآن في صدرك يا نبي الله محمد ﷺ، وذلك في قولـه تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٦ - ١٩).

د- التباين بين حال أهل الجنة ووصفهم بالسعداء، وحال أهل النار ووصفهم بالأشقياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ١٦ - ٢٥).

ه- تذكير العباد بالموت وجزاء من لم يعمل لتلك اللحظة، وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ (القيامة: ٢٦ - ٣٥).

و- الاستدلال على حقيقة النشأة الآخرة (البعث بعد الموت) بالنشأة الأولى؛ فالقادر على البعث في الأولى قادر على البعث مرة أخرى، وذلك في قوله تعـالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٧ – ٤٠).

وكما يظهر مما سبق فقد توفرت سورة القيامة على أربعين بنية جزئية صغرى، تشكلت منها ست بنى جزئية كبرى، وتحددت من خلالها البنية الكلية الكبرى، فقد كانت البنى الجزئية الكبرى في السورة الكريمة مرتبطة بعضها ببعض، وانطلاقا من قدرة الله على البعث والنشور، تسعى جميعها لتأكيد وإثبات عقيدة البعث، وهي البنية الكلية في السورة.

وعليه، فالبنية الكلية لأي خطاب، ترتبط بها أجزاء الخطاب، وتذهب الدراسة إلى ماذهب إليه دايك في مفهومه للبنية الكلية: "أن يكون للخطاب جامع دلالي، وقضية موضوعية يتمحور النصّ حولها، ويحاول تقديمها بأدوات متعددة"[١].

بأية ما سبق من معطيات نظرية وتطبيقية تؤكد الدراسة أن البنية الكلية للخطاب نقطة أساسية تلتف حولها البنى بنوعيها الصغرى والكبرى، والتي تشكل بتعالقها نصا كاملا. كما أن البنية الكلية ليست شيئا معطى، وإنما هي مفهوم مجرد، به تتجلى كلية الخطاب ووحدته؛ أي أن هذه البنية عبارة عن افتراض، يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه، وتجعله مقبولا كمفهوم، وموضوع الخطاب هو تلك الوسيلة[٢].

---

(١) دايك، فان، **النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة: عبد القادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م، ص١٨٥.

(٢) انظر: خطابي: **لسانيات النص**، ص٤٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وبعد:

لقد اشتملت الدراسة على أهم النتائج التالية:

١- إنَّ الخطاب يمثل الواقع الاستعمالي للغة (اللُّغة في الاستعمال) بمعنى أن للخطاب أهدافا ومقاصد لا يمكن فهمها أو الوصول إليها بمنأى عن الظروف المحيطة (زمان، مكان، مقام)، بل تظهر واضحة جلية في المقام الذي تشكلت فيه اللُّغة، فهو يدخل ضمن إطار العملية التواصلية للغة. والنَّص يمثل اللُّغة في غير الاستعمال بوصفها بعدا ذهنيا وشكليا يدخل ضمن دائرة الشكلانية المفهمومة من البنى الظاهرية للنَّص ولا تحتاج إلى تأويل كونها انعكاسا للصورة الذهنية المُتشكِّلة في الذِّهن.

٢- لا يمكن الفصل بين نحو النص ونحو الجملة في تحليل النصوص ؛ إذ إنَّ نحو النص يشكل امتدادا لنحو الجملة، وذلك لأنَّ النصوص مجموعة من الجمل تشكل بتعالقها نصوصا مختلفة.

٣- تناولت الدراسة ظاهرتي الانسجام والاتِّساق النَّصي ودورهما في إظهار الرائز الدلالي، بعد أن بيَّن مفهوميهما نظريا وتطبيقيا، وتوصل إلى أنَّه لا يمكن الفصل بينهما في أثناء تحليل النَّص، أَو بيان نصية النص، وفي معرفة درجة اتِّساق النص على وجه من الدَّقة، وحاورت الدراسة معايير الاتساق التي يمكن من خلالها تقييم هذا الاتِّساق، الذي لا يتحقَّق إلَّا بالنَّظر إلى انسجام النَّصِّ أولا، أو بمعنى آخر، إنَّ الانسجام يشكِّل الأساس الذي ينطلق منه المحلِّل النِّصِّيُّ لِلولوج في كنه النَّصِّ فيما إِذا كان متَّسقا أَم لا, كما تجلت ذلك في سورة الكوثر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤- أظهر تحليل التماسك النحوي أهمية الربط باستخدام الإحالة الضميرية والعطف والاستبدال والحذف والتقديم والتأخير، كما أظهر تحليل التماسك المعجمي أهمية الربط بالتكرار في النص القرآني، كما أن وسائل التماسك النصي تتضافر معا لتحقيق نصية النص، وأن التماسك يمثل ركنا أساسيا في التحليل، وفي فهم النص واستيعابه, وذلك لارتباط تلك الأدوات بآليات تحقيق التطابق اللغوي في التوفيق بين المقام الخارجي للنص ومقاصده, كما ظهر لنا في إحالة الاسم الموصول (الذي) في سورة الملك, ومدى تطابقه مع مناسبة نزول السورة.

٥- علم المناسبات يعمل على تقوية الارتباط بين أجزاء القرآن، ويُظهر مدى تماسكه وارتباط بعضه ببعض، وهذا يدل على إعجاز القرآن العظيم، وهذا يتبين من خلال الكشف عن أسرار ترتيب سوره وآياته، فالمناسبة في القرآن الكريم تبين للقارئ أن القرآن الكريم عقد قد ارتبطت ألفاظه وآياته في السورة الواحدة، كما ارتبطت سوره ببعضها بعضا، فهو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا, وذلك كما ظهر ذلك في سورة الحاقة.

٦- أما موضوع الخطاب فقد ظهر بتعالق البنى الجزئية الصغرى والبنى الجزئية الكبرى؛ إذ شكلت مجتمعة البنية الكلية الكبرى (موضوع السورة). وهذه الإجراءات المتعددة، تتضافر كلها لاكتشاف عنصر النّصيّة في المنجز اللغوي، المراد تحليله, كما ظهر في سوءر القيامة.

٧- كشفت الدراسة بعضا من الوظائف التي تقوم بها الأدوات الاتساقية بشقيها النحوية والمعجمية، وبين هذه الوظائف مدللة عليها بأمثلة من جزء تبارك, كالاقتصاد اللغوي وتشكيل النص والربط.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن الواحد، (١٩٦٣م). **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة- مصر، دار التعاون، ط١.
- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (١٩٨٧م). **جمهرة اللُّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١.
- الأصفهاني، الراغب، (١٤١٢هـ). **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١.
- الألوسي، شهاب الدين، (١٤١٥هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١.
- الأنباري، أبو البركات (ت: ٥٧٧): **أسرار العربية**، تحقيق: بركات هبود، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- الأندلسي، أبو حيان، (١٤٢٠هـ). **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة- مصر، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م، ج٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (١٤١٠هـ). **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١.
- الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢).
- الجرجاني، عبدالقاهر، (١٩٩٢م). **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣.
- ابن جني، أبو الفتح، (٢٠٠٢م). **الخصائص**، تح: عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.
- الحنبلي، سراج الدين عمر بن علي، (١٩٩٨م). **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- الدينوري، ابن قتيبة، (١٩٧٨م). غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.
- الرازي، زين الدين، (١٩٩١م). **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل**، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، ط.
- الرازي، فخر الدين، **مفاتيح الغيب**، (١٤٢٠هـ). دار إحياء التراث العربي، ط٣.
- ابن رشد،الوليد محمد بن أحمد (د.ت). **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، مؤسسة ناصر للثقافة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن رشيق، أبو علي حسن بن رشيق القيرواني الأزدي، (١٩٨١م). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القـــاموس**، مجموعة محققين، دار الهداية.
- الزرقاني: محمد عبد العظيم، (١٩٩٥م). **مناهل العرفان**، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، (١٩٥٧م). **البرهان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الزمخشري، **أساس البلاغة**، (١٩٨٥م). الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣.
- سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، (ت: ١٦٠هـ)، **الكتاب**، ط١، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦، ج١.
- السيوطي: الحافظ جلال الدين، (١٩٨٦م). **تناسق الدرر في تناسب السور** تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١.
- السيوطي، **أسباب النزول**، (د.ت). المكتب الثقافي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- السيوطي، جلال الدين، (١٩٧٤م). **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- السيوطي، جلال الدين، (د.ط). **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د.ت).
- السيوطي، جلال الدين، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.
- الشاربي، سيد قطب إبراهيم، (١٤١٢هـ). **في ظلال القرآن**، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٧.
- الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، القاهرة، دار الفكر العربي.
- الطبري، أبو جعفر، (٢٠٠٠م). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١.
- الطبري، محمد بن جرير، (٢٠٠٠م). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١.
- العسكري، أبو هلال، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.
- العيني، بدر الدين، **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (١٩٩٤م). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، المجلد السابع.
- الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر، (٢٠٠٥م). **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر، (١٩٩٦م). **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (د.ط). **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمرو، (١٤١٩هـ). **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **تقسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ.
- الكرماني، أبو القاسم برهان الدين، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ط١.
- أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (٢٠٠١م). **تهذيب اللُّغة**، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١.
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، (١٩٩٦م). **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١.
- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحـــدي، (١٩٩٠م). **أســـباب نزول القرآن**، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين، (٢٠٠٥م). **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا- لبنان، المكتبة العصرية، د.ط.
- ياقوت، محمود سليمان، (١٩٩١). **فقه اللغة وعلم اللغة**، نصوص ودراسات، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية.
- ابن يعيش، يعيش بن علي، (٢٠٠١م). **شرح المفصل**، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١.

ثانياً: المراجع:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، (١٩٨٠). **المعجم الوسيط**، دار الدعوة إسطنبول.
- أحمد مداس، (٢٠٠٧م). لسانيات النَّص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، اربد، عـــالم الكتب الحديث.
- استيتية، سمير، (٢٠٠٢م). **اللُّغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، ط١.
- استيتية، سمير، (٢٠٠٣م). **منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النَّص**، دار وائل للنشر، عمان، ط١.
- استيفن أولمان، (١٩٩٢)، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة.
- بالمر (١٩٩٥): علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، إسكندرية- مصر، دار المعرفة الجامعية.
- الباهي، حسان، (د.ت) اللغة والمنطق: بحث في المفارقات، الدار البيضاء، الرباط، المركز الثقافي العربي ودار الأمان للنشر، ط١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- بحيري، سعيد، دراسات لغوية تطبيقية، **في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة زهراء الشرق (د.ت)، القاهرة.
- بحيري، سعيد، (١٩٩٧). **علم لغة النَّص: المفاهيم والاتجاهات**. (ط١)، مصر: العالمية المصرية للنشر–لونجمان.
- بحيري، سعيد، (د.ت) **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ط).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، (١٩٨٧) **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ**، مكتبة المعارف – الرياض، ط١.
- بوجراند، روبرت، (١٩٩٨). **النَّص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١.
- بوقرة، نعمان، (٢٠٠٢). **المصطلح اللساني، قراءة سياقية تأصيلية**، منشورات مخبر اللسانيات واللُّغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر.
- بوقرة، نعمان، (٢٠٠٧). نحو النَّص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، **مجلة علامات**، م١٦، ج٦١.
- بوهادي، عابد،(٢٠١٣) أثر النحو في تماسك النص، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ٤٠، العدد ١.
- الجاسم، محمود، (٢٠١١م). مفهوم النَّص في العربية بين القديم والحديث، **مجلة جذور**، جدة، النادي الثقافي الأدبي، ج٣١.
- جبر، أسامة أحمد عبد الله، (٢٠٠٤م)، **سورة الإسراء دراسة تحليلية نصية**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، اليرموك– الأردن، ٢٠٠٤م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- جبران خليل جبران، (٢٠٠٢م). **الأعمال الكاملة**، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر.
- الجراح، عبدالمهدي، (٢٠٠٢). **الخطاب وأثره في بناء نحو النَّص: تطبيق على المعلقات السبع**. رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- الجزائري، جابر بن موسى، (٢٠٠٣م). **أيسر التفاسير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥.
- الجواري، أحمد عبد الستار، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م). نحو المعاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- حجازي، عبد الرحمن، (٢٠٠٥م). مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، **مجلة علامات، م١٥، ج٥٧.**
- الحدادي، زين الدين محمد، (١٩٩٠م). **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١.
- الحربي، فرحان بدري، (٢٠٠٣م). **الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب**، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١.
- حسان، تمام، (١٤١١) الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- حسان، تمام، (١٩٧٩م). اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢.
- حسان، تمام، (١٩٨٥م). **مقالات في الأدب واللغة**، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الحلو، عبده، (١٩٩٤م). **معجم المصطلحات الفلسفية**، بيروت، مكتبة لبنان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- حمادي، إدريس، (١٩٩٤م). **الخطاب الشرعي وطرق استثماره**، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- حميدة، مصطفى، (١٩٩٧م). **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١.
- حوى، سعيد، (٢٠٠٥م). **الأساس في التفسير**، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، ط١.
- حيدر، فريد، (٢٠٠٥م). **فصول في علم الدلالة**، القاهرة، مكتبة الآداب.
- أبو خرمة، عمر، (٢٠٠٤م). نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١.
- الخضري، محمد، (١٩٩٤م). **تاريخ التشريع الإسلامي**، بيروت، دار الكتاب.
- خطابي، محمد، (١٩٩١) **لسانيات النَّص**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١.
- الخطيب، عبد الكريم يونس، (د.ت) **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ط).
- الخطيب، عبدالكريم، (د.ت) **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، دار المعرفة، بيروت.
- خليل، إبراهيم، (٢٠٠٧م). **في اللسانيات ونحو النَّص**، دار المسيرة، عمان، ط١٠.
- خليل، حلمي، (١٩٩٦) **الكلمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية, (د.ط).
- خمري، حسين، (٢٠٠٧). **نظرية النَّص: من بنية المعنى إلى سيمائية الدال**، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون،.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- دايك، فان، (٢٠٠٠) النص والسياق: **استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة: عبد القادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق, (د.ط).
- دومنيك مانغونو، (٢٠٠٨م). **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ت: محمد يحيات، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشروم, (د.ط).
- أبو دلو، أحمد، (٢٠٠٢م). **تحليل الخطاب الجدلي في القرآن**، دراسة في لسانيات النص، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك.
- ديوان الهذليين، (١٩٦٥م). تحقيق: أحمد الزين – محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية.
- الراغب، (٢٠٠١م). عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط١.
- الزعبي، معاذ، (٢٠١٣م). **وظائف الاتساق النحوي والمعجمي في العربية تطبيق على سورة هود**، جامعة اليرموك, رسالة ماجستير.
- الزناد، الأزهر، (١٩٩٣). **نسيج النَّص**، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- أبو زنيد، عثمان، (٢٠٠٩). نحو النَّص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١.
- السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي، (٢٠٠٣م). **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٣.
- السامرائي، فاضل، (٢٠٠٠م). **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، بغداد، ط١.
- السامرائي، فاضل، (٢٠٠٣) **معاني النحو**، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.
- سعد، محمد، (٢٠٠٢) **في علم الدلالة**، القاهرة، عالم الكتب, (د.ط).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- السعران، محمود، (١٩٦٢) **علم اللغة**، دار المعارف، القاهرة, (د.ط).
- سعيد البحيري، (١٩٩٧م). **علم النص للمفاهيم والاتجاهات**، بيروت، مكتبة لبنان, (د.ط).
- السوسوه، عبدالمجيد،(٢٠٠٨) السياق وأثره في دلالات الألفاظ، جامعة الكويت، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، ع٧٤.
- الشاوش، محمد، (٢٠٠٠). **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النَّص**. (ط١)، تونس: كلية الآداب بمنوبا، وبيروت، المؤسسة العربية للتوزيع.
- شرف الدين، جعفر،(د.ت) **الموسوعة القرآنية وخصائص السور**، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط١.
- الشهري، عبد الهادي، (٢٠٠٤م). **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**، بيروت، دار الكتاب الجديد، (د.ط).
- صبحي الفقي، (٢٠٠٠). **علم اللُّغة النَّصي بين النظرية والتطبيق**، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع.
- صفا، فيصل، (٢٠٠٥م). (نحو النَّص) في النحو العربي: دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، ج٢٣، ع٩٢.
- الطلحي، (١٤٢٤هـ). **دلالة السياق**، ط١، مكة المكرمة، منشورات جامعة أم القرى.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس (د.ط).
- عبابنة، يحيى– الزعبي آمنة، (٢٠١٣م). عناصر الاتساق والانسجام، قراءة نصية تحليلية في قصيدة، "أغنية لشهرأيار" لأحمد عبد المعطي، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد ٢٩، العدد (١+٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- عباس، فضل، وعباس، سناء، (٢٠٠٩) **إعجاز القرآن الكريم**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ط٧.
- العبد، (٢٠٠٧م). محمد، اللغة والابداع الأدبي، القاهرة – مصر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٢.
- عبد اللطيف: محمد حماسة، (٢٠٠٣) **بناء الجملة العربية**، القاهرة– مصر، دار غريب.
- عبد المطلب، محمد، (١٩٩٥) **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**، القاهرة– مصر، دار المعارف، ط١.
- عبد المنعم، محمود عبدالرحمن،(د.ت) **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، دار الفضيلة، مصر، القاهرة، (د.ط).
- عبداللطيف، محمد حماسة، (١٩٨٣) **النحو والدلالة**، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٣.
- عبدالله، وليد، (٢٠٠٢) **دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- العجمي، خالد الشبيب، العلاقة بين فهم القارئ وفهم الكاتب، **عالم الفكر**.
- العرود، أحمد ياسين، (١٩٩٦م). **دراسة في تحول الخطاب العربي في عصر النهضة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب– قسم اللُّغة العربية، جامعة اليرموك، الأردن.
- عزام، محمد، (٢٠٠١). **النَّص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي**.(ط١)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- عفيفي، أحمد، (٢٠٠١م). **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء شرف، القاهرة، ط١.
- عمر، أحمد مختار، (١٩٩٨) **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- العموش، (٢٠٠٥). خلود، **الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النَّص والسياق**، إربد، عالم الكتب الحديث.
- العوادي، مشكور كاظم، (٢٠٠٣) **البحث الدلالي في تفسير الميزان – دراسة في تحليل النص**، ط١ مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- عياشي، منذر، (١٩٩٠م). **مقالات في الأسلوبية، دمشق**. ط١: منشورات اتحاد الكتاب العرب، التراكم العلاماتي بين النَّص المكتوب والنَّص المنطوق.
- فانسون جوف، (د.ت) **رولان بارث والأدب**، ترجمة: محمد سويتري، ط١، أفريقيا الشرق.
- فضل، صلاح، (١٩٩٤). **بلاغة الخطاب وعلم النَّص**، القاهرة، سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان, ط١.
- فضل، صلاح، (١٩٨١) ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، **مجلة فصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مجلد١، عدد٤.
- الفقي، صبحي، (٢٠٠٠) **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، دار قباء للطباعة والنشرو التوزيع، القاهرة، ط١.
- قريرة، توفيق، (٢٠٠٣م). **التعامل بين بنية الخطاب وبنية النَّص الأدبي**، عالم الفكر، م٣٢، ع٢،.
- القطان، مناع، (٢٠٠٤م). **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٣.
- كليطو، عبد الفتاح، (د.ط) **الأدب والعزلة: دراسات بنيوية في الأدب العربي**، ط٣، بيروت، دار الطليعة.
- الكوفحي، يوسف، (٢٠١٣م). **الأبعاد التداولية للخطاب القراني في سورة المائدة**، جامعة اليرموك, رسالة دكتوراه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- لا لاند، أندريه، (١٩٩٦م). **موسوعة لا لا ند الفلسفية**. ترجمة: خليل أحمد خليلو أحمد عويدات، بيروت، لبنان، منشورات عويدات.
- أبو اللبن، محمد، (٢٠١١م). المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، الجامعة الإسلامية- غزة، رسالة ماجستير.
- مانغونو، دومنيك، (٢٠٠٨م). **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحاتين، الدار العربية للعلوم، ط١.
- محمد خطابي، (١٩٩١م). **لسانيات النَّص مدخل الى انسجام الخطاب**، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- محمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥.
- أبو المكارم، علي، (١٩٦٨م). الظواهر اللغوية في التراث النحوي، المدينة للطباعة، القاهرة، ط١.
- أبو موسى، محمد، (١٩٨٠م). خصائص التركيب، دار التضامن للطباعة، ط٢.
- المديني، أحمد، (١٩٨٧م). **في أصول الخطاب النقدي الجديد**، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط).
- المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع».
- مرتاض، عبد الملك، (١٩٨٨). **نظرية، نص، أدب، ثلاثة مفاهيم نقدية بين التراث والحداثة قراءة جديدة لتراثنا النقدي**، المجلد الأول، نادي الأدب الثقافي بجدة، جدة.
- مرتاض، عبد الملك، (١٩٨٨). **في نظرية النَّص الأدبي، الموقف الأدبي، دمشق**، ع٢٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- نحلة، محمود أحمد، (٢٠٠٢) **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، الإسكندرية، دار المعرفة.
- النكري، عبدالغني الأحمد، (١٩٧٥م). **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢.
- نور الدين، صدوق، (١٩٨٤). **حدود النَّص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع**، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة.
- هانيه، فولفاج، (١٩٩٧م). **مدخل إلى علم اللغة النصي**، تح: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط).
- الهواوشة، محمود، (٢٠٠٩م). أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دار عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان، ط١.
- الواحدي، علي بن أحمد، (١٩٩٢م). **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار صلاح، الدمام، ط٢.
- يقطين، سعيد، (١٩٨٩م). **انفتاح النص الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١٦.
- يقطين، سعيد، (١٩٩٣م). **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢.
- يقطين، سعيد، (٢٠٠٥م). **من النص إلى النص المترابط**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١.
- يول وبروان، (١٩٩٣م). **تحليل الخطاب**، ترجمة: منير التريكي ومحمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود، الرياض.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Cohesion in Juzzu' (Tabarak)

Shuihit, Ibrahim Ahmad

Supervised by:

Prof. Mar'y Abd-El Kadir Bany Bakir

The study discusses the coherence in the 29th section of Holly Qur'an, Section of Tabarak, according to the concept of coherence in Text Linguistics. This study reviews various patterns from this section , analyzing them grammatically, semantically, lexically and contextually including what is required in dealing with them, and that is by surveying the features of contextual coherence at its different levels, the internal and external levels, and between what is formal, semantic or what is overlapping in between. As these levels are combining with each other in order to demonstrate aspects of contextual coherence in the Section of Tabarak.

The study has concluded that the analytic level of the 29th section presented plenty of contextual coherence features, as it is distinguished by the strong coherence between its parts due to plenty of formal and semantic coherence features.

Key words: text, discourse, contextual, coherence, cohesion, harmony, context, occasion, purposivism.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University